مُقَدِّمَاتُ
الإِمَامِ أَبِي الحَسَنِ النَّدْوِيِّ

إعداد
سيّد أحمد زكريّا الغوريّ النّدويّ

(الجزء الثاني)

دار ابن كثير
دمشق . بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَاتُ
الإمَامِ أبي الحَسَنِ النَّدْوِيِّ

الموضوع: دراسات إسلامية

العنوان: مقدمات الإمام أبي الحسن الندو

الإعداد: سيد أحمد زكريا الغوري الندو

الورق: أبيض
ألوان الطباعة: لون واحد
عدد الصفحات: 1314
القياس: 17×24
التجليد: كرتونيه
الوزن: 2500 غ

التنفيذ الطباعي:
مطبعة الديك - بيروت
التجليد:
دار الفن للتجليد - بيروت

ISBN: 978-9953-520-82-7

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي
و المسموع و الحاسوبي و غيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب: 311
حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450
الإدارة تلفاكس: 2243502 - 2458541
بيروت - لبنان - ص.ب: 113/6318
برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
تلفاكس: 01 817857 - جوال: 03 204459
www.ibn-katheer.com
info@ibn-katheer.com

مقدماته

لكتب في العقيدة والتوحيد

١ ـ رسالة التوحيد للإمام الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدِّهْلَوِي

٢ ـ العقيدة السنِّيَّة : للشيخ محمد أويس البِلْكَرَامي النَّدْوِي

رسالة التوحيد
المسمَّى بـ
تَقوِيَة الإيمان

للإمام الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدِّهْلَوِي
(١٠٩٣ ـ ١٢٤٦ هـ)

نقلها للعربية وقدم لها
الدَّاعية الحكيم المربي الجليل
العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي
(١٣٣٣ ـ ١٤٢٠ هـ)
(١٩١٤ ـ ١٩٩٩ م)

اعتنى بها
سيد عبد الماجد الغوري

دار وحي القلم
دمشق

نبذةٌ من ترجمة المؤلف

هو الشيخ العالم الكبير ، العلامة المجاهد في سبيل الله ، إسماعيل بن عبد الغني بن وَلِي الله بن عبد الرحيم العُمري الدهلوي ، أحد أفراد الدنيا في الذكاء والفطنة ، والشهامة ، وقوة النفس ، والصلابة في الدين .

وُلد بدِهْلي سنة ١٠٩٣ وتوفي والده في صباه ، فتربّى في مهد عمِّه الشيخ عبد القادر بن ولي الله الدّهْلوي ، وقرأ عليه الكتبَ الدرسيّةَ ، واستفاد من عَمَّيْه الشيخ رفيع الدين ، والشيخ عبد العزيز أيضاً ، ولازمهما مدّةً طويلةً ، وصار بَحْراً زاخراً في المعقول والمنقول ، ثم لازم الشهيدَ الإمام أحمد بن عرفان ، وسافر معه إلى الحرمين الشريفين ، سنة ١٢٣٧ هـ ، فحَجَّ وزارَ ، ورجع معه إلى الهند ، وساح البلاد والقرى بأمره سنتين ، فانتفع به خلقٌ لا يُحصون بحَدٍّ وعدٍّ ، ثم سافر معه إلى الحدود[1] سنة ١٢٤١ هـ ، فجاهد معه في سبيل الله ، وكان كالوزير للإمام ، يجهّز الجيوش ، ويقتحم المعارك العظيمة ، بنفسه حتى استشهد في « بَالَاكَوْت »[2] من أرض « يَاغِسْتَان » .

وكان نادرةً من نوادر الزمان ، وبديعةً من بدائعه الحسان ، مُقْبلاً على الله بقلبه وقالبه ، مشتغلاً بالإفادة ، والعبادة ، مع تواضعٍ وحُسْنِ أخلاقٍ ، وكرمٍ وعفافٍ ، وشهامة نفسٍ وصلابةِ دينٍ ، وحُسْنِ محاضرةٍ ، وقوّة عارضةٍ ، وفصاحةٍ ورجاحةٍ ، فإذا جالسه منحرفُ الأخلاق ، أو من له في المسائل الدينية بعضُ شقاقٍ ، جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء والنار ، ويجمع بين الضَّبِّ والنون ، فلا يكاد يفارقه إلا وهو عنه راضٍ .

وقال [الشيخ] صديق بن حسن [خان] القَنُّوجي في « الحِطَّة بذكر الصحاح الستَّة » في ذكر الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدِّهلوي : « إنَّ ابن ابنه المَوْلَوِيّ محمد إسماعيل الشهيد اقتفى أثر جَدِّه في قوله وفعله جميعاً ، وتمَّم ما ابتدأه جَدُّه ، وأدّى ما كان عليه ، وبقي ما كان له ، والله

---

(١) موقعها الآن في مديرية « هَزَارَهْ » من مقاطعة الحدود الشمالية الغربية على تخوم ولاية « كشمير » وهي كلها بلاد جبلية .

(٢) وكانت منطقة « بالاكوت » كلها تسمَّى « ياغستان » قديماً .

تعالى مجازيه على صوالح الأعمال ، وقواطع الأقوال ، وصِحَاح الأحوال ، ولم يكن ليخترع طريقاً جديداً في الإسلام ، كما يزعم الجُهَّالُ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

وهو رحمه الله تعالى أحيا كثيراً من السنن المماتات ، وأمات عظيماً من الإشراك ، والمُحْدَثات ، حتى نال درجةَ الشهادة العليا ، وفاز من بين أقرانه بالقدح المُعَلَّى ، وبلغ منتهى أمله ، وأقصى أجله .

وأما مصنَّفاته [باللغة العربية والفارسية والأردوية] فهي عديدةٌ ، أحسنها كتابه :

بالفارسية :

١ ـ **الصراط المستقيم** : جَمَع فيه ما صَحَّ عن شيخه السيد الإمام قولاً وفعلاً ، وفيه بابان من إنشاء صاحبه الشيخ عبد الحي بن هبة الله الصديق البُرْهَانَوِي .

٢ ـ **إيضاح الحق الصريح في أحكام الميِّت والضريح** : في بيان حقيقة السنَّة والبدعة .

٣ ـ **منصب إمامة** : في تحقيق منصب النبوَّة والإمامة ، وهو ممَّا لم يسبق إليه .

ومنها رسالةٌ له في :

٤ ـ **مبحث إمكان النظير وامتناع النظير** .

بالعربية :

٥ ـ **رَدُّ الإشراك والبِدَع** : رَتَّبها على بابين .

ومنها :

٦ ـ **تنوير العينين في إثبات رفع اليدين** : بالعربية .

ومنها :

٧ ـ سلك نور .

بالأردوية :

٨ ـ **تقوية الإيمان** : كتابٌ مشهورٌ له بالأردوية ، وهو قد تُرجم إلى العربية باسم « رسالة التوحيد » .

٩ ـ **رَدُّ الإشراك** .

١٠ ـ[عبقات : في الفلسفة والحكمة ، تجلى فيها ذكاؤه ، واقتداره على هذا العلم][1] .

---

(١) ملتقطاً من « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » للعلامة السيد عبد الحي الحسني رحمه الله تعالى (٣/ ٩١٤ـ٩١٦) .

كلمة المُترجم

بقلم : أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرْسلين ، وخَاتَمِ النبيِّين وإمام المُتَّقِين ، قائدِ الغُرِّ المُحَجَّلِين ، محمَّد وآله وصحبه الغُرِّ المَيامِين ، ومن تَبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين ، من الأئمة المهديين ، والدعاة المصلحين ، المجدِّدين لهذا الدِّين ، الذين لم يزالوا يَنْفُون عنه تحريفَ الغالين ، وانتحال المُبطِلين ، وتأويلَ الجاهلين ، جزاهم اللهُ عن الإسلام والمسلمين ، أفضلَ ما جزى العلماءَ الراسخين ، النائبين عن الأنبياء والمُرْسَلين .

أمَّا بعد : فقد كُنَّا نشعر بمسيسِ الحاجة منذ زمنٍ طويل إلى نشر كتابٍ واضحِ المنهج ، صريحِ العبارة ، مُشْرِقِ الدِّيباجة ، سَهْلِ المتناول ، يَنُمُّ عن إخلاص مؤلِّفه ، وصِدْقِ لهجته وتوجُّعِ قلبه ممَّا يرى الناسُ عليه في عصره من الجهل لغاية الخَلْق ، وبعثة الأنبياء والرُّسُلِ أجمعين ، من إخلاص الدين لله ، وإفراد العبادة له ، والخوفِ والرَّجاء منه ، والاستغاثةِ به والتضرُّع إليه ، ولما كان يرى من انتشار العقائد والعادات ، التي جاءت الأديانُ السَّماويةُ لمَحْوِها ، وأُنْزِلَتْ الكتبُ وبُعِثَت الرُّسُلُ لمحاربتها والتخلُّص منها ، حتى أصبح الناسُ من ذلك في جاهلية جهلاء ، وفتنة عمياء ، واحتاجوا إلى دعوةٍ صارخةٍ سافرةٍ إلى الدِّين الخالصِ ، والحنيفيةِ السَّمْحَةِ .

وقد شَرَح اللهُ صَدْرَ الشيخِ محمَّد زكريا الكَانْدَهْلَوِي في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (في شهر ذي الحِجَّة ١٣٩٣هـ) لنقْل كتاب « تقوية الإيمان » للإمام المُجاهِد ، الداعي إلى الله ، الشهيد في سبيل الله ، الشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن أحمد وَلِي الله بن عبد الرحيم العُمَري الدِّهْلَوِيّ (ش ١٢٤٦هـ) ، فإنَّه كتابٌ أصْبح

شعاراً وعَلَماً للدعوة إلى التوحيد ، وبيان الحقِّ الصريح ، وقد نفع اللهُ به خلائقَ في شبه القارة الهندية لا يُحصيهم إلَّا من أحصى رَمل عالجٍ وحصَى البَطْحاء .

وقد صَدَر هذا الكتابُ عن قلبٍ جريحٍ متقطِّعٍ بمشاهدة ما كان عليه المسلمون من بُعْدٍ عن التعاليم الإسلامية ، وخُضوعٍ للوثنية الهندية ، وتمسُّكٍ بالعادات الجاهلية ، وقد زادَ في تأثيره وقبوله ، دموعُ عينٍ باكيةٍ على الإسلام ، ودَمٌ زَكِيٌّ أُريق في سبيل إحياء هذا الدِّين ، وتنقيتِه من الجاهلية ، وتأسيسِ حكومةٍ شرعيةٍ تقوم على منهاج الكتاب والسنَّة ، ويكون الدين كلُّه لله(١) .

وقد قَرَن ـ رحمه الله ـ الدعاءَ بالدعوة ، والجهدَ بالجهاد ، والشهادةَ للحقِّ بالشهادة في الحقِّ وذلك لُبَابُ التوحيد ، وغايةُ الإخلاصِ ، وكمالُ الصِّدْقِ ، وتمامِ الوفاء ، وصَدَقَ الله العظيم : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، فكان لكتابه من القَبول والتأثير ، والذُّيوع والانتشار ، ما لا يكون إلا لكتابات كبارِ المُخلِصين ، والعلماء العاملين والدعاة المجدِّدين .

وسِرُّ قُوَّة الكتاب في صراحته ، وتشخيصه للأدواء ، ومَظاهِر الشِّرك ، ومَواضِع الانزلاق ، وأنه يَضرِب على الوَتْرِ الحَسَّاس ، ويُصيب ضَعْفَ الاعتقاد ، وما فُتِنَ به المسلمون في العهد الأخير من الغُلُوِّ ، والتقديس ، والتعظيمِ ، وتقليد الأمم الوثنية ، والعادات الجاهلية في صَميمه ، وقد اعتاد الناسُ أن لا يفزعوا للمواعظ والخُطَبِ التي تُلقى على المنابر ، أو البحوث العلمية التي تتناول موضوع التوحيد والشِّرك بصفةٍ إجماليةٍ عامةٍ إذا لم تتعرَّض للأمراض التي يعانونها ، والأخطاء التي يرتكبونها ، والعادات التي لا يُمكنهم الفِطَامُ عنها للأشخاص والأماكن والشعائر التي يكونون فيها ، فيتجاهلون كلَّ ذلك ، ويتظاهرون بأنَّ الواعظ أو الكاتب لا يَعنيهم وإنما يعني المشركين القُدَامى ، وعُبَّادَ الأوثان في الجاهلية الأولى ، أما إذا تعرَّض هذا الكاتبُ أو الواعظُ لواقعِ حياتهم ، ووَضَع يدَه على عِلَلهم ، وأسقامِهم ، وحَدَّدَ

---

(١) اقرأ أخبار جهاده في كتاب « إذا هبَّت ريحُ الإيمان » طبع دار ابن كثير بدمشق .

مواضعَ فِتْنَتِهِم ؛ لم يَسَعْهم أن يتغافلوا عنه ، فأعلنوا الحَرْبَ عليه ، ونادوا بعدائه وهذا شأنُ الداعي المُخلِص الذي مَلكتْه الفكرةُ ، واستحوذَ عليه الشعورُ ، وتذوَّقَ القرآنِ ، ومنهجَ الأنبياءِ في دعوتهم تذوُّقاً حقيقياً ، فإنه لا يُبالي أرَضِيَ الناسُ أم سخطوا ، إنَّ هَمَّه الوحيدَ أن يبلِّغ رسالةَ القرآن ، ويُرضي ربَّه ، ويُريح ضميرَه ، ويُبرىء ذِمَّتَه .

ويَحْسُنُ هنا أن أنْقُلَ ما كتبتُه في كتابي « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » وأنا أتكلَّم عن سِرِّ تأثير الإمام الحسن البَصْري في المجتمع الإسلامي في مستهلِّ القرن الثاني الهجري ، ونُفوذِه في القلوب والعقول ، وإنَّ المجتمع لم يستطع أن يتجاهله ، وأن يَمُرَّ به مَرَّ الكِرام ، قلتُ : « إنَّهُ ضَرب على الوَتَرِ الحسَّاس ، ونزل في أعماق المجتمع ، ووَصَف أمراضَه ، وانتقدهُ انتقادَ الحكيمِ الرفيقِ ، والناصحِ الشفيق ، لقد كان عصرُه يَغُصُّ بالدعاة والوُعَّاظ ، ولكن المجتمع لم يخضعْ لهم خُضوعَه للحسن ؛ لأنه كان يَمَسُّ قلبَه ، ويَنْزِل في صميم الحياة ، ويُعارِض التيَّارَ »[1] .

لذلك كلِّه وقع اختيارُنا على نقل معاني هذا الكتاب ، ومحتوياته إلى لغة الضَّاد في أسلوب عصريٍّ رشيقٍ ، وتعبيرٍ سهلٍ سائغٍ .

وقد طَلَب منا الشيخُ الجليلُ محمَّد زكريا السابق ذِكْرُه ، أن تكون بدايةُ هذا العملِ في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد يَسَّر الله ذلك في سَلْخ[2] ذي الحجة ١٣٩٣هـ في ساعةٍ مباركةٍ قبل زوال الشمس يوم الأربعاء ، فكتبتُ السطور الأولى من المقدِّمة في مكان بين باب الرَّحْمة وباب جبرائيل ، مُكْتَظٌّ بالحجَّاج الوافدين ، والمشتغلين بالذكر والتسبيح ، والصَّلاة على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي جَوٍّ من السَّكِيْنَة ، والخُشوع والحُبِّ ، ونحمد الله أن كانت فاتحةُ هذا العمل في هذا المسجد العظيم ، الذي انبثق منه هذا النورُ ، وانطلقت

(١) انظر : « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » للعلامة الندوي ، طبع دار ابن كثير ، دمشق .
(٢) السَّلْخ : آخِر الشهر .

موجةُ التوحيد والدعوة إلى الله إلى أنحاء العالم ، فبدَّدت الظَّلامَ ، وغَمرت القلوبَ بفيضٍ من الإيمان ، ونور التوحيد ، وطهَّرت النفوسَ ، وأشرقت الأرضُ بنور ربِّها ، وتمَّتْ نعمةُ الله على عباده .

ويَسَّر اللهُ إتمامَ هذا العمل ، والقيام به بقدر الطاقة في مُدَّةٍ قريبةٍ ، وأيَّامٍ معدودةٍ ، والحمد لله الذي بِعزَّته وجلاله تَتِمُّ الصالحاتُ .

ورأينا أن نُلْحِقَ بالكتاب ترجَمةَ مولِّفه العلاَّمة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدِّهْلَوِي ، مقتبسةً من المجلَّد السابع لكتاب « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر »[1] للعلامة السيد عبد الحي الحسني ، ليطَّلع القارىءُ على عُلوِّ كَعْبِ المؤلِّف في العلوم الدينية ، ورُسوخِ قَدَمِه في الدين ، وحُسْنِ بلائه في الإسلام ، وغيرتِه على نقاء العقيدة وأصالتها ، وقد أجاد من قال : « إنَّ ترجَمة المؤلِّف نَسْبُ الكتاب » ولذلك أَكْثَر المؤلِّفون في الإسلام من تأليف كتب الطَّبقات والتراجِم . والسِّيَر والأخبارِ ، وأجادوا في ذلك ، وأفادوا . ووَضَعْنا عناوينَ جانبيةٍ للكتاب ، وتناولنا بعض الكتب والعادات المحليَّة ، والأعلام التي تختص بالهند بالشرح والإيضاح والتعريف ، حتى يَسْهُلَ على القارىء العربي الكريم ، فَهْمُ الكتابِ وتذوُّقه .

ونقلنا بعضَ المقتطفات من كلام بعض أعلام هذه الأُمةِ وأئمَّتِها تأييداً لبعض ما وَرَد في هذا الكتاب من تعبيراتٍ وعباراتٍ لم يألفها كثيرٌ من الناس لشيوع الأساليب الإصلاحية في العهد الأخير ، التي تعتمد على مجاراة العواطف ، ومسايرة المعروف المألوف إيثاراً لتوسيع الدعوة على تعميقها ، وتبليغ العقيدة على ترسيخها ، وجلْبِ المنفعة على دفع المَضَرَّة ، وتفادياً من وحشة الناس ، وسُخْط العامة ، ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ .

ويعرف القارىء العربيُّ من خلال هذا الكتاب ، وما وَرَد فيه من ذكر أنواع

---

(١) الذي صدر حديثاً بعنوان « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » من دار ابن حزم ببيروت .

الانحراف والضَّلال ، وتقليدِ الأكثرية من سُكَّان الهند مدى تغلْغُلِ الحضارة الهندية ، والعادات الجاهلية والتقاليد الوطنية في أحشاء المجتمع الإسلامي الهندي ، وخُضوع المسلمين في هذه البلاد ، للفلسفة الهندية ، البَرْهَمِيَّة ، والهندُ كما يَعْرِفُ المُطَّلِع على التاريخ القديم مِن أعرق بلاد الله في الوثنية ، فهي فيها قديمةٌ وأصيلةٌ ؛ إذ كانت في كثير من البلاد جديدةً ودخيلةً ، وقد عُجِنَتْ فلسفتُها وحضارتُها وآدابُها ، وعلمُ الفَلَكِ ، والعلومُ الرياضيةُ ، والتقويمُ ـ فضلاً عن الديانات ـ بهذه الوثنيةِ ، فهي أرضُ المؤلَّهين والمؤلَّهات ، وأرضُ الأساطير والرِّوايات ، وأرضُ الأعياد والمواسم ، والمِهْرَجَانَاتِ والمآتِمِ ، تِذْكاراً لحوادثَ تاريخيةٍ ودينيةٍ ، وأبطال قوميةٍ خُرافيةٍ ، أثَّر كلُّ ذلك في حياة المسلمين ، وعاداتهم تأثيراً عميقاً ، وغُمَّ عليهم الأمرُ على مدى الأيام ، والتبس الحقُّ بالباطل بتهاوُن الحكّام والسلاطين ، وقلَّة انتشار علم الحديث[1] ، وكتب السنَّة الصحيحة ، ورواجها ، وشِدَّة اختلاط المسلمين بجِيْرانهم في كلِّ مدينةٍ وقريةٍ ، وحيٍّ وزُقَاقٍ ، حتى قَيَّض اللهُ للصَّدع بالدعوة ، وتمييزِ الحقِّ من الباطل ، والقُشورِ من اللُّباب رجالاً من علماء الدين ، والدعاة المُرشِدين .

وكان ذلك مِن أقوى الأسباب التي حَمَلَتْ مؤلِّفَ هذا الكتابِ ، وقد نشأ في بيئةٍ هنديةٍ خالصةٍ ، وفي مركز هذه الحضارةِ على أن يكون صريحَ العبارة ، قويَّ العارضة ، مُرْهَفَ الحسِّ في هذا الموضوع ، لا يحتفل بالنقد واللائمة ، ولا يُبالي بسُخْطِ الخاصة والعامَّة ، ولو طالت به الحياةُ ، ووجد فرصةً للدعوة والبقاء في الهند ، فلربَّما أخذ الأمرَ بالتدريج ، ومشى الهوينا ، ولكنه كان مُضْطَرّاً إلى مغادرة الهند ، وكأن حادي الشوق يَحْدُو به إلى الجهاد ، والشهادة في سبيل الله ، فألَّف هذا الكتابَ إتماماً للحُجَّةِ ، وبراءة للذِمَّةِ ، وجعله كلمةً باقيةً في عَقِبه لعلَّهم يَرْجِعون .

---

(١) وقد بدأت النهضة الحديثية في الهند بجهود المحدِّث الجليل الشيخ عبد الحق الدِّهلوي ، ثم بجهود الإمام ولي الله الدهلوي وأبنائه وأحفاده حتى تبوَّأت الهند في العلم الشريف مكانةً لا يُضاهيها بلدٌ إلى يومنا هذا [العلامة الندوي] ، اقرأ ما كتبه العلاَّمة الندوي حول نشأة علم الحديث في هذه البلاد ، في مقدِّمته لـ « أوجز المسالك » والتي سبقت في الجزء الأول .

وليس الأمرُ مقصوراً على الهند التي بَعُدَتْ عن مهد الإسلام ومهبَطِ الوحي ، ودخلها الإسلامُ عن طريق بلاد العَجَمِ ؛ وقد فَقَدَ الشيءَ الكثيرَ من قُوَّته وجِدَّتِه ، بل تبلبلت العقيدة الإسلاميةُ ، واختلطتْ بشيءٍ كثيرٍ من البِدَعِ والضَّلالاتِ في العواصم الإسلامية وبلاد العرب في القرن السابع والثامن الهجريين ، بتأثير الشعوب غير العربية التي دخلت في الإسلام جديدةً ، وحَمَلَتْ معها رواسِبَ كثيرةً من دياناتها وعاداتها ، واختلاطِ المسلمين مع غير المسلمين والعجم ، ونفوذِ الحكومة الباطنية والإسماعيلية في مصر والشام . وتأثيرهما ، وانتشار تعليمات بعض المتصوِّفين الجَهَلَة ، ومَن قرأ كتابَي شيخِ الإسلام ابن تَيْمِيَّة : « الرَّدُّ على البَكْرِي » ، و « الرَّدُّ على الأَخْنَائي » عَرَف الشيءَ الكثيرَ عن غُلُوِّ الجُهَّالِ في الأئمَّة ، والمشايخ ، والأولياء ، والصالحين ، واعتقاداتهم الفاسدة ، وعاداتهم الجاهلية ، ولا يزال لهذا الغُلُوِّ والتعظيمِ بغير ما أمر اللهُ به ، وشَرْعِ ما لم يأذن به الله آثارٌ باقيةٌ في بلاد المسلمين والعرب ، تستوجب دعوةً قويةً صريحةً ، وحكمةً بليغةً ، لذلك ليست فائدةُ هذا الكتاب محدودة في الهند ، بل تَعُمُّ جميعَ الأوساط التي استطاع الشيطانُ أن يتسرَّب إليها ، وانتشر فيها من العقائد ، والعادات ممَّا لا يرضاها الإسلامُ ، ولا يُقِرُّها الشَرْعُ ، ولا يَقْبَلُها ضميرُ المُسلمِ الواعي .

وقد أَسْمَيْنَا هذه الترجمة بـ « رسالة التوحيد » للعلامة الشيخ إسماعيل الشهيد ، لأنَّ هذا الاسم أدَلُّ على مسمَّاه ، وقد تولَّى المؤلِّفُ نَقْلَ كتابِه الذي وضعه بالعربية ، وسَمَّاه بـ « رَدّ الإشراك » وقد طارت العنقاءُ بهذا الأصلِ العربيِّ ، وفُقِدَ ، وتسميتنا أَقْرَبُ إلى تسميته الأصلية .

والله نسأل أن ينفع بهذه الترجمة كما نفع بالأصل ، ويشرح بها صدورَ المؤمنين . . وعلى الله قصد السبيل .

غرة ربيع الأول ١٣٩٤هـ **أبو الحسن علي الحسني الندوي**

العقيدة السنية

شرح « العقيدة الحسنة »

للشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي

بقلم
فضيلة الشيخ محمد أويس الندوي

نبذةٌ من ترجمة المؤلف والشارح

ترجمة المؤلف :

هو حكيمُ الإسلام وفيلسوفه المُجَدِّد الديني والعلمي الكبير ، المحدِّث ، المفسِّر ، الفقيه ، الأُصولي ، المتكلِّم ، السياسي ، الشيخ قطب الدبن أحمد وَليُّ الله بن عبد الرحيم العُمَرِي الدِّهْلَوِي ؛ أحدُ حكماء الإسلام ونوابغه ، وكبار المفكّرين الإسلاميين من طِراز الإمام الغزالي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، قال العلاَّمة السيِّد صديق حسنِ خان القَنُّوجِي : « لو سبق به الزمانُ وكان في القرون المتقدِّمة ؛ لعُدَّ من كبار الأئمة المجتهدين في الإسلام » .

وُلِدَ سنة ١١١٤هـ في قرية « فُلَتْ » قُرْبَ قمدينة « مظفَّر نَكَرْ » (الهند) ، قرأ العلمَ على والدِه ، وقرأ فاتحةَ الفراغ وهو لم يتجاوز الخامسةَ عشرة من عمره ، وأخذ يُدَرِّس ، ويُفيد ، ويُؤَلِّف إلى أن رَحَل في سنة ١١٤٣هـ إلى الحجاز ، واستفاد من علمائها ، وأفاد وأسند الحديث عن الشيخ أبي طاهر المدني ، ثم رجع إلى الهند ، وعكف على الدرس والإفادة ، والتأليف والتجديد في العلم والدين إلى أن استأثرتْ به رحمة الله عام ١١٧٦هـ بمدينة دِلْهِي .

خَفَقتْ بجهود الإمام الدِّهلوي في إحياء السُّنَنِ وإماتة البِدَع راية الكتاب والسُّنَّةِ مرفرفة في الهند بعدما كانتْ ناكسةً ، وظهرتْ بوادرُ الإصلاح والتجديد بعدما كانت خافيةً ، ورَغِب الناسُ في الاعتصام بالكتاب ، والسنة .

إنَّ الإمام الدِّهْلَوي كان من عداد أولئك المفكِّرين المُصلحين الذين استنارتْ بأفكارهم المبثوثة في تفاريق مؤلَّفاتهم عقولُ معاصريهم ، ومن جاء من بعدهم وتنوَّرتْ قلوبهم ، وانجلى ما لصق بمرآتها من صدأ الشكِّ والجمود ، وانحلَّ ما انعقد في أذهانهم عن مشاكل الزيغ والارتياب .

ترجمة الشارح :

هو العالمُ الكبير ، المفسِّر الشهير ، محمد أويس النَّجْرَامي الندوي ، درَسَ في دار العلوم لندوة العلماء ، ولازم العلامة سيد سليمان الندوي واختصَّ به ، واستفاد منه في القرآن الكريم وعلومه استفادة خاصة ، وأخذ منه علماً جمّاً ومعلومات نادرة ، ثم قام بالتدريس في دار العلوم

لندوة العلماء ، حيث ظلَّ فيها أستاذاً للتفسير نحو أربعين سنةً ، وتخرَّجت عليه جماعةٌ من الندويِّين الفضلاء .

كان الشيخ محمد أويس من كبار علماء الهند عرفه العالمُ العربي بكتابه القيِّم « التفسير القيِّم » ، الذي جمع فيه ما تفرَّق من تفسير القرآن للإمام ابن قيِّم الجوزية في مؤلَّفاته وكتبه المختلفة ، وعكف الشيخُ على دراسة القرآن والتأمل فيه يستخرج حقائقه ودُرَرَه ، كما كان شغوفاً بشيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية وتلميذه النابغة ابن القيِّم .

يشرح ما أودعا في مؤلَّفاتهما من أسرار ودقائق لتلاميذه ، ويُحَبِّبُ إليهم دراسة آثارهما .

خلَّف الشيخُ كتباً مهمةً في المكتبة الإسلامية منها « التفسير القيِّم » و « العقيدة السنية » في عقيدة التوحيد ، شرح العقيدة الحسنة ، وكانت عنده ملكة في البحوث والمقالات العلمية ، وتحقيق المسائل واستخراج الحقائق .

وكانت له نيةٌ في إفراد تفاسير ابن تيمية رحمه الله تعالى ، ولكن وافته المنية عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) قبل أن تتحقق هذه الأمنية[١] .

---

(١) الترجمة مأخوذة من كتاب « أبو الحسن الندوي الإمام المفكِّر الداعية المربي الأديب » لسيد عبد الماجد الغوري ، ص (٨٨٣) .

مقدّمة

بقلم : الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي
مدير « ندوة العلماء » الهند

إنَّ أَجَلَّ علمٍ أُخذ عن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه معرفةُ الله تعالى ، وعلمُ ذاته وصفاته وأفعاله ، وذلك علمٌ يختص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ إذ هو علمٌ ليست له وسائلُ وآلاتٌ ، ومعلوماتٌ أوليةٌ ، وتجاربٌ عند البشر ، ولا يتناوله القياسُ ، ولا يفيد فيه الذكاءُ والفِطْنَةُ ؛ لفُقْدان أساس القياس ، وتعالى الله عن الأشباه والنظائر ، وسُمُوِّه ، وتقدُّسه ، وتنزُّهه عن التشبُّه والتمثُّل ، ولبُعْدِه عن كلِّ ما عرفه البشرُ ، وأَلِفَه ، وجرَّبه في عالم الحِسِّ والمادَّة ؛ لأنه ليس حَلَبَةً تجري فيها جِيَادُ العقول ، وتتسابَقُ فيها عِتَاقُ العلم والتجربة .

وكان أجلَّ علمٍ تتوقَّف عليه سعادةُ البشر ؛ إذ هو الأساسُ للعقائد ، والأعمال ، والأخلاق ، والمدنيَّة ، وهو الذي يعرف به الإنسان نفسه ، ويفكُّ لغْزَة الكون ، ويكشف عن سِرِّ الحياة ، وبه يعيِّن الإنسان مركزه في هذا العالم ، وينظِّم علاقاته واتصالاته ببني جنسِه ، ويضع منهاج حياته ، ويحدِّد غاياته في ثقةٍ وبصيرةٍ ، ووضوحٍ ويقينٍ .

لذلك عَظُمَ الاعتناء به في كلِّ أمَّةٍ وجيلٍ ، وفي كلِّ عصرٍ وطبقةٍ ، وحرص عليه ، وأولع به كلُّ جادٍّ مُخْلِص ، ناصحٍ لنفسه ، مُشْفِقٍ على حياته ومصيره ؛ لأن جهله ـ أو تجاهله ـ يؤدِّي إلى الشقاء الذي ليس بعده شقاءٌ ، ووقوعٍ في الهاوية التي ليس لها قرارٌ .

وكان الناس في ذلك فريقين : فريقٌ اعتمد في ذلك على الأنبياء والرُّسل

وعلومهم صَلَّى الله عليهم ؛ الذين أكرمهم الله بالنبوَّة وخصَّهم بمعرفته وتكليمه ورسالاته ، وجعلهم واسطةً بين الحقِّ والخلق في معرفةِ ذاته ، وصفاته ، وطُرُقِ مرضاته ، وأفردهم باليقين الذي ليس فوقه يقينٌ ، ونورٌ ليس بعده نورٌ ، فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥] ، وقال قائلهم ، وقد نازعه قومٌ في ذات الله وصفاته في غير علم يملكونه ، أو نورٍ يحملونه : ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ [الأنعام : ٨٠] ثم أضافوا إلى ذلك التأمُّلِ في الكون والتفكُّر في خلق السنوات والأرض ، والنظرِ في آيات الله ، وتدبُّرِ كتابه الحكيم ، والعمل الصالح والتقوى ، وتزكية النفس ، وتهذيب الخلق ، وتصفية القلب على منهاج الأنبياء عليهم السلام ، واستعمال عقولهم ومواهبهم ، والنظر في العلوم الكونية والعقلية ـ بحرية واستقلال فكرٍ ـ فرأوا أنَّ بعضها يصدِّق بعضاً ، فازدادوا يقيناً إلى يقين : ﴿ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

وفريقٌ اعتمد في ذلك على ذكائه ، وعلمه ، وتجاربه ، ومواهبه ، وأَطلق عَنانَ العقل ، وأركض جوادَ القياس ، وتناول ذات الله وصفاته بالدراسة والبحث والتحليل والتجزئة كمادةٍ كيمياويةٍ ، أو قوَّةٍ طبيعيةٍ ، أو طاقةٍ نباتيةٍ ، وقالوا : هو كذا ، وليس كذا ، وكان قولهم : ليس كذا أكثر من قولهم : هو كذا ، والنفي دائماً ـ إذا فقد اليقينُ وعدم النورُ ـ أسهل من الإثبات والتقرير ، وجاءت نتائج بحثهم وتقريرهم أكثرها سَلوبٌ ، والمدنية لا تقوم على السَّلوب ، وليس ذلك شأن الأنبياء الذين يشاهدون ، ويسمعون ، ويردُّون عن علمٍ وتجربةٍ شخصيةٍ ، فجاءت فلسفتهم الإلهية ـ كما سَمَّوْها ـ آراءً متضاربةً ، وتخميناتٍ ما أنزل الله بها من سلطانٍ ، ولم يَقُمْ عليها دليلٌ أو برهانٌ ، ولم تؤيِّدها تجربةٌ أو وُجْدانٌ .

وكان في مقدمة هذا الفريق وعلى رأسه اليونان الذين عُرِفوا من قديم الزمان بالذكاء المُفْرِط ، والقريحة الوقَّادة ، والفلسفة العميقة ، والشعر البليغ ، والفن الرفيع ، ولم يكن هذا ـ علم الإلهيات ـ مجالُ شيءٍ من ذلك ، ولا يتَّصل به بنسب قريبٍ ، أو بعيدٍ ، فجاهدوا في غير جهادٍ ، ومشوا بين شوكٍ وقتادٍ : ﴿ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ ﴾ [النور : ٤٠] ليس معهم نورٌ يهديهم ، أو دليلٌ يُرشِدهم ، أو تجربةٌ سابقةٌ تأخذ بيدهم ، أو مقدِّمات ومعلوماتٌ أوليةٌ يتوصَّلون بها إلى المجهول .

وكان ضِغْثاً على إبَّالَةٍ : أنَّهم كانوا أصحابَ وثنيةٍ عتيقةٍ ، عميقةٍ عريقةٍ ، وأصحاب أساطير وخرافاتٍ تغلغلتْ في فلسفتهم وشعرهم ، وأدبهم ودياناتهم ، لهم فلسفةٌ وثنيةٌ خاصَّةٌ عن الأفلاك والعقول ، توارثوها جيلاً بعد جيلٍ ، فجاءت فلسفتهم الإلَهية مزيجاً من الفلسفة والوثنية ، جامعةً بين العلم والديانة ـ الديانة التي آمنوا بها ، وقلَّدوها ـ ووضعوا لآرائهم وتحكماتهم أسماءً هائلةً مرعبةً ، وكسوها لباس الفلسفة والفن ، القشيب المُزَخْرَف .

وقد قلَّدهم عامةُ النظار والباحثين من الأمم ـ غير الهند التي عُرفت بفلسفاتها والوثنية الخاصة ـ وخضعوا لها تقليداً وإيماناً بالغيب ، لبراعتهم في الحساب والهندسة ، وبعض العلوم الطبيعية ، وهذا داءُ البَشر القديم ، إذا خضعوا لأحدٍ في شيءٍ ؛ خضعوا له في جميع الأشياء ، كما قرَّره حجَّةُ الإسلام الغزالي في مقدمة « تهافت الفلاسفة » ، والعلاَّمة ابن خَلْدُون في مقدِّمته العظيمة ، وأخذوا بحوثَهم وآراءهم كنتائج مقرَّرةٍ ثابتةٍ ، وحقائقَ علميةٍ ، لا يتطرَّق إليها الشكُّ ، ولا ينازعها إلا جاهلٌ أو متعصِّبٌ .

ولا يستغرب ذلك عن الأمم التي أَفلستْ في ثروتها الدينية من القديم ، وضَيَّعَت الهدى والنور ، ولكنَّه غريبٌ من علماء المسلمين الذين أكرمهم الله بالرسالة المحمَّدية ـ على صاحبها الصَّلاة والسَّلام ـ والكتاب الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] ، فخَضَع كثيرٌ منهم لهذه الفلسفة ، وبدؤوا يبحثون فيها كعلمٍ قائمٍ على المسلَّمات والحقائق والتجارب ، وسلموا كثيراً من متخيَّلاتهم ومفروضاتهم ، وأخضع كثيرٌ منهم ـ حُبّاً للإسلام تارةً وضَعْفاً منهم أخرى ـ الآيات القرآنية ، أو أولوها تأويلاً شديداً ، وفسَّروها تفسيراً يطابق ما ثَبَت ، وتقرَّر في الفلسفة اليونانية الإلهية .

وكان أكثر ما دُهُوْا به ، وأُتُوْا من قبله هو « اللوازم الفاسدة » التي يجب أن يُنَزَّه عنها « واجب الوجود » ففَرُّوْا من إثبات كثيرٍ من الأسماء والصفات والأفعال ؛ لأنها يلزم منها ما يختص بالحدث ، وما يثبت به الجسم ، وما يتنزَّه عنه « القديم » كلُّ ذلك قياساً على الإنسان ، وعلى تجاربهم المحدودة ؛ إذ لا يُتَصَوَّر ولم يجرَّب

بوجود هذه الصفات إلا بهذه اللوازم ، وفاتهم : أنها صفاتٌ إلهيةٌ يمكن وجودها بغير هذه اللوازم ، وهكذا مال فريقٌ منهم إلى نفي الصفات ، وكان أحسنهم حالاً من تأوّلها ، أو فسَّرها تفسيراً كاد أن يؤدِّي إلى التعطيل ، وفاتت ، أو كادت تفوت حكمة الصفات .

ومشى الكثيرُ على هذا الدَّرْبِ على اختلاف نزعتهم ومشاريعهم وتكوَّن علمُ الكلام ، وتضخَّم ، وإن المسلم في حاجةٍ إلى من يؤسِّس عقيدته وتفكيره على ما ثبت من الكتاب والسنَّة ، وآمن به السلف ، ويجعله الأساس ، وينظر في الفلسفة وغير الفلسفة كعلمٍ يُنَاقَش ، ويُبْحَث فيه ، ويُنْكَر بعضه ، ويُؤْخَذ بعضه ، ويستعرضه استعراضاً علمياً حُرّاً ، لا تقليدَ فيه ، ولا استسلامَ ، ولا يأخذ من مفروضات الفلاسفة اليونانيين ومقلِّديهم ومستلزماتهم إلا ما قام عليه الدليل ، ورجح في ميزان العلم ، ولا ينظر إلى أرسطاطاليس وأضرابه كآلهةٍ أو أنبياء معصومين عن الخطأ ، وكان المسلمون في حاجةٍ إلى نوابغ مستقلِّين في التفكير ، مجتهدين متمسِّكين ، ثائرين مؤمنين ، هَدَّامين بَنَّائين ، يجمعون بين العلم الواسع العميق للكتاب والسنَّة ، والنظر الدقيق ، والعلم الغزير للمناهج الكلامية ، والمذاهب الفلسفية ، يواجهون الفلسفة وآراء الفلاسفة القدماء وجهاً لوجهٍ ، يؤمنون بالقرآن كما أُنْزِلَ ، ويؤمنون بالله كما وصف نفسه ، من غير تحريفٍ ولا تأويلٍ ، ويفسِّرون ذلك كلَّه تفسيراً يُقِرُّه العقلُ والمنطقُ ، ويؤيِّده العلمُ والبرهانُ .

كان من هؤلاء الثائرين المؤمنين ، الثائرين على الفلسفة ومفروضاتها وتهويلاتها ، والمؤمنين بكتاب الله ، ووصفِ الله نفسه ظاهراً وباطناً علماءُ ينفون عن هذا الدين تحريفَ الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين(١) ، لم يَخْلُ منهم عصرٌ ، وكان منهم ومِن أشهرهم شيخُ الإسلام الحافظ ابن تَيْمِيَة الحَرَّاني الدِّمَشْقِي في القرن الثامن ، فقد جمع ـ كما شهد به أعلام هذه الأمَّة ، ونطقت به كتبه ـ بين الإيمان القوي بكل ما جاء به الرسول ، ونطق به الكتاب ، والاقتناع بعقيدة السَّلف

---

(١) رواه القُضَاعي في مسند الشاميين (١/ ٣٤٤) ، ولفظ الحديث : « يحمل هذا العلمَ من كلِّ خلفٍ عدوله ، ينفون عنه تحريفَ الغالين ، وانتحالَ المُبْطِلين ، وتأويلَ الجاهلين » .

الصالح ، والاطلاع الواسع ـ الذي لا يُرَام فوقه ـ على ما دوِّن في صحائف هذه الأمَّة في الماضي ، والعلم الدقيق العميق بفلسفة اليونان ومنطقهم ، والمذاهب التي نشأت في الإسلام بتأثير الفلسفة اليونانية في قليل أو كثيرٍ ، والنقدِ القويِّ الحرِّ الجريء لمناهجها وبحوثها ، وقد رُزِقَ تلميذاً وخليفةً مشى على إثره ، وشرح ما أبهمه ، وجمع ما نشره ، وأكمل ما بدأه ، وهو العلامة ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (م ٧٩١هـ) .

وكان مِن خير من يُلْحَقُ بهما ، ويُذْكَرُ معهما شيخُ الإسلام حكيم الأمة الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدِّهْلوِي (م ١١٧٦هـ) صاحب « حُجَّة الله البالغة » فقد جمع بين العقيدة السُّنِّيَّة السلفية ، والفهم الدقيق للقرآن ، والخبرة الواسعة بالحديث ، والعلم بأسرار الشريعة ، وبين الدراسة العميقة الواسعة للفلسفة اليونانية ، وعلوم الحكمة ، والتصوُّف ، علماً وعملاً ، ووصل إلى درجة الاجتهاد ، وهو الذي نشر علمَ الحديثِ ، ورَوَّج بضاعته في الهند ، ودافع عن الإمام ابن تيمية والمحدِّثين ، وأَلَّف الكتب البديعة في مقاصد الإسلام والشريعة المنقطعةَ النظير في مكتبة الإسلام العامرة الواسعة .

وكان هؤلاء ـ ومن كان على شاكِلتِهم ـ أَجْدَر الناس بشرح العقيدة الإسلامية وعرضها ؛ إذ كانوا وسطاً بين الجامدين القُشُورِيِّين ، والجاحدين المُؤَوِّلين ؛ الذين يصرفون الكَلِمَ عن مواضعه ، يجمعون بين المعقول والمنقول والشريعة والحكمة ، مُطَّلِعين على المناهج الكلامية ، متمسِّكين بالكتاب والسنَّة وعقيدة السَّلف ، وكانت كتبهم ومؤلَّفاتهم أَجْدَرَ بالتدريس ، والاعتناء ، والشرح ، والإيضاح من كثيرٍ من الكتب التي يعنى بها في مدارسنا ، وجامعاتنا .

وكان كتابه « العقيدة الحسنة » مَتناً وجيزاً مُحْكَماً يجمع بين الدِّقَّةِ والسُّهولة ، وقد اشتملت على اللُّبِّ واللُّبَاب ، والمهم من العقيدة وعلم التوحيد الذي لا يسع المتعلِّم جهلُه ، وقد اختارته « ندوةُ العلماء » للتدريس في دار العلوم التابعة لها ، وقرَّرته الجامعةُ الإسلاميةُ في عَلِيكَرَه[1] وبعضُ المدارس الأخرى على قلة عددها وكثرة من جهل قيمته ولم يعرف قدره .

---

(١) أشهر الجامعات وأقدمها وأعظمها تأثيراً في عقلية المسلمين وسياستهم في بلاد الهند ، وتُعد=

وكان هذا الكتابُ في حاجةٍ إلى الشرح وإلى أن يضاف إليه ما قَرَّره المؤلِّفُ وكتبه في مؤلفاته الكبيرة فجاء كالشرح ، وما قَرَّره وكتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيِّم وغيرهما من المتكلِّمين ، فيزيده إيضاحاً وإحكاماً ويكون مادةً غزيرةً في علم التوحيد والعقيدة الإسلامية وخيرُ كتابٍ يدرَّس في علم الكلام ، يوافق أذهانَ الناشئة ويلائم هذا العصر الذي انصرفت فيه النفوس عن الكتب الطويلة الغامضة المعقدة ، والبحوث العقيمة المقعرة .

وكان صديقنا الجليل الشيخ محمد أويس الندوي (شيخ التفسير في دار العلوم وصاحب « التفسير القيِّم » للإمام ابن القيم) من أجدر الناس وأقواهم على هذا العلم العلي الكبير ؛ لأنه عاكفٌ على مطالعة آثار هؤلاء الشيوخ الثلاثة ـ ابن تيمية وابن قيِّم وولي الله الدِّهْلَوِي رحمهم الله تعالى ـ من زمانٍ ، وقد تتلمذ على أستاذنا العلامة السيد سليمان النَّدوي[1] رحمه الله ، ومكث معه مدةً من الزمان يدرِّس القرآن ويطالع

= من أرقى الجامعات في الهند وأوسعها ، أسسها الزعيم المسلم الشهير سَرْ سيِّد أحمد خان باسم « مدرسة العلوم » .

وقد نجحت جامعة عليكره في رسالتها نجاحاً كبيراً ، وأقبل عليها أبناء الأُسر الشريفة « الأرستقراطية » في عدد كبير ، وتخرَّج فيها رجالُ كثيرون شغلوا وظائف كبيرة في الحكومة وتمتعوا بثقتها ، وقد لعبت الجامعةُ وأبناؤها دوراً مؤثراً في حياة المسلمين وسياسة البلاد ، ومنها نبعت حركة القوميّة الإسلامية تقابل حركة القومية الهندية والوطنية ، يتزعهما رجال من الطبقة الأرستقراطية في المسلمين .

(١) هو المؤرخ الكبير ، العالم الجليل ، شيخ الندويِّين ، وأمير علماء الهند في عصره : العلامة السيد سليمان الندوي، أشاد بمكانته العلمية المرموقة شاعر الإسلام محمد إقبال قائلاً :

« يتبوَّأ السيد سليمان الندوي اليومَ أعلى مدارج حياتنا العلمية ، إنَّه ليس مجرَّد عالِم ، بل هو أمير للعلماء ، وليس بكاتبٍ فحسب ، بل إنَّه إمام الكتَّاب والمؤلِّفين ، إنَّ شخصه بحرٌ للعلوم والمحاسن تخرَّج منه مئاتٌ من الأنهار ، وتستقي منه ألوفٌ من المزارع اليابسة » .

كان من كبار المؤلِّفين في « السيرة النبوية » لعصره وكان من أبرز المؤلِّفين في السِّيَر والتاريخ الإسلامي بكامله ، وقد كان من مزاياه ، أنَّه وسَّعَ نطاقَ السيرة من سَرْدِ الأحداثِ وبيانِ الشمائل ووصفِ العادات إلى الرسالة المحمَّدية والتعليمات النبوية والشريعة الإسلامية ، وبحث شعبها المختلفة ، وبهذا المنهج المنفرد الموسَّع الذي سلكه أستاذُه العلامة شبلي النعماني في المجلَّدين=

هؤلاء الشيوخ تحت إشرافه وتوجيهه ، وكان رحمه الله كثيرَ الاهتمام كبير التقدير لهؤلاء يستفيد منهم ، ويقتبس من علمهم في فهم القرآن وفي علم الكلام ، والمؤلِّف يدرِّس القرآن الحكيم و « الفوز الكبير » للشيخ ولي الله الدهلوي « والعقيدة الحسنة » في دار العلوم منذ أعوامٍ طوالٍ ، فكان بحكم دراسته ومطالعته واتجاهه العلمي من أجدر العلماء بالقيام بهذه الخدمة العلمية الجليلة .

وقد وُفِّق ـ أطال الله بقاءه ونفع بعلمه ـ في هذا الشرح ، فقد جَمَع فيه ما نشر وانتشر في مؤلَّفات الشيوخ الثلاثة وتلاميذهم وشراح كتب العقائد جمعاً دلَّ على واسع اطلاعه وجميل ذوقه ، وسلامة طبعه ، فجاء هذا الكتابُ الصغير على وجازته وسهولته كتاباً غنياً بالمادة ، صغير الحجم كبير القيمة مغنياً عن الأسفار الكبار ، ليس لأهل المدارس عُذْرٌ في ترك تقريره ، الإفادة منه ؛ إلا أنه لعالم معاصر يتصل بمدرسةٍ معاصرةٍ ذات شهرةٍ خاصةٍ ، وأنه أُلِّف في هذا الزمن وليس له قدسيةُ القديم من الكتب ، وما كلُّ حديثٍ يُعَابُ .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

= الأولين السيرة النبوية ، وسلكه العلامة السيدُ سليمان في المجلَّدات الخمسة الباقية ، أصبح الكتابُ موسوعةً للسيرة لا يوجد لها نظيرٌ في أيِّ لغةٍ من لغات المسلمين في العالم من أقصاه إلى أقصاه.

وقد انتقل في آخر حياته ـ قبل انتقاله نهائياً إلى باكستان ـ إلى إمارة بُوْفَال، وشَغَلَ مناصب رئيس القضاة والمستشار للشؤون الدينية ، ومكث هناك أربع سنوات ، ثم اشترك في إعداد الدستور لجمهورية باكستان الإسلامية ، وقام بإرشاد هذا البلد الفتي دينياً.

توفِّي بكراتشي عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) وشيِّعت جنازتُه بجمعٍ حافلٍ من العلماء والأعيان .

له كتبٌ قلَّما يُوجَد لها نظيرٌ في لغة من اللغات ، وكتاب « خطبات مَدْرَاس » (ترجمتها العربية « الرسالة المحمدية » و « سيرة عائشة » و « حياة مالك » و « أرض القرآن » و « صلات الهند ببلاد العرب » وغيرها من الكتب والرسائل ، و « الرسالة المحمدية » قلَّما يوجد لها نظيرٌ في القوة والتأثير وفي جمالِ التعبير ، وبثِّ حلاوة الإيمان ، وتوثيق الصلة بذات النبي ﷺ ، وهو عُصارةٌ لمكتبةٍ كاملةٍ في السيرة النبوية .

مقدماته

لكتب في الزهد والتصوُّف والأخلاق

١ ـ كتاب الزهد الكبير : للإمام المحدِّث أحمد بن حسين البيهقي

٢ ـ بين التصوُّف والحياة : للعلاَّمة عبد الباري النَّدوِي

٣ ـ سمير المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص : للشيخ محمد الحجَّار

كتاب الزهد الكبير

للإمام المحدث أحمد بن حسين البيهقي

(المتوفى سنة ٤٥٨ هـ)

حققه وعلق عليه

الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم : العلامة الداعية الإسلامي الكبير
أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسلام على سيِّد المُرْسَلين ، وخاتم النبيِّين محمَّد وآله وصَحْبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

وبعد . . فقبل أن أقَدِّم هذا الكتاب الجليلَ ، لعالم جليل من علماء الإسلام ، وإمامٍ كبيرٍ في الحديث والسنَّة ، وهو كتاب « الزهد الكبير » للحافظ البيهقي ، وأشيدَ بمكانته في الكتب الكثيرة التي أُلِّفت في هذا الموضوع ، وميزاته ، وفوائده ، وأُشير إلى مجهود محقِّقه والمعلِّق عليه ، الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي ، ومَدَى نجاحِه وتوفيقه في إخراج هذا الكتاب .

قَبْلَ أن أَدْخُلَ في صميم الموضوع ، يَحْسُنُ بي أن أستعرِضَ مَوقف الإسلام وموقف رسولِه ﷺ من هذه الحياة ، وأستعرضَ نظرةَ القرآن كذلك إلى هذه الحياة ، وتحديدَه لموقفٍ من يُؤمن به منها ، فذلك هو القُطْبُ الذي يدور حوله هذا السِّفْرُ الجليل وكلُّ ما كُتِبَ في هذا الموضوع ، وبذلك نستطيع أن نعرف قيمة هذا المجهود العلميِّ ، ونقدر على تقييمه تقييماً صحيحاً ، ولو كانت هذه المحاولةُ من إشاراتٍ عابرةٍ ، وإحالةٍ على دراسة القرآن ، والسيرة ، والسنَّة النبوية في تفصيل وعُمْقٍ .

إنَّ ممَّا لا يَشُكُّ فيه قارىء القرآن الكريم ـ ولو لم يكن من أصحاب التدبُّر العميق ، والاختصاصِ في علومه ـ : أنَّ القرآن يقرِّر قِصْرَ هذه الحياة الدنيا ، وتفاهتها ، وتضاؤلها في جنب الآخرة ، والآيات في ذلك أكثرُ من أن تُستوعب في

هذا التقديم[١] ، ويقرِّر في صراحةٍ ووضوحٍ أنها قَنْطَرَةٌ للآخرة ، وفرصة للعمل[٢] ، ويقرِّر : أنَّ الآخرة هي خيرٌ وأبقى[٣] ، وهو يذمُّ ويُشنِّعُ على من يُؤْثِر الدنيا ـ هذه الفانية العارضة السقيمة الناقصةَ ـ على الآخرة ، الباقية الخالدةِ الواسعةِ ، الصافيةِ من الأكدار ، الخالية من الأخطار[٤] ، ويَمْدَح من يجمع بين الدنيا والآخرة ، مع إيثار جانب الآخرة على جانب الدنيا ، ومعرفة قيمتها وفضلها والحرص عليها ، فيقول : ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠٠ـ٢٠١] .

وهناك تتعارضُ تعاليمُ النبوَّة مع الفلسفات المادية ، والتفكير المادي الذي يُلِحُّ على أنَّ هذه الحياة هي كلُّ شيءٍ ، وهي المنتهى ، ويُبالِغُ في تمجيدها وتقديسها والاحتفاء بها ، والحرصِ على ترفيهها ، وتحسينها ، وتزيينها ، وقد تجلَّت هذه النفسيةُ القرآنيةُ ، أو النظرةُ القرآنيةُ إلى الحياة في كلام النبيِّ ﷺ إلى حدٍّ لا يحمل معه على بادرةٍ ، أو تأثُّرٍ مؤقَّتٍ ، وتجلَّتْ في سيرته ، وفي حياته العائلية والشخصية ، وفي موقفه من متاع الدنيا ، في حالتي الضِّيْق والسَّعَة ، وفي زمن العُسْرِ واليُسْرِ تجلِّياً لا يتطرَّق إليه شَكٌّ ، ولا يحتمل التأويل .

وقد انصبغ كلُّ من تلقَّى التربيةَ في هذه المدرسة النبوية بهذه الصِّبْغَةِ ، وكان حظ الأقربين إليه أكثر من حظ غيرهم ، فقد سيطرت عليهم فكرةُ الآخرة ، وجرتْ منهم مجرى الرُّوح والدم ، وتغلغلتْ في أحشائهم ، فأصبحوا لا يذهلون عن الآخرة ، ولا يبغون بها بدلاً ، ولا يُؤثرون عليها شيئاً ، ويكفي القارىء أن يقرأ سيرةَ تلاميذ

---

(١) اقرأ على سبيل المثال سورة براءة : ٣٨ ، وسورة العنكبوت : ٦٤ ، وسورة الحديد : ٣٠ .

(٢) سورة الكهف : ٧ ، سورة الملك : ٣ .

(٣) سورة الأنعام : ٣٢ ، سورة القصص : ٦٠ .

(٤) سورة يونس : الآية : ٧ ـ ٨ ، سورة هود : ١٥ ـ ١٦ ، سورة إبراهيم : ٢ ـ ٣ ، سورة النازعات : ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ، سورة الإنسان : ٢٧ ، سورة النجم : ٢٩ ـ ٣٠ ، سورة الروم : ٧ .

هذه المدرسة ، ولو على طول ا لأمد وبُعْدِ الزّمان في كتب التاريخ والتراجم ، حتى لا تستطيع العقولُ التي لم تتلقَّ هذا الفهم القرآنيَّ[1] أن تفهم هذه الفكرة ، وتسيغها إساغةً كاملةً ، وأن تعطي هؤلاء الربَّانيين ـ من غير رهبانيةٍ ورفضٍ للدنيا ، وزهدٍ سلبيٍّ ـ حقهم من التقدير والإكبار ، ولا تزال في صراع من هذه الأنماط من الحياة ، ومن هذه القصص من التاريخ ، ومن هذا اللَّوْنِ من السُّلوك وتلتجىء إلى تعليلاتٍ أو تشكيكاتٍ ، أو حمل على التأثرات الخارجية أو الأحوال الطارئة .

ولكن الذي لا غُموضَ فيه : أنَّ القرآن ، وسيرة الرسول ، والحديث النبوي الشريف مملوءة بهذه الرُّوح ، وأنَّ هذا هو المِزَاج الإسلاميُّ ، أو النفسيةُ الإسلاميةُ ، التي تتكوَّن تحت تأثير التربية الإسلامية النبوية ، وكلَّما استطاع القرآنُ ، وكلما استطاعت السيرةُ النبويةُ أن تعمل عملها بحريّةٍ ، ولم تُساوِرْه العواملُ الأجنبيةُ ، كان ذلك مزاجَه ، وطبيعتَه ، ونفسيتَه . زهد في هذه الدنيا وزخارفها ، وفضولها ، وقناعة بالقدر الكافي ، واهتمامٍ بالآخرة ، وما ينفع فيها ، وحنين إلى لقاء الرَّبِّ ، وإيثار ما عند الله ، واستقبال للموت على الإيمان في سبيل الله[2] .

وعلى هذا الدَّرْب من إيثار الآجلة على العاجلة ، والاستعدادِ للآخرة ، والحنينِ إلى نعمائها وسعادتها ، والاقتصاد في أسباب الحياة ، والتبلغ ببُلْغَةٍ منها ، والتزام السَّداد والاقتصاد درجت الأجيالُ الإسلاميةُ ما دام القرآنُ رائدَها ، والسيرةُ النبويةُ نموذجها ، والمثالُ الذي يقتدى به ، ولم يزل يظهر في المجتمع الإسلامي ربَّانيُّون ، ورجالٌ كأنهم خُلِقوا للآخرة ، يَكْبَحون جِماحَ المادية ، ويحدُّون من سَوْرَة النفوس ، ويقفون حاجزاً في سبيل الاسترسال إلى الشَّهوات ، والانجراف في تيَّار الحياة المصطنعة ، والمدنيةِ الزائفةِ ، التي جاءت بها الفتوحُ الواسعةُ ، والثرواتُ المتدفِّقَة ، والحضاراتُ العجميةُ الدخيلةُ ، وأعان على ذلك ضَعْفُ

---

(١) سُئلت عائشة رضي الله عنها ، عن أخلاق الرَّسول ﷺ فقالت : « كان خُلُقُه القرآنُ » أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٠٨) .

(٢) اقتباسٌ وتلخيصٌ من مقال صاحب التقديم (نظرة القرآن إلى الحياة الدنيا) ، للعلامة الندوي نفسه في كتاب « دراسات قرآنية » .

الدعوة الدينية ، وغيابُ النماذج العمليةِ المؤثِّرة في الخلفاء ، والعلماء ، والموجِّهين ، ومن ينظر إليهم كقُدوةٍ ، وأُسوةٍ ، وهذه هي الطبيعة البشرية على مدى العصور ، وشهادةُ التاريخ ، وقصَّة الأمم الماضية ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٢] .

ومن هذه المحاولات الواعية الحكيمة للتعديل من هذه الشِّرَّةِ ، والتخفيف من هذه الشِّدَّةِ ، ورَدِّ الأمَّة الإسلاميةِ (وخاصة المثقَّفين منهم الذين لم يزالوا ولا يزالون في مركز القيادة والتأثير) الكتب التي أُلِّفت في موضوع الزُّهْد ، وقد انبرى له أئمةٌ كبار أمثال عبد الله بن المُبارك ، والإمام أحمد ، ووَكِيعٍ ، وحَمَّاد ، وابن السّري ، والمُعافَى بن عمران المَوْصلي ، والحافظ محمَّد بن فضل بن غَزْوان الكُوْفي(١) .

وقد عَدَّ الباحثون عشرين مؤلَّفاً في هذا الموضوع .

وأمامنا الآن كتابُ « الزهد الكبير » للحافظ أبي بَكْر أحمد بن الحسين البَيْهَقِيِّ صاحب « السّنَن » المشهورة ، المتوفَّى ٤٥٨هـ ، وهذا الكتابُ يَستحق أن يُسَمَّى موسوعةً في بيان الزهد ، وأنواعه ، وفي الترغيب فيه ، وذمّ الدنيا ، والاسترسال إليها ، وأحوالِ السَّلف ، وقصصهم ، وأخبارهم ، وفي بيان العُزْلَة ، والخمول ، وقواعدهما ، وآفاتهما ، وآدابهما .

وقد جاء فيها بحكاياتٍ مُثيرةٍ مُنَبِّهةٍ ، تلقي ضوءاً على بعض نواحي المجتمع الإسلامي الاجتماعية ، وما كان يغزوه من عِللٍ وأسقامٍ ، لا يخلو منها مجتمعٌ قد بلغ قِمَّتَه من توسُّعٍ ، وتفنُّنٍ ، وتأنُّقٍ ، ولماذا آثر كثير من أصحاب المبادىء والضمائر ، والحريصون على السلامة والاستقامة العُزلة والخمول في هذا المجتمع الهائج المائج . وقد جمع في هذا الفصل فوائدَ تاريخية قد جاءت عرضاً ومن غير قصدٍ ، لعلَّها لا تُوجَد في كتب التاريخ والأدب .

وقد عقد فصلاً في الجزء الثاني في تَرْكِ الدنيا ومخالفةِ النفس والهوى ، وفصلاً

---

(١) انتقيتُ هذه الأسماء من مقدمة الدكتور تقي الدين الندوي ، محقِّق هذا الكتاب [العلامة الندوي] .

في قِصَر الأمل والمبادرة بالعمل قبل بلوغ الأجل ، وكان شأنهُ في هذا شأنه في الفصول الأخرى في الاستيعاب ، والاستقصاء .

ولم يكتفِ المؤلف بالجزئين مع احتوائهما على كلِّ ما يتصل بالموضوع حتى جاء الجزءُ الثالثُ ، وقد جاء فيه بخُطَبٍ ورسائلَ لكثيرٍ من البلغاء والعلماء والأتقياء ، وحكاياتٍ تُرقِقُ القلوب وتُذرِف العيونَ . وفي الجزء الرابع بابُ الوَرَعِ والتقوى ، وهو كذلك بابٌ مفيدٌ . وانتهى الكتابُ بالجزء الخامس ، وأكثره أحاديثُ مرويةٌ وأخبارٌ صحيحةٌ ، وأقوالٌ مأثورةٌ من الصحابة ، والتابعين ، فكان خيرَ خِتامٍ .

ويستطيع القارىء الواعي أن يَخْرُجَ من هذا الكتاب بصورةٍ واضحةٍ أمينةٍ للمجتمع الإسلامي القديم ، وما كان يَجيش فيه من نَزعاتٍ متناقضةٍ ، والدور الإصلاحي والتربوي الذي قام به الربَّانيون من هذه الأمَّة ، وما حَدَث من رَدِّ فعلٍ ضِدَّ المَوْجةِ الطاغيةِ من الثَّراء والرَّخاء والتَّرف الذي اكتسح المجتمعَ الأموي والعباسيَّ بحكم اتساع الدولة ، وتهيؤُ الفُرَص للبَذْخِ والتوسُّع في المطاعم والمشارب والسَّراري والمَباني والقصور ، وكان شيئاً طبيعياً وإن لم يكن كلُّه صحيحاً مبرَّراً .

وكثيراً ما كانت حركةُ ردِّ الفعل عنيفةً لا تخلو من تطرُّفٍ ومغالاةٍ ، وهنالك يَنْطِق الكتابُ المبينُ ، وتتدخَّل السنَّةُ الصحيحةُ البعيدةُ عن الاتجاهاتِ الفرديةِ والنوازعِ الداخليةِ ، والانعكاساتِ الخارجيةِ ، وتميِّز بين الغثِّ والسَّمين ، والخالص والزائِف ، والأصيل والدَّخيل .

ويغلب على الكتاب المنهجُ الموسوعيُّ الذي كان من سِمات المؤلِّفين الأقدمين والمحدِّثين المتوسِّعين ، ولا شَكَّ : أنَّ في الحكايات من التأثير والترقيق ما ليس في البحوث العلمية وشَقّ الشَّعْرَة في الأسلوب المنطقي ، وفي هذا الكتاب مادةٌ خَصْبَةٌ من هذا النوع ، إلَّا أنَّ في الكثير من الحكايات شِدَّةٌ ومبالغةٌ تنشأ لأسبابٍ تختص بأصحاب الحكايات، ومن ردود فعلٍ ومقاوماتٍ معاكسةٍ لا يتسنَّى تقليدُها لأبناء هذا العصر، وقد خَلَط المؤلِّفُ الأحاديثَ المَرْوِيَّةَ بأقوال السَّلَفِ وأبياتهم في هذا المعنى، وفي الأبيات الكثيرة التي استشهد بها مجال لمؤرِّخ الأدب والمَعْنِيِّينَ به عسى أن يجدوا فيها ما يُرضي الذَّوقَ ، وما فات المدوِّنين للشعر العربي في مختلف العصور والأمصار .

ولعلَّ الكتابَ أجْمَعُ في هذا البابِ والخطيبُ في المِحراب ، وفي هذا العصر الذي قد تَعَدَّتْ الماديةُ طَوْرها ، وضربت الرَّقَم القياسيَّ في الرفاهية والمدنيَّة لتقدُّم العلوم والصناعة ، واكتشاف الطاقات الباطنية الأرضية ، وضَعْفِ الدعوة القائمة على أساس الآخرة كان نَشْرُ هذا الكتابِ وتحقيقه مما يُلجمُ كثيراً من الناس الذين أمعنوا في التمتُّع بالحياة والاسترسال إلى الشهوات ، والعَبَثِ بالمال ، ويُحْدِث فيهم شيئاً من الاقتصاد ، أو على الأقلِّ يُثير فيهم التفكيرَ ، والاهتمامَ بما ينفع في الآخرة .

وكان الكتابُ على شهرة مؤلِّفه ، وجلالة شأنِه مطموراً في رُكَامِ الكتبِ الخطِّيةِ في المكتبات الأثَرِيَّة ، وقد كان صديقُنا الفاضل الدكتور تقي الدين النَّدوِي مُوفَّقاً في اختيار هذا الكتاب لرسالة الدكتوراه التي كان قد قدَّمها إلى الأزهر الشريف .

وقد انتسخ الكتابَ من نسخةِ مكتبة عارف حِكْمَتْ بالمدينة المنوَّرة ، وقابَلَها مع نُسَخٍ أخرى .

وقيَّد ما كان من اختلافٍ في النسخ في الهوامش .

وخرَّج الروايات من كتبٍ أخرى ، خاصةً الروايات المرفوعة والموقوفة .

وبيَّن درجةَ كلِّ حديثٍ مرفوع ، واعتمد في ذلك على كلام المحدِّثين المُتقِنين .

وأشار إلى تراجم الرُّواة .

ووضع فهرساً جامعاً للصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم على حروف المعجم .

ووضع فهرساً للأحاديث المرفوعة والموقوفة .

وفي مطلع كل فصل أتى بكلام موجز جامعٍ من كلام المحدِّثين والعلماء .

وشرح بعضَ ما دقَّ وغَمُضَ من ألفاظ الروايات وعباراتها ، وفَسَّر غريبها .

وعلاوةً على كلِّ ذلك قَدَّم المحقِّقُ مقدِّمةً ضافيةً في الزُّهْدِ ، فيها بحثٌ طويلٌ ، ونقولٌ كثيرةٌ في مكانة الزهد في الإسلام ، وما هو الزهد ؟ وما هي علاماته ،

ودرجاته ؟ وجاء بمقتطفاتٍ من كلام الغزالي ، وشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، والحافظ ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة إضافةً إلى كلام السَّلف كالإمام حسن البَصْري وعبد الله بن المبارك ، ومن كلام الصُّوفية المحقِّقين كشيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهَرَوي .

وتَرْجَم المؤلِّفُ ترجمةً وافيةً ، وألقى الضَّوْءَ على كلٍّ ما يتصل به من نسبٍ ووطنٍ ، ونشأةٍ ، ورحلاتٍ ، وحياةٍ علميةٍ ، وذَكَر فَضْلَه في الانتصار للمذهب الشافعي والدفاع عن إمامه ووَرَعِهِ وزهده ، وتفصيلَ رسائله ومؤلفاته ، وبيان شيوخه وتلاميذه ، وقد استقصى ذلك استقصاء كبيراً ، ثم أفاض في وَصْفِ نُسَخِ الكتاب ، إفاضةً تَدُلُّ على سَعَةِ اطلاعه ، وشِدَّةِ عنايته بالموضوع .

وإنِّي إذ أكْتُبُ هذه السطورَ تقديماً لهذا الكتاب الجديد ، أهنِّىء الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي على نجاحه في هذا العمل التحقيقي ، وحُسْنِ اختياره للموضوع في عصرٍ وبيئةٍ كَثُرَتْ فيه البحوثُ ورسائلُ الدكتوراه على موضوعاتٍ تافهةٍ قليلةِ الجَدْوى ، بعيدةٍ عن الحياة ، مشوبةٍ بكثيرٍ من التشكيك في الحقائق ، والاعتمادِ الزائدِ على أقوال المستشرقين ، وأنصافِ العلماء من المتجدِّدين ، ولا شَكَّ : أنَّ الفضل في ذلك ـ بعد توفيق الله تعالى ـ يرجع إلى اشتغاله الطويل بتدريس الحديث الشريف في مراكزَ علميةٍ ودينيةٍ كبيرةٍ ، كـ « دار العلوم لنَدْوَة العلماء في لَكْنُو وغيرها من الجامعات ، وتخرُّجه على الراسخين في العلم ، والمحدِّثين الجَهَابِذَة كبركة العصر ، ورَيْحانة الهند ، العلاَّمة المحدِّث الشيخ محمد زكريا السَّهَارَنْفُورِي، والعالم المحدِّث الواسع الاطلاع فضيلة الشيخ المرحوم حليم عَطا[1] أستاذ الحديث الشريف بندوة العلماء ، والشيءُ من مَعْدَنِه لا يُسْتَغْرَبُ .

---

(١) هو الشيخ العلاَّمة حليم عطاء السَّلُوني الرَّاي بَرِيْلَوِي ، كان من كبار أساتذة « دار العلوم ـ ندوة العلماء » ، ومن أصحاب العلم الموسوعي ، ومن المُطَّلِعين المتضلِّعين من علوم السَّلَف ومؤلَّفاتهم ، خصوصاً شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلاميذه العمالقة ، ورجال مدرسته . وقد تخرَّج عليه صفوةٌ طيبةٌ من كبار العلماء ، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ٢٠ صفر عام ١٣٧٥هـ .

نرجو له من الله التوفيق المزيد ، والعُمْرَ المديد ، والعملَ المُفيدَ ، وعلى الله قصدُ السبيل .

أبو الحسن علي الحسني الندوي
رئيس « ندوة العلماء » وجامعتها بالهند

رائي بَرِيْلي ـ الهند
١٨ رمضان المبارك ١٤١٠هـ
٢١ من يوليـــــو ١٩٨١م

بين التصوُّف والحياة

للأستاذ الكبير الشيخ عبد الباري النَّدوِي
أستاذ الفلسفة الحديثة في الجامعة العثمانية بحيدر آباد سابقاً

نشر وتوزيع
مكتبة دار الفتح بدمشق
ص.ب : ٤٧٥

نبذة من ترجمة المؤلف[1]

كان مِن طليعة المتخرِّجين في دار العلوم ، ومن روَّاد الفلسفة الحديثة وكبار مُترجِميها في الهند ، ومن علماء بيان مقاصد الإسلام ومناهجه في الاقتصاد والعلوم الاجتماعية في هذا العصر .

كان متوقِّدَ الذكاء وذا بصيرةٍ نافذةٍ ، وتوليدٍ للأفكار والمعاني من كلِّ ما يقع تحت سمعه وبصره ، يعرف الدينَ والدنيا ، ويُجيد الفهمَ ، ويجيد القولَ ، ويجيد الكتابةَ ، وإنْ لم تَخْلُ كتاباتُه عن التفلسف بعض الحين لاشتغاله بالموضوع زمناً طويلاً .

قرأ الكتبَ الدراسية الدينية ، وقرأ كذلك إلى جانبها التاريخ والعلوم الحديثة والقديمة على العلامة شبلي النعماني ، واستفاد منه استفادةً تامةً وتأثَّر به تأثراً كبيراً ، ولازمه إلى آخر عمره ، وكذلك استفاد خلال دراسته في الجامعة من العلامة السيد سليمان الندوي .

ثم بدأ سلسلة الدراسة الواسعة للعلوم والفلسفة الحديثة حتى بلغ فيها مبلغاً عظيماً ، وخلال دراسة الفلسفة أُعجِب بشخصية « بركلي » ونقل كتابه : Principle of Human Knowledge « مبادىء العلم الإنساني » إلى اللغة الأردية ، وألَّف كتاباً في شخصية بركلي ، علَّقَ فيه على أفكاره ، وأبرَزَ بعضَ النواحي الفلسفية .

مارسَ الأستاذ عبد الباري في مجال التدريس في عدة جامعات هندية ، ومنها أولاً : في كلية « بُوْنة » حيث درَّسَ بضعة شهور ، ثم في كلية أحمد آباد ، درَّسَ فيها اللغة الإنكليزية عدة سنوات ، وألقى خلال إقامته في هذه الكلية محاضرةً قيمةً باللغة الأردية بعنوان « الدين والعلوم العقلية » التي نالت إقبالاً عظيماً لدى الأوساط العلمية ، وبذلك طارت شهرته ، ولمع اسمُه ، وسما نجمُه حتى وجِّهت إليه الدعوةُ من الجامعة العثمانية بحيدر آباد (التي كانت كبرى الجامعات في الهند يومئذ) أن يتولَّى تدريسَ الفلسفة الحديثة فيها ، فعكفَ الأستاذ على تدريس الفلسفة فيها عشرين سنة ، وبعد ذلك أحيل إلى المعاش ، وتفرَّغ للتأليف .

بعد التقاعد في الجامعة اتصل بالمُصلِح الكبير ، المربِّي الجليل الشيخ أشرف علي التَّهَانَوِي ،

---

(١) من كتاب : « أبو الحسن الندوي الإمام المفكِّر الداعية المربي الأديب » لسيد عبد الماجد الغوري (الطبعة الثالثة) ص : (٨٨٢ ـ ٨٨٣) .

وتأثَّر به روحياً ، ولم تزده الأيامُ والتجارب إلا إعجاباً بشخصيته ، ولازمه إلى أنْ توفي ـ رحمه الله ـ ثم عكَفَ على تلخيص مؤلَّفاته ، والاقتباس منها ، ونظمها في أسلوبٍ كتابيٍّ عصريٍّ ، ومن أنفع تلك المؤلَّفات وأشهرها : « بين التصوف والحياة » والذي نقله إلى العربية الشيخ محمد الرابع الندوي .

توفِّي ـ رحمه الله ـ عن خمسة وثمانين من عمره الحافل بالأعمال العلمية سنة ١٣٩٦ هـ بلكهنؤ ، وصلَّى عليه العلامة أبو الحسن الندوي بجمعٍ عظيمٍ من المسلمين .

وللأستاذ عبد الباري الندوي مؤلَّفاتٌ نفيسةٌ ، وقد نالت كلُّها قبولاً بالغاً ، واستحساناً كبيراً لدى الأوساط الدينية والعلمية في الهند ، وخارجها : في العالم الإسلامي ، والعربي .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم الأستاذ الكبير العلاَّمة أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي

الحمدُ لله ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى .

أمَّا بعد : فإنَّ للمُصْطَلَحاتِ والأسماء الشائعة بين الناس للأشياء جنايةً على الحقائق ، ولهذه الجناية قِصَّةٌ طويلةٌ في كلِّ فنٍّ ولغةٍ ، وفي كلِّ أدبٍ ودِيْنٍ ، فإنَّها تولِّد كائناً آخر ، تنشأ عنه الشُّبُهات ، وتَشْتَدُّ حوله الخصوماتُ ، وتتكوَّن فيه المذاهبُ ، وتُسْتَخْدَمُ لها الحِجَجُ والدَّلائلُ ، ويَحْمى فيها وَطِيْسُ الكلامِ والخِصَامِ ، فلو عَدَلْنا عن هذه المصطلحاتِ المُحْدَثَةِ ، وعن هذه الأسماء الحِرَفيَّة ، ورجَعْنا إلى الماضي ، وإلى الكلمات التي كان يعبِّر بها الناسُ عن هذه الحقائق في سُهولةٍ وبساطةٍ ، وإلى ما كان يَنْطِق به رجالُ العهد الأول ، والسَّلَفُ الأقدمون ؛ انْحلَّتْ العُقْدَةُ ، وهانَ الخطبُ واصطلح النَّاسُ .

ومن هذه المُصْطلَحاتِ والأسماءِ العُرْفِيَّةِ التي شاعتْ بين الناس « التصوُّف » ، ومن هنا ثارتْ أسئلةٌ وبحوثٌ وتساءلَ الناسُ : ما مدلولُ الكلمة وما مَأْخَذُها ، هل هو من الصُّوْفِ ، أو من الصَّفاء ، أو من الصَّفْو ، أو من الصِّفَة ؟ أو هي مأخوذةٌ من الكلمة اليونانية (صوفيا) ومعناها : « الحكمة »[1] ؟ .

ومتى حَدَثَتْ هذه الكلمةُ ؟ ولم نعرف لها أثراً في الكتاب والسنَّة ، وما جاءت في كلام الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعين لهم بإحسانٍ ، وما عُرِفَتْ في خير

---

(١) كلها أقوالٌ قيلت في معنى التصرُّف واشتقاقه .

القُرون ، وكلُّ ما كان هذا شأنه ؛ فإنه من البِدَع المُحْدَثَةِ ، وحَمِيَتِ المعركةُ بين أصدقائه ، وخصومه ، والمُوافِقين ، والمُعارِضين حتى تكوَّنت بذلك مكتبةٌ كبيرةٌ يَصْعُبُ استعراضُها .

أمَّا إذا عَدَلْنا عن هذا المُصْطَلحِ الذي نشأ وشاعَ في القرن الثاني[1] ، ورجعنا إلى الكتاب والسنة وعصر الصحابة والتابعين ، وتأمَّلنا في القرآن والحديث ؛ وجدنا القرآنَ يُنَوِّه بشُعْبَةٍ من شُعَبِ الدِّين ، ومهمَّةٍ من مُهِمَّات النُّبُوَّةِ يعبِّر عنها بلفظ « التزكية » ، ويُذكُرها كركنٍ من الأركان الأربعة التي بُعِثَ الرسولُ الأعظمُ ﷺ لتحقيقها ، وتكميلها : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] ، وهي تزكيةُ النفوس ، وتهذيبها ، وتحليتها بالفضائل ، وتخليتها من الرذائل ، التزكية التي نرى أمثلتها الرائعة في حياة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وإخلاصهم وأخلاقهم ، والتي كانت نتيجتَها هذا المجتمعُ الصالح الفاضل المثاليَّ الذي ليس له نظيرٌ في التاريخ ، وهذه الحكومة العادلة الراشدة ؛ التي لا مَثِيلَ لها في العالم .

ووجدنا لسان النُّبوَّة يَلْهَجُ بدرجةٍ هي فوق درجة الإسلام والإيمان ويعبِّر عنها بلفظ : « الإحسان » ومعناها : كيفية من اليقين والاستحضار يجب أن يعمل لها العاملون ، ويتنافس فيها المُتنافسون ، فيُسْألُ الرَّسولُ ﷺ : ما الإحسانُ ؟ فيقول : « أنَّ تَعْبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ ، فإنْ لمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاكَ »[2] .

ووَجَدْنا الشريعةَ وما أُثِرَ عن الرَّسول ﷺ من الأقوال والأحوال وما دُوِّن في الكتب ينقسم بين قسمين : أفعالٌ وهيئاتٌ ، وأمورٌ محسوسةٌ كقيامٍ وقعودٍ وركوعٍ وسجودٍ ، وتلاوةٍ وتسبيحٍ وأدعيةٍ وأذكارٍ ، وأحكامٍ ومناسِك ، قد تكفَّل بها الحديثُ روايةً وتدويناً ، والفقه استخراجاً واستنباطاً ، وقام بها المحدِّثون والفقهاءُ ـ جزاهم الله عن الأمة خيراً ـ فحفظوا للأمَّةِ دينها ، وسهَّلوا لها العملَ به .

---

(١) كشف الظنون : (١/ ٢٨٠) ، نقلاً عن الإمام القُشَيْرِيِّ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل . . ، برقم (٣٧) .

وقسمٌ آخر هو كيفياتٌ باطنيةٌ كانت تُصاحِب هذه الأفعالَ والهيئاتِ عند الأداء وتلازمُ الرَّسول ﷺ قياماً وقعوداً وركوعاً وسجوداً ، وداعياً وذاكراً ، وآمراً وناهياً ، وفي خَلْوَةِ البيت ، وساحةِ الجهاد ، وهو الإخلاصُ ، والاحتسابُ ، والصَّبْرُ ، والتوكُّلُ ، والزُّهْدُ ، وغِنى القلبِ ، والإيثارُ ، والسَّخاء ، والأدبُ ، والحياءُ ، والخُشوعُ في الصَّلاة ، والتضرُّع والابتهالُ في الدعاء ، والزُّهْدُ في زخارف الحياة ، وإيثار الآخرة على العاجلة ، والشَّوْقُ إلى لقاء الله إلى غير ذلك من كيفياتٍ باطنيةٍ ، وأخلاقٍ إيمانيةٍ هي من الشريعة بمنزلة الرُّوح من الجسد ، والباطن من الظاهر ، وتندرج تحت هذه العناوين تفاصيلُ ، وجزئياتٌ ، وآدابٌ ، وأحكام تجعل منها علماً مُستقلاً ، وفقهاً منفرداً ، فإنْ سُمِّي العلمُ الذي تكفَّل بشرح الأوَّل وإيضاحِه وتفصيلِه ، والدَّلالةِ على طُرُقِ تحصيله : « فقه الظاهر » سُمِّيَ هذا العلمُ الذي يتكفَّل بشرح هذه الكيفيات ، ويَدُلُّ على طُرُقِ الوصول إليها : « فِقْهُ الباطن » .

فكان الأجْدَرُ بنا أن نُسَمِّيَ العلمَ الذي يتكفَّل بتزكية النفوس ، وتهذيبها ، وتحليتها بالفضائل الشرعية ، وتخليتها عن الرَّذائل النفسيةِ والخُلُقِيَّةِ ، ويدعو إلى كمال الإيمان والحصول على درجة الإحسان ، والتخلُّق بالأخلاق النبويَّة ، واتباع الرَّسول ﷺ في صفاته الباطنية ، وكيفياته الإيمانية ؛ كان الأجدَرُ بنا وبالمسلمين أن يُسَمَّوْه : « التزكية » أو « الإحسان » أو « فقه الباطن » ، ولو فعلوا ذلك ؛ لانْحَسَمَ الخلافُ ، وزال الشِّقاقُ ، وتصالَحَ الفريقانِ اللَّذان فرَّق بينهما المُصْطَلَحُ ، وباعدَ بينهما الاستعمالُ الشائعُ ، فالتزكيةُ ، والإحسانُ ، وفقهُ الباطن حقائقُ شرعيةٌ علميةٌ ، ومفاهيم دينيةٌ ثابتةُ من الكتاب والسِنة يُقِرُّ بها المسلمون جميعاً ، ولو تَرَكَ « المتصوِّفون » الإلحاحَ على منهاج عمليٍّ خاصٍّ للوصول إلى هذه الغاية التي يُعَبَّرُ عنها بالتزكية ، أو الإحسان ، أو فقه الباطن ـ فالمناهج تتغيَّر وتتطوَّر بحسب الزَّمان ، والمكان ، وطبائع الأجيال والظُّروف المُحيطة بها ـ وألَحُّوا على « الغاية » دون « الوسائل » لم يختلف في هذه القضية إثنانُ ، ولم ينتطح فيها عَنْزان ، وخَضَع الجميعُ ، وأَقَرُّوا بوجود شعبةٍ من الدِّين ، وركنٍ من أركان الإسلام ، يحسن أن نعبِّر عنه بالتزكية ، أو الإحسان ، أو فقه الباطن ، وأقرُّوا بأنه رُوْحُ الشريعة ، ولُبُّ لُبَابِ الدِّين ، وحاجةُ الحياةُ ، فلا كمالَ للدين ، ولا صلاحَ للحياة الاجتماعية ،

ولا لَذَّةَ - بالمعنى الحقيقي - في الحياة الفردية إلَّا بتحقيق هذه الشعبة في الحياة .

ومن هنا كانت جنايةُ هذا المُصْطَلَح والعُرْفِ الشائعِ « التصوُّف » على هذه الحقيقةِ الدينيةِ الناصعةِ عظيمةً ، فقد حَجَبَتْها عن أنظارٍ كثيرةٍ ، وصَدَّتْ فريقاً كبيراً من الناس عن سبيلها والحِرْصِ على تحصيلها ، ولكن كان ذلك لأسبابٍ تاريخيةٍ يطول ذِكْرُها والأمورُ تجري كثيراً على غير الأهواء ، والمَصالِح ، وليس لنا الآن أن نُقَرِّرَ الحقيقةَ ، ونتحرَّر من القيود ، والمصطلحات ومن النزعات ، والتعصُّبات ، ولا نفرُّ من حقيقةٍ دينيةٍ يقرِّرها الشَّرْعُ ، ويدعو إليها الكتابُ والسُّنَّةُ ، وتشتدُّ إليها حاجةُ المجتمع والفرد لأجل مُصْطَلَحٍ مُحْدَثٍ ، أو اسمٍ طارىءٍ دخيلٍ .

ثم جَنَى على هذه الحقيقة الدِّينيةِ شيءٌ آخر ؛ وهو أنَّه دَخَل فيها دجَّالون ، ومُحترِفون ، وباطنيون ، ومُلْحِدون ، اتخذوها وسيلةً لتحريف الدِّين ، وإضلال المسلمين ، وإفساد المجتمع ، ونشر الإباحية ، وتزعَّموا هذا الفَنَّ ، وحملوا لواءَه ؛ فكان ذلك ضِغْثاً على إبَّالة ، وزهَّد فيه ، ونَفَّر منه أهلُ الغَيْرةِ الدينية ، والمُحافظين على الشريعة الإسلامية ، وطائفةٌ أخرى من غير المحقِّقين لم يَعْرِفوا رُوْحَ هذه الشعبة وغايتها ، ولم يميِّزوا بين الغاية والوسائل ، فخلطوا بينهما ، وألحوا على الوسائل أحياناً وضيَّعوا الغاية ، أو أدخلوا ما ليس من هذا الفَنِّ في صميم هذا الفَنِّ وصُلْبِه ، وعَدُّوه من الكمالات ، ومن الغايات المطلوبة ، وعَقَّدوا المسألةَ وطَوَّلوها ، وجعلوا الشيءَ الذي يُكَلَّفُ به كلُّ مسلمٍ ، والذي هو لُبُّ الدِّين وحاجةُ الحياةِ لعزة ، وفلسفةٍ ورهبانيةٍ لا يَجْرُؤُ عليها ولا يطمع فيها إلَّا من نَفَض يدَه من أسباب الحياة ، ورفَض الدنيا وما إليها ، ولا شَكَّ : أن أولئك قليلٌ من قليلٍ في كلِّ عصرٍ وجِيْلٍ .

وليستْ هذه دعوةُ الدِّين ، ولا أُسْوَةُ الرسول ، ولا حكمةُ الخَلْقِ ، ولكنَّ الله قيَّض للمسلمين في كلِّ عصرٍ وجيلٍ من ينْفَون عن هذا الدِّين « تحريفَ الغالين ، وانتحالَ المُبْطِلين ، وتأويلَ الجاهلين »[1] ، ويَدْعُون إلى التزكية الخالصة من

---

(١) أخرجه الطبراني - مسند الشاميين رقم : (٥٩٩) .

شوائب العَجمِيَّة والفلسفة ، وإلى « الإحسان » و « فقه الباطن » من غير تحريفٍ وانتحالٍ وتأويلٍ ، ويجدِّدون هذا الطِّبَّ النبويَّ لكلِّ عصرٍ ، وينفُخون في الأمَّة رُوحاً جديدةً من الإيمان ، والإحسان ، ويجدِّدون صلةَ القلوب بالله والأجسام بالأرواح ، والمجتمع بالأخلاق ، والعلماءِ بالرَّبانية ، ويُوجِدون في الجمهور قُوَّةَ مقاومة الشهوات وفتنة المال والولد ، وزينةِ الحياة الدُّنيا ، وفي الخواص قُوَّةَ مقاومةِ تسلُّط الملوك وسياطهم ووَعْدِهم ووَعِيدِهم ، والجُرأةَ على الجهر بكلمة حقٍّ عند سلطانٍ جائرٍ ، والاحتساب على الملوك والأمراء والاستهانة بالمظاهر والزَّخارف ، والقَناعة باليسير .

فيستطيع أحدُهم أن يقول ـ وقد طُلِبَ منه أن يُقَبِّل يد الملك ليرضى عنه ـ « يا مسكين ! والله ما أرضاه أن يُقَبِّلَ يدي فضلاً عن أن أُقَبِّل يَدَه ، يا قوم ! أنتم في وادٍ ، وأنا في وادٍ »[1] . ويقول بعضُهم وقد عَرَض عليه ملكُ بلاده أن يَقْبَل شيئاً ممَّا آتاه اللهُ من الخير الكثير : « إنَّ الله يَصِفُ هذه الدينا بطُولها وعَرْضها بالقلَّة والخِسَّة فيقول : ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء : ٧٧] وقد رزقك الله جزءاً صغيراً من قطعتها الصغيرة ، فلا أرْزَؤُك فيه »[2] .

ويمدُّ أحدُهم رِجْلَه إلى أميرٍ جَبَّارٍ ، ويُرسِل إليه هذا الأميرُ صُرَّةً[3] من الذَّهَبِ ، فيرفضها قائلاً : « إنَّ مَنْ يَمُدُّ رِجْلَه لا يَمُدُّ يدَه »[4] .

فلا شَكَّ أنَّه لولا هؤلاء أصحابُ النفوس المُزَكَّاة ـ الذين وصلوا إلى درجة الإحسان ، وفقه الباطن ـ لانهار المجتمع الإسلاميُّ إيماناً وروحانيةً ، وابتلعت مَوْجَةُ « المادية » الطاغية العاتية البقيَّة الباقية من إيمان الأمَّة وتماسُكِها ، وضَعُفَتْ

---

(١) قالها الشيخ عز الدين بن عبد السلام (م ٦٦٠ هـ) .

(٢) قالها الشيخ المِرزا مظهر الدهلوي ، أحد كبار الشيوخ النقشبندية في القرن الثاني عشر الهجري .

(٣) الصُّرَّة : وهي ما يُجْمَع فيه الشيءُ ويُشَدُّ .

(٤) هو عالم دمشق : الشيخ سعيد الحلبي ، من رجال القرن الثالث عشر الهجري ، ذكر هذه القصةَ الشيخ علي الطنطاوي في كتابه : « رجال من التاريخ » .

صلةُ القلوب بالله والحياة بالرُّوح ، والمجتمع بالأخلاق ، وفُقِد الإخلاصُ والاحتسابُ ، وانتشرت الأمراضُ الباطنية واعتلَّت القلوبُ والنفوسُ ، وفُقد الطبيبُ ، وتكالَبَ الناسُ على حُكَّام الدنيا ، وتنافَسَ أهلُ العلم في الجاهِ والمالِ والمناصب ، وغلب عليهم الطمعُ والطُّموحُ ، وتعطَّلت شُعْبَةٌ من أهمِّ شُعَبِ النبوَّة ونيابتها وهي « تزكية النفوس ، والدعوة إلى الإحسان ، وفقه الباطن » .

انظرْ إلى بلادٍ ضَعُفَتْ فيها الدعوةُ إلى اللهِ والرَّبانية ، وتزكية النفوس من زمانٍ ، ونَدَرَ فيها وجودُ الدعاة إلى الله ، وتجديدُ الصلة بالله وإصلاحُ الباطن ـ بنفوذِ الحضارة الغربية أو للقُرْبِ من مركزها أو بفعل عوامل أخرى ـ إنَّك تشعر فيها بفراغٍ هائلٍ لا يملؤه التبحرُ في العلم ، ولا التعمُّق في التفكير ، ولا فضلٌ من ذكاءٍ ، ولا غنى من أدبٍ ولا نسبٍ قريبٍ بلغة الكتابِ والسنَّةِ ، ولا نغمة من استقلالٍ ، إنها أزْمَةٌ روحيةٌ وخُلُقِيَّةٌ لا عِلاجَ لها ، ومشكلةٌ من أَدَقِّ مشكلات المجتمع لا حَلَّ لها ، فالدَّهْماء ، والشَّعْبُ فريسة المادية الرَّعناء ، ونهامةُ المال العمياء والأمراض الاجتماعية والخُلُقِيَّة ، والمثقَّفون ـ الثقافة الدينية أو المدنية ـ فريسةُ الحِرْصِ على الجاهِ والمنصب والأمراضِ الباطنيةِ من حسدٍ ، وشُحٍّ ، ورياء ، وكِبْرٍ ، وأنانيةٍ ، وحُبِّ الظهور ، ونفاقٍ ، ومداهنةٍ وخضوعٍ للمادة والقُوَّة .

والحركاتُ الاجتماعيةُ والسياسيةُ تُفْسِدها الأغراضُ وعَدَمُ تربيةِ النفوس ، وضَعْفِ القادة ، والمؤسَّساتُ يُفْسِدها الخلافُ والشِّقاقُ ، وقلَّةُ الشعور بالمسؤولية والتفكير الزائد في المادة وزيادة الرواتب ، والعلماء يُضَعِّفُ سلطانَهم اهتمامُهم الزائدُ بالمظاهر ، وخوفُهم الزائد من الفقر ، وسُخْطُ الخاصة والعامة ، واعتيادُهم الزائد للحياة الرَّخِيَّةِ الناعمة ، ولا علاجَ لكلِّ ذلك إلَّا في « التزكية النبوية » التي نَطَق بها القرآنُ ، وبُعِث لها الرسولُ ، وفي « الربَّانية » التي طُولب بها العلماءُ ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

إنَّني لا أُلِحُّ على منهاجٍ خاصٍّ من التزكية دَرَج عليه جيلٌ من أجيال المسلمين ، واشتهر في الزَّمن الأخيرِ بالتصوُّف ـ من غير حاجةٍ إلى ذلك فقد كان في كلمات الكتاب والسنَّة ومصطلحاتهما غنى عنه ـ ولا أبرِّىءُ طائفةً ممن تَزَعَّم هذه الدعوةَ ،

واضْطَلَع بها من نَقْصٍ في العلم والتفكير ، أو خطأ في العمل والتطبيق ، ولا أعتقد عَصمتَها فكلٌّ يُخطِئُ ويُصيب ، ولكن لا بُدَّ أن نملأ هذا الفراغَ الواقعَ في حياتنا ومجتمعنا ، ونَسُدَّ هذا المكانَ الذي كان يشغله الدعاةُ إلى الله والربانية والمشتغلون بتربية النفوس وتزكيتها ، وتجديد إيمانها وصلتها بالله ، والدعوة إلى إصلاح الباطن والعناية بالفرد قبل المجتمع . وأقولُ للمتحمِّسين في نقد هؤلاء الدعاةِ والمُنْكِرين عليهم بلسان الشاعر العربي « الحُطَيْئَة »[١] :

أَقِلُّوا عليهم لا أبا لأبيكمُ ... مِن اللَّوْم أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا

وقد كانت الهندُ مركزاً لهذا الصِّنْفِ من التزكية والدعوة والرَّبانية لأسبابٍ تاريخيةٍ خاصَّةٍ نَشْرحها في الجزء الثاني من كتابنا « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » ، ونشطت فيها حركةُ الإصلاح ، وقَوِيَتْ حتى وصلت إلى أقصى العالم الإسلامي في الغرب والشرق ، ووُجد فيها مجتهدون استقلّوا في تفكيرهم ، وجدَّدوا هذا الفنَّ ، وسهَّلوه لأهل العصر ، ونَقَّحوه ممَّا التصق به من البِدَع والزوائد ، واستخلصوا منه خلاصة تُوافِق نفوسَ أهل العصر ، وطبائعهم ، وتقرِّب الطريقَ ، وتيسِّر الوصولَ ، نذكر منهم : الإمام الربَّاني الشيخ أحمد السَّرْهِنْدِي (م ١٠٣٤هـ) ، وشيخ الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ وَلِي الله الدَّهْلَوِي (م ١١٧٦هـ) ، والسيِّد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (م ١٢٤٦هـ) ، والعالم الربَّاني مولانا رشيد أحمد الكَنْكُوهي (م ١٣٢٣هـ) .

وقد كان من خُلفائهم المُصْلِحُ الكبير الشيخ أشرف علي التَّهانَوِي[٢]

---

(١) هو جَرْوَل بن أوس بن مالك العَبسي ، شاعرٌ مُخَضْرَمٌ ، أدرك الجاهلية والإسلامَ كان هجَّاء عنيفاً ، لم يكن يسلم من لسانه أحدٌ ، حتى هجا أمَّه وأباه ونفسَه ، مات سنة ٤٥ هـ .

(٢) هو المُصلح الكبير ، والمُربي الجليل : الشيخ أشرف علي التّهانوي ـ رحمه الله ـ ، ننقل ما جاء في كتاب « الإعلام . . . » ترجمته ، والتعريف به :
« كان مرجعاً في التربية والإرشاد ، وإصلاح النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، تُشدُّ إليه الرحال ويقصده الراغبون في ذلك من أقاصي البلاد وأدانيها ، وانتهت إليه الرئاسة في تربية المُرِيدين وإرشاد الطالبين والاطلاع على غوائل النفوس ومداخل الشيطان ، ومعالجة الأدواء الباطنية والأسقام النفسية . =

(م١٣٦٢هـ)، الذي هو مِن كبار علماء هذا العصر الربَّانيين . وأعظمُ مؤلِّفٍ في هذا العصر بالإطلاق ، ومِن أعظم من انتفعت بهم الهندُ في إصلاح العقيدة والعمل ، والرُّجوع إلى الله ، وإصلاح النفس ، وانتفع الناسُ بكُتبه انتفاعاً لم يُعْرَفْ لعالمٍ آخر في هذا الزَّمان ، وقد شرح اللهُ صدرَه لتيسير هذه الطريقة ـ التي كانت قد الْتَوَتْ وتعقَّدت ـ وتقريبها وتنقيح الغايات من الوسائل واللُّباب من القُشور والزوائد ، وبلغ فيها درجةَ الإمامة والاجتهاد ؛ حتى أقَرَّ له كبارُ العلماء والشيوخ والمُربين بالتفرُّد في هذا الباب والتجديد لهذا الفَنِّ ، ووَفَّقه الله عن طريق التربية والتأليف والوعظ لتجلية حقيقةِ التصوف ، وإقناع الناس بأهميته ، والحاجة إليه ، وتيسره لكل فردٍ على حسب طبقته وأشغاله وثقافته وعقليته ؛ حتى سَهُلَ منالُهُ ودنا جَناهُ ، وأقبل عليه العلماءُ والزعماءُ والمؤلِّفون والموظَّفون ، وكبار المثقَّفين والمعلِّمين في الجامعات ، وممَّن تأثَّر بالحضارة الغربية والفلسفة الحديثة ، وتعرَّض للإلحاد والمروق من الدين ، والعاطلون والمشتغلون ، وأهلُ النُّبوغ والذكاء ، وأهلُ الحِرَف والصِّناعات ، وأصحاب النفوس القويَّة ، وأهل الهِمَم الضعيفة على السَّواء حتى كان للتصوُّف وإصلاح الباطن مكانةٌ في الطبقة المثقَّفة ، ودولةٌ في هذا العهد الماديّ .

اختار اللهُ لعرْض الشيخ أشرف وفكرته ـ التي احتواها آلافٌ من الصفحات ـ أستاذنا الكبير الشيخ عبد الباري الندوي ، أحدَ تلاميذه الرُّوْحِيِّين ، وقد كان من

= كان من كبار العلماء الربَّانيين الذين نفع الله بمواعظهم ومؤلفاتهم .
وكان نفع كتبه ومجالسُ وعظِه عظيماً في إصلاح العقيدة والعمل ، واستفاد منها ألوفٌ من المسلمين ، ورفض عددٌ لا يحصيه إلا الله العاداتِ والتقاليد الجاهلية ، والرسوم والبدع التي دخلت في حياة المسلمين ، وفي بيوتهم وأفراحهم وأحزانهم ، بسبب الاختلاط الطويل بالكفار ، وأهل البدع والأهواء ، وكان له فضلٌ كبيرٌ في تيسير الطريقة وتقريبها ، وتنقيح الغايات من الوسائل واللُّباب من القُشور والزوائد .
له مصنَّفاتٌ كثيرةٌ ممتعةٌ بين صغيرٍ وكبير ، وجزء لطيف ومجلَّدات ، أحصاها بعض أصحابه وبلغت إلى نحو ثمانمئة (٨٠٠) .
توفي إلى رحمة الله تعالى لست عشرة خلون من رجب سنة اثنتين وستين وثلاثمئة وألف هجرية .

أجدر الناس بهذا العمل العظيم ، فقد كان معلِّماً للفلسفة الحديثة في الجامعة العثمانية بحَيْدَر آباد ، ومؤلِّفَ كتاب « بين الدِّين والعقليات » المشهور ، وعاشَ في الوسط الديني والعلمي ، وتخرَّج في معهدٍ كبيرٍ دينيٍّ ، وصحب كبارَ العلماء والمؤلِّفين والكُتَّاب في الهند ، وعاصَرَ دَوْرَ العقلية والتنوُّرِ والحرية الفكريةِ في هذه البلاد ، ودَرَس الفلسفة الحديثة بتعمُّقٍ وتوسُّع ، ثم مارس مِهْنَةَ التعليم في جامعةٍ من أرقى جامعات الهند ، ودرَّس طوائفَ من الشباب الأذكياء النابغين الفلسفة وعلومَ الدِّين ، واجتاز مراحلَ القَلَقِ الفكريِّ والارتيابية والسُّوْفسطائية ، وكان مُتصلاً بالمدارس الفكرية الحديثة في أوربَّة ، ثم ساقه سائقُ التوفيق إلى شيوخٍ مخلصين ، في مقدِّمتهم : الشيخ أشرف علي التَّهَانَوِي الذي خَصَّ الأستاذ بالثقة والعناية لذكائه وسلامة فَهْمه وصِدْق طلبه حتى حصلت له الإجازةُ منه ، ودامت الصلة بينهما ، وازدادت توثُّقاً وإحكاماً ، ولم تَزِدْه الأيَّامُ والتجارب إلا إعجاباً بشخصية شيخه ، وثقةً بفَهْمِه واجتهاده ، واستمرَّ اللِّقاءُ والمراسلاتُ حتى استأثرتْ بالشيخ رحمةُ الله (عام ١٣٦٢هـ) .

وانقطع الشيخُ بعدما أُحيلَ إلى المَعاش سنة ١٩٤٥م إلى تلخيص مؤلَّفاته ، والاقتباس منها ، والتقاط الدُّرر من بحارها ، ونظمها في أسلوبٍ كتابيٍّ عصريٍّ ، وعُنِي بعرض فكرته كفكرةٍ جامعةٍ وصورةٍ كاملةٍ في مؤلَّفاته ، ومِن أنفع هذه المؤلَّفات هذا الكتابُ الذي نقدِّم ترجمتَه بالعربية واسمه « تجديدُ التصوُّف والسُّلوك » ، أسميناه بالعربية « بين التصوُّف والحياة » ، وهو كتابٌ يُثبت في قُوَّة ووضوحٍ وأسلوبٍ علميٍّ : أنَّ الذي اعتاد المتأخِّرون أن يُسَمُّوه بالتصوُّف ، هو لُبُّ الإسلامِ وكمالُ الإيمانِ ، وإنَّه لا يسكن لرجلٍ ما أن ينال بركاتِ الإسلام وثمراته الدِّينية والدُّنيويةِ والفردية والاجتماعية والقومية والسياسية بدون أن يتحقَّق بهذا الكَيْف ويعني بإصلاح نفسِه ـ قبل غيره ـ ، وتزكيتها ، وتحليتها بصفةِ الإحسان ، وفقه الباطن .

وقد نَقَل هذا الكتاب القَيِّم الأستاذ محمَّد الرَّابع بن رشيد الحسني النَّدوي (أستاذ دار العلوم نَدوة العلماء) وبذل فيه جهدَه ومقداراً كبيراً من وقته ؛ لأن

التصوُّف قد أصبحت له لغةٌ خاصةٌ ، وتعبيرات خاصة في الهند يَصْعُبُ نقلُها والتعبيرُ عنها في اللغة العربية على شِدَّة اشتغاله بالدروس والإشراف على قسم الأدب العربي في دار العلوم ونشاطها الأدبي والصحافي .

وللمؤلف شكرُ القرَّاءِ والمنتفعين بهذه العلوم الصحيحة النافعة وإعجابهم ، وللمُترجمِ تقديرُهم واعترافُهم ، ولكلٍّ من له نصيبٌ في هذا العلم دعاؤهم .

في ٤ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ

أبو الحسن علي الحسني الندوي

سمير المؤمنين

في المواعظ والحكم والقصص

محمَّد الحجَّار

دار البشائر الإسلامية

بيروت

نبذة من ترجمة المؤلِّف

وهو العلامة الفقيه ، العالم المربِّي ، الشيخ محمد بن محمود الحجَّار الحلبي ثم المدني .

ولد عام ١٣٤٠هـ أو قبلها بقليل في مدينة حلب الشهباء . ونشأ في بيئة العلم والعلماء ، ولازم العلامة المحب الشيخ عيسى البيانوني الحلبي سنين طويلة ورضع منه حب النبي ﷺ وجالسه واستفاد منه الكثير الكثير حتى أجازه إجازةً عامةً بكل مروياته .

كما لازم العلامةَ المربي الشيخ محمد أبا النصر خلف الحمصي أثناء زياراته لحلب وكان يحبه كثيراً . كما حضر دروس العلامة الفقيه الشيخ سعيد بن أحمد الإدلبي الحلبي ، والعلامة الشيخ أحمد الكردي ، والعلامة الشيخ أحمد بن محمد الشمَّاع الحلبي ، والعلامة الشيخ عبد الله حماد ، والشيخ حامد هلال ، والشيخ محمد زين العابدين التركي الحلبي ، والعلامة الشيخ أسعد بن أحمد عبجي ، والشيخ بدر الدين الترمانيني والعلامة الشيخ إبراهيم بن محمد خير الغلاييني .

ومن الشيوخ الذين تأثّر بهم كثيراً في التربية والسلوك العلامة المربي الشيخ أحمد عز الدين البيانوني .

هاجر إلى المدينة المنورة وجاوز فيها متفرغاً للعبادة والتأليف وبعض الدروس العلمية لخواص الطلبة . وكانت له جلسات علمية خاصة مع الشيخ محمد زكريا البخاري والشيخ أحمد قَلَّاش الحلبي والشيخ حامد غريب ، واستمرت هذه الجلسات سنين طويلة بعد الفجر في الحرم ثم في أحد بساتين المدينة .

توفي في المدينة المنوَّرة قبل فجر يوم الخميس ، السادس من محرم ١٤٢٨ هجرية ، وصُلّي عليه الظهر في الحرم النبوي ودُفن في البقيع .

من أشهر أعماله :

١ ـ تحقيق كتاب « فتح العلام » للجرداني في الفقه الشافعي .

٢ ـ وتعليقاته على « بداية الهداية » للغزالي ، و« بستان العارفين » للنووي ، وكتاب « التبيان في آداب حملة القرآن » له .

٣ ـ كتاب الصحوة القريبة بإذن الله .

٤ ـ كتاب سمير المؤمنين .

٥ ـ كتاب من قصص التنزيل .

٦ ـ كتاب الحب الخالد .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

بقلم الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أمَّا بعد : فقد اطلعتُ على كتاب «سمير المؤمنين» لفضيلة الشيخ محمد الحجَّار من علماء حلب ، وأنا في مدينة الرسول ، وأجلت النَّظر في محتوياته ، فوجدت : أنَّ الاسم قد طابق المُسَمَّى ، والكتاب كحديقة زاهية واسعة متنوعة الأزهار والرياحين، ينتقل الإنسان فيها من جميل إلى أجمل ، ومن مفيدٍ ممتّع إلى مفيد مُمتع ، فلا يسأم ولا يَمَلُّ ، وهٰذا شأن السمير النافع الحاذق ، ففيه الخُطَبُ والوصايا ، والشِّعر الأدبي ، وقطوف من السيرة النبوية ، وحكايات لأبطال المسلمين والأئمة والمرشدين ، وفضائل السور ، ولطائف من التفسير ، ونماذج من الوعظ والنصائح ، وأمثلة من الأسلوب الحكيم ، ومجموعة من جوامع الدعاء .

نسأل الله أن ينفع به ويتَّخذه من يريد به خيراً سميراً ، وأن ينتفع به في دينه ودنياه ، وجزى الله جامعهُ ومؤلّفه والذي عُنيَ بنَشره وطبعه وإيصاله إلى راغبيه ومقدريه .

كتبه

أبو الحسن علي الحسني الندوي

على عجل وتزاحم أشغال

٢٥ من ربيع الآخر سنة ١٤٠٥هـ

مقدماته

لكتب في أخبار السَّلَف

١ ـ حياة الصحابة : للمحدِّث الشيخ محمد يوسف الكانْدَهْلَوي

٢ ـ صفحات من صبر العلماء : للشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة

حياة الصحابة

للعلاَّمة المحدِّث الشيخ محمد يوسف الكانْدَهْلَوي

دار القلم

دمشق ـ بيروت

مقدمة

بقلم العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

إنَّ السِّيرة النبويَّة وسِيَر الصحابة وتاريخهم من أقوى مصادر القوّة الإيمانية والعاطفة الدينية ، التي لا تزال هذه الأمَّةُ والدعوات الدينية تقتبس منها شعلة الإيمان وتشعلُ بها مَجَامِرَ القلوب التي يسرع انطفاؤها وخمودها في مهبِّ الرياح والعواصف المادية ، والتي إذا انطفأت ؛ فقدت هذه الأمة قوّتها وميزاتها وتأثيرها وأصبحت جُثَّةً هامدةً تحملها الحياةُ على أكتافها .

إنَّها تاريخُ رجال جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها وصدقتها قلوبهم ، وما كان قولهم إذا دعوا إلى الله ورسوله إلا أنْ قالوا : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ ﴾ [آل عمران : ١٩٣] ووضعوا أيديهم في يد الرسول ﷺ وهانت عليهم نفوسُهم وأموالهم وعشيرتهم ، واستطابوا المَرَارات والمَكَاره في سبيل الدعوة إلى الله ، وأفضى يقينها إلى قلوبهم ، وسيطر على نفوسهم وعقولهم ، وصدرت عنهم عجائبُ الإيمان بالغيب ، والحُبُّ لله والرسول ، والرحمةُ على المؤمنين والشِّدةُ على الكافرين ، وإيثارُ الآخرة على الدنيا وإيثار الآجل على العاجل ، والغيبُ على الشهود ، والهدايةُ على الجباية ، والحرصُ على دعوة الناس ، وإخراجُ خَلْق الله من عبادة العِباد إلى عبادة الله وحده ، ومن جَوْر الأديان إلى عَدل الإسلام ، ومن ضِيْق الدنيا إلى سَعَتها ، والاستهانة بزخارف الدنيا وحُطامِها ، والشوق إلى لقاء الله والحنين إلى الجَنَّة ، وعُلُوِّ الهِمَّة وبُعْد النظر في نشر رفد الإسلام وخيراته في العالم ، وانتشارهم لأجل ذلك في مشارق الأرض ومغاربها وسهولها وحزونها وأغوارها وأنجادها ، ونسوا في ذلك لذَّاتهم ، وهجروا راحاتهم ، وغادروا

أوطانَهم ، وبذلوا مُهَجَهم[1] ، وحُرَّ أموالهم حتى ألقى الدِّيْنُ بجرانه ، وأقبلت القلوبُ إلى الله ، وهبَّت ريحُ الإيمان قويةً عاصفةً ، طيبةً مباركةً ، وقامت دولةُ التوحيد والإيمان والعبادة والتقوى ، ونفقت سوقُ الجنة ، وانتشرت الهداية في العالم ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

ضمت وقائعهم كتبُ التاريخ ، وحفظت أخبارَهم دواوينُ الإسلام ، وكانت دائماً مادَّةَ التجديد والبعث الجديد في حياة المسلمين ، ولذلك اشتدَّت عنايةُ دعاة الإسلام والمصلحين بهذه الحكايات ، واستعانوا بها في إيقاظ هِمَم المسلمين ، وإلهاب قلوبهم بجَذْوة الإيمان والحماسة الدينية .

ولكن أتى على المسلمين حينٌ من الدهر زهدوا فيه في هذا التاريخ وتناسوه ، وانصرف كُتَّابهم ومؤلِّفوهم ووُعَّاظهم ودُعاتهم عنه إلى أخبار الزهَّاد والمشايخ والأولياء المتأخِّرين ، وطفحت الكتبُ والمجاميع بحكاياتهم وكراماتهم ، وأُوْلِع الناسُ بها وَلَعاً شديداً ، وشغلت مجالسَ الوعظ ، وحلقات الدروس ، وصفحات الكتب .

وكان مِنْ أول مَن انتبه ـ على ما نعرف ـ في هذا العصر إلى فضل الصحابة وأحوالهم في الدعوة الإسلامية والتربية الدينية ، وإلى قيمة هذه الثروة ـ المطمورة في الأوراق ـ الإصلاحية والتربوية وتأثيرها في القلوب ، وكان مِن أول من أقبل عليها وعُنِيَ بها وانتصب لها المصلحُ الكبير والداعية المشهور الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوِي ، رحمه الله م ١٣٦٣هـ[2] فقد عكف عليها مطالعةً ومدارسةً وحكايةً وتذكيراً ، رأيتُ له شغفاً عظيماً بالسيرة النبوية وأخبار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يتذاكرها مع تلاميذه وأصحابه ، وتُقرأ عليه كلَّ ليلةٍ فيسمعها في رغبةً ونهامةٍ وإجلالٍ ، ويُحِبُّ إحياءَها ونشرَها ومذاكرتها ، وكان ابنُ أخيه المحدِّث الكبير الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي صاحب « أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك »[3]

---

(١) المُهَج : جمع المُهْجة : الرُّوْح . يُقال : بذلتُ له مُهْجَتي .
(٢) سبقت ترجمتُه في الجزء الأول .
(٣) طُبع الكتاب في الهند ستة أجزاء ، ثم صدر في ثمانية عشر مجلداً ، عن دار القلم بدمشق ، =

أَلَّف كتاباً متوسِّطاً في (أردو) في أخبار الصحابة رضي الله عنهم ، سمَّاه : «حكاية الصحابة » ، وسُرَّ به الشيخُ سروراً عظيماً وألزم المشتغلين بالدعوة والرحلات مطالعةَ هـذا الكتـاب ومـدارستـه وكـان ـ ولا يـزال ـ مـن أهَـمِّ الكتـب المقـرَّرة للـدعـاة والمتطوِّعين ، ومن الكتب التي نالت قبولاً عظيماً ، ورواجاً كبيراً في الأوساط الدينية .

ووَرِثَ الشيخُ محمد يوسف[1] والدَه العظيم الشيخ محمد إلياس ، ورثه في حمل أعباء الدعوة وأمانتها ، وورثه في ذوقه واتجاهه في الشَّغْف بالسِّيرة وأحوال الصحابة ، وكان هو الذي يقرأ له هذه الحكاياتِ والدروسَ من السيرة وتراجم الصحابة في حياته وأكبَّ بعد وفاته ـ مع الاشتغال الشديد بالدعوة ـ على مطالعة كتب السيرة والتاريخ وطبقات الصحابة ، ولا نعرف ـ فيمن نعرف ـ أَوْسَعَ نظراً في أخبارهم ودقائق أحوالهم وأكثر استحضاراً لها ، وأحسن استشهاداً بها ، وأجمل اقتباساً منها ، وأكثر إيراداً لها في الحديث والمحاضرات منه ، وتكاد تكون هذه الحكاياتُ التاريخية والقَصَصُ الحَقّ مصدرَ قوّة كلامه وتأثيره ، وسِر سحره ووقعه في القلوب ، وحمل الجماعات الكبيرة على التضحية والإيثار ، والاستهانة بالمتاعب والمصاعب ، وتكبُّد المشاق في سبيل الله .

لقد بلغت الدعوةُ في عهده إلى الأقطار العربية ، وإلى أمريكا وأوروبا ، واليابان وجُزُر المحيط الهندي ، ومسَّت الحاجةُ إلى كتابٍ كبيرٍ يطالعه المشتغلون بالدعوة والخارجون في الرحلات يدرسونه ويغذُّون به قلوبَهم وعقولَهم ، ويلهبون به عواطفهم الدينية ، ويكون حافزاً لهم على تقليدهم ، وبذل نفسهم ونفيسهم في سبيل الدعوة ، والتجوُّل في العالم والهجرة والنصرة ، وفضائل الأعمال ومكارم الأخلاق ، إذا قرؤوا هذه الأخبار تضاءلت نفوسُهم أمامهم كما تتضاءل السَّواقي أمام البحار ، وطوال الرجال أمام الجبال الشُّمِّ ، فاتهموا يقينهم ، واستصغروا أعمالَهم ، واحتقروا حياتَهم ، وارتفعت هِمَمُهم ، وطمحت نفوسُهم ، وتحرَّكت عزائمهم .

= بتحقيق الدكتور تقي الدين الندوي ، وقد سبقت مقدمةُ العلاّمة الندوي له في الجزء الأول .

(١) سبقت ترجمته في الجزء الأول .

وأرادَ الله أن يكون للشيخ محمد يوسف فضلُ التأليف في هذا الموضوع الجليل مع فضل الدعوة إليـه ، مع أنَّ حياته المشغولة المتنقِّلة المزدحمة بالرحلات والضيوف والوفود والدروس أبعد شيءٍ من حياة التأليف والكتابة ، ولكنَّه استطاع بتوفيق الله تعالى وعونه ، وبعُلُوِّ همته وقوَّة عزيمته أن يشتغل بالتأليف ، ويجمع بين الدعوة والكتابة ـ وما أصعبَ الجمع بينهما ـ ، وقد استطاع بحول الله وقوَّته أن يشتغل بشرح « شرح معاني الآثار » للإمام الطحاوي ، فألَّف كتاب « أماني الأخبار » في مجلَّدات كبار ، واستطاع بحول الله وقوَّته أن يؤلِّف كتاب « حياة الصحابة » في ثلاثة مجلَّداتٍ ضخامٍ ، يجمع فيه ما انتثر وتفرَّق في كتب السِّيَر والتاريخ والطبقات ، ويبدأ بأخبار الرسول الأعظم ﷺ ، ويثنِّي بقصص الصحابة رضي الله عنهم ، ويعنى بجوانب تخصُّ الدعوة والتربية ، وتهمُّ الدعاة والمربِّين بصفةٍ خاصةٍ ، فيكون تذكرة الدعاة ، وزادَ العاملين ، ومدرسةَ الإيمان واليقين لعامة المسلمين .

وقد جمع هذا الكتابُ من أخبار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وسِيَرهم وقِصَصهم وحكاياتهم ما يندر وجوده في كتابٍ واحدٍ ؛ لأنه اقتبس من كتب كثيرةٍ ، ككتب الحديث والمسانيد ، وكتب التاريخ ، وكتب الطبقات ، لذلك جاء هذا الكتابُ يصوِّر ذلك العصرَ ، ويمثِّل حياة الصحابة ، رضي الله عنهم ، وخصائصهم وأخلاقهم وخواطرهم ، وقد أسبغت هذه الدقةُ وهذا الاستقصاء والإكثار من الروايات والقِصَص على الكتاب تأثيراً لا يكون للكتب التي بنيت على الإجمال والاختصار ومغزى القصة ، ويعيش القارىء لأجله في محيط الإيمان والدعوة ، والبطولة والفضيلة ، والإخلاص والزهد .

وإذا صَحَّ أنَّ الكتاب صورةٌ نفسيةٌ للمؤلِّف ، وقطعةٌ من قلبه ، وأنه يؤثِّر بقدر ما يكتبه المؤلِّف عن عقيدةٍ واقتناعٍ ، وتأثُّرٍ وانطباعٍ ، وبقدر ما يعيش في مادته ومعناه ، إذا صحَّ هذا ؛ فأنا أؤكِّد أنَّ الكتاب مؤثِّرٌ وناجحٌ ؛ لأنَّ المؤلِّف قد كتبه عن عقيدةٍ وحماسةٍ ، ولَذَّةٍ وعاطفةٍ ، وقد خالط حبُّ الصحابة لحمَه ودمَه ، واستولى على مشاعره وتفكيره ، وقد عاش في أخبارهم وأحاديثهم زمناً طويلاً ، ولا يزال

يعيش فيها ، ويستقي من منابعها ، فَسَحَ الله في مُدَّته[1] ، وبارك في حياته .

لم يكن هذا الكتابُ في حاجةٍ إلى تصدير مثلي لجلالة مؤلِّفه وإخلاصه ، فإنَّه ـ على ما أعتقد وأعرف ـ موهبةٌ إلَهيةٌ ، وحسنةٌ من حسنات الزمان في قوَّة الإيمان ، وقوَّة الدعوة والانقطاع إليها ، والتفاني في سبيلها ، لا يوجد أمثالُه إلَّا بعد فترات طويلة ، وهو يقود حركةً دينيةً من أقوى الحركات وأوسعها وأعظمها تأثيراً في النفوس ، ولكنه أراد أن يُكرمني بذلك ، وأردتُ أن يكون لي نصيبٌ في هذا العمل الجليل ، فكتبتُ هذه الكلمة متقرِّباً بها إلى الله ، تقبَّل الله هذا الكتاب ، ونفع به عباده !

ليلتين خلتا من رجب ١٣٧٨ هـ

أبو الحسن علي الحسني الندوي
سهارَنْبُور ـ (الهند)

---

(١) توفِّي الله سبحانه وتعالى المؤلف إلى رحمته في لاهور في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٨٤هـ الموافق ٢ نيسان (أبريل) سنة ١٩٦٥م .

شرح
حياة الصحابة

رضي الله عنهم

للعلاَّمة الشيخ محمد يوسف الكانْدَهْلَوي
رحمه الله تعالى

شرحه وحققه وعلق عليه
محمد إلياس الباره بنكوي

قدم له
العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي
رحمه الله تعالى
و
العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة
رحمه الله تعالى

الجزء الأول

دار ابن كثير
دمشق ـ بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الجديدة

لسماحة الشيخ العلامة السيد
أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيد المُرْسَلين ، محمد النبي الأمي الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وعلى مَن تبعهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

أمَّا بعد : فإنَّ كتاب « حياة الصحابة » الحافل البديع لمؤلِّفه الجليل الداعية الكبير الشيخ محمد يوسف الكَانْدَهْلَوِي ـ رحمه الله تعالى (م ١٣٨٤هـ) ـ ابن الشيخ الداعية محمد إلياس الكاندهلوي ـ رحمه الله تعالى ـ (م ١٣٦٣هـ) كتابٌ عديمُ النظير في بابه لم يُنْسَج من قبلُ على مِنْواله ، فهو زادُ الدعاة إلى الله ، ومادة المصلحين والمربِّين والمجدِّدين ، وقد وضعته الجماعةُ في مقرَّراتها الأساسية وسار به المشاةُ والرُّكْبان ، وعكف عليه الأفراد والجماعات ، وقد بذل فيه مؤلِّفه مُهْجَةَ نفسِه ، وحُشَاشة قلبه ، وجمع النصوصَ من عشرات كتب الحديث والسيرة والتاريخ ، ورتَّبها ترتيباً بديعاً ، وأخرجها تُشعِل في القلوب جَذْوَةَ الإيمان ، وتُلْهِب عواطفَ الشوق والحنان ، وتُثِير كَوَامِنَ الحُبِّ والوُجْدَان ، وتقدِّم أمثلةً رائعةً عجيبةً من حياة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الحافلة بقِصَص الإيثار والتضحية ، والاستماتة والتفاني وبذل المُهَج والأرواح لله ولرسوله ﷺ .

وقد كنتُ قدَّمتُ للطبعة الأولى من الكتاب على طلبٍ من المؤلِّف الجليل ، وقد

كان الشيخُ إنعام الحسن ـ حفظه الله تعالى والشيخ عبد الحفيظ البَلْيَاوِي (أستاذ الأدب العربي في دار العلوم لندوة العلماء سابقاً) قاما بالتعليق على الكتاب بشرح مفرداته الغريبة ، وصدرت الطبعة الأولى ، وانتشرت في الناس ، وقرأها القاصي ، والداني ، والعالم ، وغيرُه ، وشعر بعضُ المسؤولين بأنَّ كثيراً من مفردات الكتاب وبعض جُمَلِه وتراكيبه تحتاج إلى شرحٍ وإيضاحٍ مع الإحالة إلى المصادر والمراجع ، وقد كان الشيخُ إنعام الحسن ـ حفظه الله تعالى ـ أثناء مطالعته لهذا الكتاب يعلِّق عليه حسب ما تدعو إليه الضرورةُ ، وبذل في تحقيق الألفاظ وحَلِّ بعض المفردات وقتاً طويلاً ، وراجع مصادرَ عديدة والتزم في تعليقاته بما يلي :

١ ـ الإحالةُ إلى المصادر في تعليقاته مع ذكر الأجزاء والصفحات .

٢ ـ الاختصارُ والإيجاز بحيث يكتفي بقدر الضرورة .

٣ ـ الحيطةُ البالغةُ في عمل التصحيح والتحقيق ، والإشارة إلى الصحة والصواب ، مع الإبقاء على ما في متن الكتاب وعدم التصرف فيه .

٤ ـ انتقاءُ المصادر والمراجع المعتبرة ، والاستفادة منها في حل الألفاظ والعبارات .

٥ ـ البحث الجادُّ والطويل الذي استمر عدة سنين ، وكان خلاصته هذه التعليقات القيمة النافعة .

وقد كان الكتابُ لطوله واشتماله على الروايات التي احتوت على عددٍ كبيرٍ جداً من الألفاظ والكلمات الغريبة أو التي يحتاج عامة القرّاء إلى شرحها وبيانها في حاجةٍ إلى خدمةٍ مزيدةٍ ، فقام الشيخُ محمد إلياس البَارَهْ بَنْكَوِي بخدمته أخيراً باذلاً في ذلك جهداً كبيراً ، والتزم في عمله بالتالي :

١ ـ راجَعَ لمقابلة تعليقاتِ الشيخ إنعام الحسن بمصادرها وأصولها ، وقرأها كلَّها مراراً مع المقابلة والمراجعة ، ونقل تعليقاتِه كما هي ، وإذا احتاج إلى بيانٍ أو توضيحٍ وضعها بين القوسين .

٢ ـ التزم بمنهج الشيخ في التعليقات في الإيجاز والإحالة .

٣ ـ التزم بنقل النصوص من المراجع والمصادر بنَصِّها وفَصِّها وإذا كانت الحاجة إلى مزيد بيان زاده بين قوسين .

٤ ـ راعى في تعليقاته مستوى العامة ، وحاول جهده في التسهيل والتيسير .

٥ ـ إذا احتملت لفظةٌ معاني متعدِّدة ، استعان ـ بوجهٍ عامٍّ ـ لترجيح أحد المحتملات بترجمة الشيخ إنعام الحسن في مجالسه لدروسه في الكتاب .

٦ ـ قام بشكل الكلمات والألفاظ في الكتاب كله ، وراعى في الكتابة والشكل خَطَّ المصحفِ الشريف .

وقد استفاد المعلِّق في هذه التعليقات من الشيخ عبيد الله البَلْيَاوي ـ رحمه الله ـ والشيخ إظهار الحسن الكَانْدَهْلَوِي ، ومن كتاب الشيخ محمد عمر البَالَنْفُوري في ضبط الكلمات ، وشرح المفردات ، وحلِّ العبارات ، وإزالة الغموض والإبهام في المواضع الكثيرة من هذا الكتاب .

وقد عرض أيضاً هذا الكتاب ـ بعد ما فرغ عن عمله في التحقيق والتعليق ـ على محدِّث الهند الكبير فضيلة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، وطلب منه مراجعة الكتاب وتصحيحه ، فقبل ذلك مشكوراً ، وتفضل بمراجعة المتون والتعليقات وتناولها بالتصحيح والإيضاح وزيادة التعليقات على ما كان في الكتاب ، وقام بما يلي :

١ ـ تصحيح التعليقات كلها .

٢ ـ تصحيح المتون .

٣ ـ إيضاح المعاني مع زيادة التعليقات الجديدة التي ترمز إلى اسمه بـ«الأعظمي» .

جزى الله أصحابَ التعليق ، وكلَّ من ساعد فيه ، وأسدى يداً إليه وقام بخدمة الكتاب بأيِّ وجه من الوجوه ، وبارك في حياتهم ، ونفع بعملهم ، وتقبَّله تقبُّلاً عظيماً . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

٢٦ ذي القعدة ١٤٠٥ هـ

صفحات من صبر العلماء
على شدائد العلم والتحصيل

للعلامة المحدِّث الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة

مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو العلاَّمة النَفَّاع ، والبحَّاثة الدرَّاكة ، الربَّانيُّ المربِّي ، تذكارُ علماء السَّلف في سموِّ الهمَّة ، وعلوِّ النظر ، والتفنُّن في العلوم ، والإتقان فيها : الشيخ عبد الفتاح بن محمَّد بن بشير أبو غُدَّة ، علمٌ من أعلام المحدِّثين ، والأصوليين ، والأدباء ، والمربِّين ، ومن رجال الدعوة المعروفين ، ومن قادة الحركة الإسلامية المبرزين ، وكانت له المنزلةُ الكبيرة في نفوس العلماء في العالمين العربي والإسلامي ، وفي نفوس أبناء الصحوة الإسلامية المعاصرة وعامة الناس ، وبالمختصر كان من الأفذاذ الذين يفتخر بهم عصرهم .

وُلد الشيخُ في سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٧م) ، في مدينة حلب ، وقد نشأ في حجر والده الذي كان محبّاً للعلماء ، حريصاً على حضور مجالسهم وسماع دروسهم ومواعظهم .

ثم لمَّا بلغ الشيخ الثامنةَ من عمره أُدخِل المدرسة العربية الإسلامية الخاصَّة ، ثم دخل المدرسة الخسروية (وهي الثانوية الشرعية) ، وبعد التخرُّج فيها ذهب إلى مصر للدراسة بالأزهر فالتحق بكلية الشريعة حتى حصل على الشهادة العالمية عام ١٩٤٨م ، ثم تخصَّص في أصول التدريس بكلية اللغة العربية بالأزهر ، وتخرَّج منها عام ١٩٥٠م ، وفي أيَّام إقامته بمصر تعرَّف على كثيرٍ من علماء العصر ، وأخذ عنهم العلوم الشرعية .

لقد اضطرت الشيخَ أوضاعُ وطنِه الأخيرة إلى مغادرته فسافر إلى السعودية ، وعيِّن أستاذاً في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وشارك في المملكة في وضع المناهج التعليمية ، وفي تأسيس رابطة العالم الإسلامي ، ودام على نشاطاته العلمية والتربوية إلى أن وافاه أجله المحتوم عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) .

وله أكثر من مئة مؤلَّفٍ وتحقيقٍ مطبوعٍ .

كلمة تقريظ للكتاب

في طبعته الثانية

جاد بها قَلَمُ عَلمٍ من أكابر أعلام العصر الربَّانيين ، وقُدوةٍ صالحةٍ موهوبةٍ ، من أشهر العلماء الداعين الهادين المفكِّرين ، هو العلاَّمة الجليل ، والمجاهد النبيل ، الداعية إلى الله تعالى بحاله ومقاله وفعاله ، الذي إذا كَتَب أو خَطَب ؛ غذَّى القلوب والأرواح ، ونوّرَ العقولَ والأذهان ، مولانا صاحبُ الفضيلة والسماحة الشيخ أبو الحسن علي الحَسَني النَّدوي ، الأمين العام لنَدْوَةِ العلماء في مدينة لَكْنو بالهند .

حفظه الله تعالى ورعاه ، وأمتعَ به وأولاه ، وأثابه على حُسن ظَنِّه بالعبد الضعيف ، وغَفَر لي ما أنا عليه من تقصير وخطايا وذنوب ، أنا أعلمُ بها من غيري ، قال ـ أعلى الله مقامه ـ :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المُرسَلين ، وخاتم النبيين، محمدٍ وآلهِ وأصحابه الطاهرين الطيبين ، وعلى من تَبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعدُ فيُسعِدُني أن أكتب سطوراً في انطباعي عن كتاب « صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل » في طبعته الثانية ، للعالم الربَّاني المربِّي ، تذكارِ علماءِ السلف في سُمُوِّ الهِمَّة ، وعُلوِّ النظر ، والتفنُّنِ في العلوم ، والإتقان فيها ، فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة ، لأنخرِطَ في هذا السلك النوراني الذي يَمتدُّ من القرون المشهود لها بالخير إلى زماننا ، ومن الشرقِ إلى الغرب .

وإنْ فاتني ذلك الصبرُ وعُلوُّ الهِمَّة والجهاد في سبيل العلم ، ومقاساةُ شدائده ،

فلا يَفُتني الإعجابُ بهذه الصفات المَرْضِيَّة ، والاعترافُ بفضل أهلها ، وعُلوِّ مكانتهم ، والثناءِ على من أحيا ذِكْرَهم ، ونَشَرَ أخبارَهم ، وقد بَشَّر رسولُ الله ﷺ باندراج المُحِبّ في زُمرة من أحبَّهم ، فقال : « المَرْءُ مع من أحبَّ » .

لقد قَرَن الله العلم منذ خَلَقَه بالصبر ، وسُمُوِّ الهمة ، والإجلالِ له ، والغَيرةِ عليه ، وزهد في الدنيا ، وتقشفٍ في الحياة ـ مُدَّةَ الدراسة والتحصيل على الأقل ـ وسَهَرِ الليالي ، والجِدِّ في الطلب ، والدُّعاءِ والإنابةِ ، والتنقُّلِ في سبيله ، والبحثِ عن مصادره وأئمته ، والتواضعِ لهم ، ومعرفةِ فضلِهم ، وشُكرِهم .

وكُتبُ التراجم والسِّيَر في الإسلام ـ وهي أوسَعُ مكتبةٍ وأثْرَاها في تاريخ أُمَّة من الأمم ، العِلمي والتأليفي ـ زاخرةٌ بهذه الأخبار التي تُثِير الهمَم ، وتُشْعِلُ المواهب ، وتَنْفُخُ في القارىء رُوحاً جديدة وحَمَاساً جديداً ، وتُعالِجُ الفُتورَ في الهِمَم ، والقناعة بالدُّون ، والخُمودَ في الطبائع ، والاشتغالَ بسَفاسِف الأمور : مُعالجةً رفيقةً حكيمة لا يستثقلها القارىء ، ولا يَشعُرُ بمرارةِ الدواء ، أو لَذْعِ آلة الجراحة .

وقد اتفق علماءُ النفس والتربية على أن القِصَص والأخبار والنماذج من السِّيرة والحياة أكبَرُ مؤثِّر في النفس ، وأقوى عامل من عوامل التربية ، وقد جاء ذلك في القرآن صريحاً ومكرَّراً ، فقال : ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ ، وقال : ﴿ لقد كان قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ ، وقال مخاطباً لنبيه : ﴿ وكُلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ .

ومن أعظم الكتب عليَّ فضلاً في رَفْع الهِمَّة في طلب العلم ، والصبر على شدائده ، والانقطاع إليه ، والشَّغَفِ به كتابُ « علماء السَّلَف » بالأوردية للسَّرِي الفاضل العلامة الأمير حبيب الرحمن خان الشِّيْرَاواني وزير الأمور الدينية في حكومة حيدر آباد سابقاً ، وصاحب المكتبة النفيسة المشهورة[1] ، وهو كتاب كُتِبَ في حالةٍ نفسية خاصة ، وبإخلاصٍ كبير ، وقدرةٍ فائقة في اختيار المؤثِّر المرقِّق من أخبار

---

(١) وقد ضُمَّتْ هذه المكتبة الشخصيةُ إلى مكتبة جامعة علي كَرَه الكبيرة ، وقد اطَّلع عليها مؤلف هذا الكتاب العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة ، وهو من أعرف الناس بنفائسها ودُرَرِها .

العلماء القدماء ، والسَّلَفِ الصالحين في الوَلُوع بالعلم النافع ، والغرامِ به ، والتهالُكِ عليه ، والتفاني في سبيله ، وعلوِّ همَّةِ المحدثين والفقهاء في الرحلة في سبيل العلم ، والصبرِ على الشدائد والمكاره .

وأنا دائماً أُوصي طلبة العلم بقراءة هذا الكتاب مرةً بعد مرة ، لأني مَدِينٌ له في طلبي للعلم ، شاهِدٌ بتأثيره ، والكتابُ تُقرأُ منه قطعةٌ أمامَ الطلبة في جامع « النَّدْوَة » وعقِبَ صلاة العصر ، كل يوم في مفتتح السنة الدراسية في دار العلوم .

وقد كانت الحاجةُ ماسَّةً إلى أن يُوضَعَ كتابٌ جديد في أسلوب عصري رشيق ، وتُنخَلَ كتبُ التراجم والسِّيَر والأخبار ، وطبقاتِ العلماء من جديد ، وتُقتَبَس منها حكاياتٌ مؤثِّرة ، تُلائِمُ الذوق ، وتُساير العصر ، وتَشحذُ العزم ، وتستفِزُّ الهمم ، ولا يُحسِن ذلك ، ولا يُؤثِّر في نفوس القراءِ إلا مؤلِّفٌ كان هذا حالَه ، واختلط ذلك بلحمه ودمه ، وقد ذاق حلاوتَه فلا يكون ناقلاً محضاً ، أو حاملاً أجيراً للثقَل من مكانٍ إلى مكان .

وقد جاء كتاب « صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل » لعلاَّمة العصر وبقية السلف صاحب الفضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة مصداقاً لذلك ، وأمامي الآن الطبعة الثانية من الكتاب ، التي أصدرها مكتب المطبوعات الإسلامية في حلب ، ووجدتُ الكتاب أجمَعَ ما في هذا الباب ، وخطيبَ المِحراب ، وقد رُتِّب ترتيباً جميلاً مع فهارس مفصَّلة ، وإيضاحٍ للآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والمصادر .

والاختيارُ مثلُ التأليف ، أو أصعبُ منه ، فإنه يتجلَّى فيه ذَوقُ المؤلف ، ودِقَّةُ نظره ، ولُطفُ حِسِّه .

أرجو الله أن ينفع طلبةَ العلم الديني ، الذين ابتُلُوا في العهد الأخير ـ لأسباب نفسية واجتماعية وتربوية ـ بسُقوطِ الهمة ، وسُرعة السآمة والضجر ، والكلال والملال ، وحَسَدِ طلاب الدنيا من زملائهم وأترابهم ، وقد جاء هذا الكتابُ في أوانه ومكانه ، جَزَى اللهُ مؤلِّفَه عن المَعْنِيِّين بالعلوم الدينية ومستقبلها أفضلَ الجزاء ، وأطال بقاءه في خدمة العلم والدين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

ربيع الآخر ١٣٩٨هـ **دار العلوم ندوة العلماء ـ لكهنؤ**

مقدماتُه

لكتب في السِّيَر والتَّرَاجِم

١ ـ **أعلام المسلمين : الإمام البخاري رضي الله عنه إمام الحفاظ والمحدثين** ، تأليف تقي الدين الندوي المظاهري .

٢ ـ **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** ، تأليف : العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني .

٣ ـ **بستان المحدثين** ، تأليف : الشيخ الإمام العلامة المحدث عبد العزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم الدِّهلوي .

٤ ـ **أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري وآثارهم في الحديث وعلومه** ، تأليف : سيد عبد الماجد الغوري .

٥ ـ **الأمير سيد صديق حسن خان ـ حياته وآثاره** ، تأليف : الدكتور محمد اجتباء الندوي .

٦ ـ **العلامة المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد الأنصاري السهارنفوري** ، تأليف: محمد الثاني الحسني الندوي المظاهري .

٧ ـ **الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي** ، تأليف : محمد الثاني الحسني الندوي المظاهري .

الإمام البخاري

رضي الله عنه

إمام الحفاظ والمحدثين

١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ

تأليف

تقي الدين الندوي المظاهري

دار القلم

دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للداعية الكبير العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسلام على سيِّد المُرْسَلين وخاتم النبيِّين محمَّد وآله وصَحْبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد : فإنَّ الجامع الصحيح للإمام محمَّد بن إسماعيل البُخاري من الكتب التي هَبَّت عليها نفحةُ القبول والخلود ، واعتنت به الأمَّةُ اعتناءً يندر نظيرُه في تاريخ العلم والتأليف في العصور الإسلامية . ومؤلِّفه أميرُ المؤمنين في الحديث ، ومن أعلام الأمة الذين غرس الله حُبَّهم في القلوب والنفوس ، وسخر الأقلام والمواهب العلمية والطاقات البشرية لتسجيل مآثره ، وتخليد آثاره ، وذلك كلُّه لشِدَّة إخلاص الإمام وتفانيه في حفظ الحديث ونشره ، وعُلُوِّ همَّته في ذلك وجهاده في سبيله ، وهو من معاني التنضير الذي دعا به رسول الله ﷺ للمعتنين بأقواله ، وكلامه ولوازمه وأبعاده ، فقد قال : « نَضَّرَ الله امرءاً سَمِع منَّا شيئاً ، فبلَّغه كما سَمِعه ، فرُبَّ مبلَّغٍ أَوْعَىٰ من سامع »[1] ، ومن كان نصيبه في هذا الوعي والنشر أكثر كان نصيبه من النضارة والبركة وبقاء الذكر واعتناء الناس بأحواله وآثاره وحُبُهم له أكثر وأعظم ، فالجزاء من جنس العمل .

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٣٧) والترمذي رقم (٢٦٥٩) في « العلم » باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ، وابن ماجه رقم (٢٣٢) في المقدِّمة ، باب من بلغ علماً ، وصحَّحه ابن حبان رقم (٧٤) و (٧٥) موارد ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

وقد ألَّف الناس ـ قديماً وحديثاً ـ في سيرة الإمام البخاري وأخباره ، ومكانته في علم الحديث وخدمته له ، والتعريف بـ « الجامع الصحيح » ومكانته وما يمتاز به بين الكتب السِّت ، فضلاً عن كتب الحديث ودواوين السُّنَّة ، وشروط المؤلِّف والتزاماته ولطائفه ، حتى تكوَّنت من ذلك مكتبةٌ يصعب استعراضها ، ولكل عصرٍ أسلوبُه وحكمُه ومقاييسُه ، وقد كان ذلك في عصور سَمَتْ فيها همةُ المشتغلين بهذا العلم الشريف ، ودَقَّتْ فهومُهم ، ونفقتْ فيها سوقُه ، وراجتْ بضاعتُه حتى غلبت على كل علم وفَنٍّ ، وجزى الله كلَّ من ألَّف في هذا الموضوع لأبناء عصره وتوسع فيه ، فكان عصره يطلب ذلك ولا يقتنع بأقلّ منه .

ولما كان هذا العصرُ عصرَ السُّرْعة والاختصار ، بل الاقتصار ، قد تقاصرت فيه الهِمَمُ وكَثُرت الشواغلُ ، وزهد الناسُ في الكتب الضخمة التي هي أشْبَهُ بالموسوعات ؛ مَسَّتِ الحاجةُ إلى كتابٍ متوسِّطٍ أو وجيزٍ يحتوي على المهمَّات في هذا الموضوع ، وخلاصة ما جاء في الكتب القديمة ، وإبراز جوانب تفيد الشباب المشتغلين بالعلم أكثر ، ولا تزهدهم في مطالعة الكتاب ، ولا يقدر على ذلك إلا من مارَسَ صناعة الحديث واشتغل بتدريسه مدَّةً ، وصحب الشيوخَ الأجلَّاء ، وتذَوَّق أسلوب العصر الحديث وألَمَّ بحاجة العصر .

وصاحب هذا الكتاب الذي هو بين يدي القراء فضيلة الشيخ تقي الدين النَّدوي من العلماء الذين يجدرون بالتأليف في هذا الموضوع ، فقد درَّس « الجامع الصحيح » مدَّةً في دور العلم الكبيرة في الهند ، وألَّف كتباً في تاريخ علم الحديث وطبقات المحدِّثين وعلم الرجال ، واشتغل بالبحث والتأليف ، فقد أحسن بتأليف هذا الكتاب إلى الجيل الجديد الذي هو في حاجة إلى الاطلاع على آثار السَّلف وجهودهم ، ومدى إخلاصهم وجهادهم ، وعُلُوِّ هِمَّتهم وعُلُوِّ كعبهم في العلوم ، وسُمُوِّ نظرهم وزهدهم في زخارف هذه الحياة ومتعها ، وعكوفهم على موضوعهم وانصرافهم إليه بالكلية ، وصبرهم وتناسيهم لكلِّ ما يستوي ويغري ، وهو بذلك يستحق شكرَ كلِّ من يريد لهذه الأمة الخير ، ولهذا الجيل الرشاد والسداد .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

حرَّره في المدينة المنوَّرة في ١/ ٥/ ١٣٩٦هـ

الإعلام
بمن في تاريخ الهند من الأعلام
المسمّى
بـ « نُزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر »

لمؤرخ الهند الكبير العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني
أمين ندوة العلماء العام بلكهنؤ ـ الهند ـ سابقاً
(المتوفى سنة ١٣٤١هـ)

الجزء الثامن
يتضمن تراجم علماء الهند وأعيانها
في القرن الرابع عشر

دار عرفات
(الهند)

الحاجة إلى تأليف كتاب
نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر[١]
خصائصه وميزاته ، وقصة طبعه وظهوره

بقلم : أبي الحسن علي الحسني الندوي
(نجل المؤلف الأصغر وأمين ندوة العلماء العام)

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسلام على سيِّد المُرْسَلين محمَّد وآله وصَحْبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد ، فقد كانت الهند ـ كما يعلم من له إلمامٌ بالتاريخ الإسلامي ـ حلقةً ذهبيةً مهمةً من حلقات العالم الإسلامي ، وقد مثَّلتْ دوراً فريداً ذا شخصيةٍ خاصةٍ في الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية ، يتحقَّق ذلك مَنْ أجال نظرَه في كتاب : « الثقافة الإسلامية في الهند » للعلامة السيد عبد الحي الحسني الذي نشره « المجمعُ العلمي العربي بدمشق »[٢] في ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م ، والذي نتحدَّث عن كتابه : « نزهة الخواطر » في هذا المقال .

وغمرت الهند موجاتُ الهجرة الإسلامية بعد حملة التَّتَار على العالم الإسلامي

---

(١) وقد آثرنا له اسم : « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » ، لأنه أدل على موضوع الكتاب ومادته ، كما اخترنا لكتاب المؤلف نفسه « عوارف المعارف في أنواع العلوم والمعارف » اسم « الثقافة الإسلامية في الهند » ولكتابه : « جنة المشرق ومطلع النور المشرق » اسم : « الهند في العهد الإسلامي » (العلامة الندوي) .

(٢) ويدعى بمجمع اللغة العربية الآن .

بصفةٍ خاصةٍ ؛ إذ كانت من أقوى الحصون والمعاقل للعناصر الإسلامية الكريمة القوية ، والأُسَر النجيبة الذكية ، العريقة في الدين والعلم ، في (إيران) و (تركستان) ، و (ما وراء النهر) بصفةٍ خاصةٍ ، وهي المنطقة التي وقعت تحت سنابك المُغيرين ، وتحت رحمة الوحوش في فجر القرن السابع الهجري .

وذلك بوجود حكوماتٍ إسلاميةٍ قويةٍ في الهند ، كانت تَتَلقّى هذه الوفود الكريمة بصدر رحبٍ ، وتُكرم وفادتها ، وتُحسن رِفادتها ، وتتنافس في أكبر عددٍ من العلماء ، والسادة ، والأشراف ، وأهل الفضل والصلاح الذين يلتجئون إليها ، وتعتبر وجودهم مفخرةً ليست فوقها مفخرةً .

وقد هَزَمت هذه الحكوماتُ الإسلاميةُ الجنودَ الزاحفة من التتار شَرَّ هزيمةٍ ، جرَّبها التتارُ في تاريخهم الطويل ، الذي لم يكن يَعْرِفُ غير الانتصار ، وغير النار والدّمار ، وحطَّمت جيوشهم تحطيماً لا يُعرَف في غير هذه الناحية من نواحي العالم الإسلامي .

وناهيك ! بأنَّ التتار قد زحفوا على الهند خمس مرَّاتٍ في حكومة علاء الدين الخَلْجِي وحده (٦٩٦ ـ ٧١٦هـ) بحماسٍ وتصميمٍ عُرِف بهما التتار . وهزمتْهم الجنود العَلاَئية هزيمة منكرة ، وافترستهم افتراسَ الذئاب للنعاج ، ولم يطمحوا بعد ذلك إلى الغارة على الهند ولم يستشرفوا لها .

وظَل علماءُ المسلمين آمنين مطمئنِّين عاكفين على الدرس والتأليف ، ونشر العلم والدين ، والتربية والإرشاد .

وازدهرت الثقافةُ الإسلاميةُ ازدهاراً لم يُعْرَف في بلدٍ إسلاميٍّ آخر في هذه القرون التي تعتبر قرون انحطاطٍ عامٍّ في العلم والأدب ، والفكر والتأليف ، وساد على العالم العربي الذي أثخنته حملةُ التتار ، وابتُلي بحكم المماليك والأعاجم ، والإعياء الفكري ، والشَّلَل العلمي ، وانتشر التقليد ، وفُقدت الأصالة والإبداع .

وظَلَّت خَلِيَّةُ الإسلام تُعَسِّل في الهند في قرونٍ متواليةٍ ، وزَخرت القُرَى الكبيرة ، فضلاً عن المُدُن والحواضر ، فضلاً عن قصبات البلاد وعواصم الحكومات ، بالعلماء والمعلِّمين المنقطعين إلى الدرس والإفادة ، والمؤلِّفين

المتجردين للتأليف والكتابة ، والشيوخ العاكفين على الزهد والعبادة ، والإرشاد والإفادة ، لا يحصيهم إلا من أحصى رملَ عالِجٍ ؛ وشعرَ غنم بني كلب ، حتى إنَّ المتصفِّح لكتابٍ من كتب التراجم والتاريخ ، يتخيَّل : أنَّ هذا البلد لم يكن يعرف غير صناعة العلم والتعليم ، أو التأليف والتدريس ، أو تربية القلوب وتهذيب النفوس ، أو أنه لم يكن يسكُنه غيرُ العلماء ، وأهل الفضل .

ولكنَّ الهند بقيتْ مُحجَّبةً عن أنظار العلماء والمؤرِّخين في العالم العربي لأسباب كثيرة ، منها : بُعْد هذا الجزء من العالم الإسلامي عن جادَّة الثقافة الإسلامية العالمية التي تمرّ عليها قوافلُ العلم والتدوين ، وبسبب انطوائها على نفسها ، وبسبب أنَّ اللغة الفارسية ظلَّت لغةَ الديوان ولغة التدوين والتاريخ ، طُول الحكم الإسلامي في الهند .

ولولا الحَجُّ ، ولولا مكَّة ـ مثابة للناس ـ التي عُرف أهل الهند في كل عصرٍ من عصورهم بشدَّة الشوق إليها ، وارتباطِ القلوب ، والنفوس بها ، واجتماعِ علماء الهند وأهل الفضل منهم بعلماء العالم العربي في الحرمَين الشريفَين ، وتتلمُذِهم عليهم في علم الحديث خاصةً ، وإقامةِ بعض علمائهم الطويلة في ربوعها ، وهجرةِ بعضهم إليها : لكانت الهندُ في عزلةٍ تامةٍ عن العالم الإسلامي ، وبقيتْ مجهولة تحتاج إلى مغامرٍ كـ (كولمبس) لاكتشاف هذا العالم الغريب .

ويدلُّ على ذلك دلالةً واضحةً : أنَّ العلماء الذين ألَّفوا الكتبَ في الطبقات وتراجِم الرجال في بلاد العرب على حسب القرون ، لم يذكروا أعيانَ الهند ، وعلماءها ، ونوابغَ رجالها إلا تَحِلَّة القسم[١] .

وقد كان موضوعُ الطبقات وتراجم الرجال موضوعاً طرقه علماءُ المسلمين والمؤلِّفون في الهند في كل عصرٍ وجيلٍ ، وكان ذلك شيئاً طبيعياً ، وكانت الدواعي إليه كثيرة ، وقد تخصَّص عددٌ من المؤلِّفين الكبار لهذا الموضوع .

---

(١) راجع المقدمة التي عنوانها « الهند ومكانتها في تاريخ الإسلام » .

ولنَظرةٌ عَجْلَى في قسم الطبقات والتراجم ، وسِيَر الرجال في كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » كفيلةٌ بالاطلاع على المكتبة الضخمة ، التي خلفها العلماءُ والمؤلِّفون في الهند ، ولكن جُلّها أو كلها في اللغة الفارسية . ثم إنَّها موجَزة مقصورة على عددٍ قليلٍ من الشخصيات . ثم إنَّها لا تحيط بالهند إحاطةً مكانيةً ، أو إحاطةً زمانيةً ، وبعضها لا تحتوي إلا على قرنَين ، أو ثلاثة قرون . ثم إنَّ بعضها لا تشتمل إلا على تراجم طبقةٍ واحدةٍ ، أو مذهبٍ خاصٍّ ، أو فرقةٍ من فِرَق المسلمين ، أو تُسيطِر على مؤلِّفيها نزعةٌ خاصةٌ ، أو اتجاهٌ خاصٌّ .

وقد كانت الحاجةُ ماسةً إلى أن ينهض لسَدِّ هذه الثغرة في تاريخ الثقافة الإسلامية بصفةٍ عامةٍ ، وفي تاريخ الهند بصفةٍ خاصةٍ : رجلٌ رُزِق عُلُوَّ الهمَّةِ ، وسَعَةَ النظرِ ، ورحابةَ الصدرِ ، وتنوُّعَ الثقافةِ ، ودقَّة الملاحظة ، وسعةَ الأَناةَ .

وتُمكِّنه الظروفُ الخاصة من الاتصال بمختلف الطبقات والفِرَق والمذاهب والآراء ، والاطلاع على المراجع الكثيرة في اللغات المتنوِّعة ، والعصور المختلفة والإفادة منها .

ويَتَخَيَّر لهذا العمل الجليل ، ولتعريف العالم الإسلامي بالهند : اللغة العربية التي هي لغة التفاهم العالمية ، وهي اللغة التي ضمن الله لها الخلود والبقاء على أصالتها ، وصيغتها المُضَرية الفصحى بفضل القرآن .

ويكون من الكتاب المُترسِّلين فيها ، ومن ذوي البيان الذين تحرَّروا من السَّجع والبديع ، والزخرفات اللفظية التي تورَّط فيها وأَمعن كلُّ من تناول هذا الموضوع في الهند ، وفي غير الهند غالباً ، في القرون الماضية .

وقد كانت ساعةٌ سعيدةٌ حين قرَّر السيدُ عبد الحي بن فخر الدين الحسني (١٢٨٦ ـ ١٣٤١هـ) وهو طالبٌ شابٌّ ، يتنقَّل في حلقات الدروس في « لكنهؤ » بلدِ العلم والآداب ، في فجر القرن الرابع عشر الهجري ، أن يؤلِّف كتاباً في تراجم علماء الهند وأعيانها من القرن الإسلامي الأول حين دخل فيها الإسلامُ ، إلى القرن الرابع عشر الذي يعيش فيه .

ولعلَّ الأوراق التي كان يراها بيد شيخه ـ الشيخ محمد نعيم الأنصاري اللَّكْهنوي[1] من أبناء أعمام الإمام عبد الحي اللكهنوي ومعاصِريه ـ التي كتبها في تراجم العلماء ؛ أوحتْ إليه بهذه الفكرة التي كانت لا تتناسَبُ مع سِنِّه وثقافته يومئذ ، ولكن الهمَّة الشامخة لا تخضع للمقاييس والمقادير ، إنه طمح إليها ، وهيَّأ نفسَه لها ، واحتضنها لم يفارقها إلى آخر يوم من أيام حياته ، فيُقدّر : أنه عاش في هذه الفكرة واشتغل بهذا التأليف ، نحو ثلاثين سنة ! .

وقد كان من سُمُوِّ همَّته وطموحه ، وألمعيته وبُعْد نظره أن يُؤْثر اللغة العربية لتأليف هذا الكتاب ، وقد بلغتْ منتهى الضعف والركاكة في عصره ، بضعف الكتب التي كانت مقرَّرةً في المنهاج الدراسي ، والإنشاء المسجوع التقليدي الذي كان سائداً في الهند منذ قرون .

وكان من الشَّجاعة الأدبية ، بل من المغامرة ، أن يُقرِّر طالبٌ شابٌ قد نشأ على دراسة كتاب « المقامات » للحَريري وما شاكلها تأليف هذا الكتاب ـ الذي تتنوَّع فيه الأغراض ، وتتسع فيه دائرة التعبير ـ في اللغة العربية التي لا يجد لها نموذجاً إلا في كتبٍ أدبيةٍ من الأسلوب العجمي المتكلف ، ولم تكن هذه الصِّلات الثقافية والمجلاَّت والنشرات ، ووسائل الاستيراد العلمي والثقافي ، قد حدثتْ في عصره ؛ حتى يتمكَّن من الاطلاع على ما جَدَّ ونُشر في الشرق العربي من الآثار العلمية ، والمؤلَّفات العربية .

وقد كان له كل المغريات والدواعي إلى أن يؤلِّف هذا الكتاب في اللغة الفارسية التي يحْذِقها ، ويكتب فيها بسهولةٍ وطبعٍ ، أو اللغة الأُردية التي كان من أدبائها الناهضين ، وكُتّابها المرموقين ، ولكنه قد أحسن إلى نفسه ، وأحسن إلى بلاده ؛ التي وُلد فيها ، وأحبَّها ، حين اختار اللغة العربيةَ لهذا التأليف .

فاللغة الفارسيةُ قد أَفَل نجمُها في عصره ، وتقلَّص ظِلُّها ، فلم تبق إلا في نطاقٍ محدودٍ كان يتضايق وينضوي على مَر الأيام ، وأمَّا اللغة الأردية فهي لا تزال في طور

---

(١) اقرأ ترجمته في الجزء الثامن للكتاب .

انتقالٍ وتطورٍ ، ولم يُقرّر مصيرها بعدُ في الهند ، والتي تواجه مشكلةَ كثرة اللغات واللهجات ، والتطرُّف الطائفي الذي لا يزال يهدِّد كيانَ هذه اللغة وبقائها في الهند .

وبدأ المؤلِّفُ رحلتَه العلمية التأليفية ، التي لم يكن يقدِّر : أنها ستطول هذا الطول ، وأنها ستكون من العُسْر والالتواء بهذا المكان ، وقد أحاط المؤلِّفون في التاريخ عملهم بأسوار من السَّجع البارد ، والتنميق اللفظي .

ثُمَّ إنَّهم ملؤوا كتبهم بذكر الخوارق والأمور الغريبة ، وأهملوا ما يَهُمّ الدارسَ معرفتُه من السنين والتواريخ ، واسماء الأساتذة والشيوخ ، وذكر المؤلَّفات والآثار العلمية والعَمَلية ، والعادات والأخلاق والصفات التي يتميَّز بها إنسانٌ عن إنسانٍ ، ومراحل الحياة الطبيعية ، فضلاً عن الجَوِّ السياسي والاجتماعي الذي كان يكتنفهم ، والملابسات التي كانوا يعيشون فيها ، فيقرأ الباحثُ مئاتٍ من الصفحات ، ولا يرجع بطائلٍ ، لا يرجع بما يُسطر به صفحةً من صفحات التاريخ الحقيقي .

فكان المؤلِّفُ يشعر بأنه يسير في نَفَقٍ مظلمٍ لا يَصِل إليه النورُ والهواءُ ، وكان لا بُدَّ أن يرجع إلى كتبٍ ومجموعاتٍ ليست من التاريخ بسبيلٍ ، ولا تخطر من المؤلف ببالٍ ، فيظفر فيها بما لا يظفر في كتب التراجم والسِّيَر ، وقد يجد فيه حلقةً مفقودةً لا تكمُل بغيرها ترجمةُ العالم ، أو الأمير ، أو المؤلف ، وكان في حاجةٍ إلى ألَّا يقتصر على المطبوع المنشور ، بل يُراسِل أخلافَ هؤلاء العلماء ، والمُنتمين إليهم ، ويزور المكتبات ، وينتسخ المخطوطات . وكان بحكم مركز بيته العلمي والديني ، و : بحكم إشرافه على « ندوة العلماء » كثير الاتصال بجماعات العلماء ، وأهل الفضل والنباهة ، فساعده كلُّ ذلك على إكمال مهمته ، وتحقيق غايته .

وكان أكبرَ لذَّته في تأليف هذا الكتاب ولعلَّ أحلى ساعاته وأطيبها ، كانت الساعةُ التي يخلو فيها بنفسه ، وبقلمه وأوراقه ومراجعه .

وقد ظلَّ عاكفاً على هذا العمل طول حياته ، لم يقطعه منه اضطرابٌ سياسيٌّ ، أو حادثةٌ شخصيةٌ ، أو حِرفتُه ـ الطِّبُّ الذي كان ناجحاً فيه ـ أو اشتغاله بإدارة « ندوة العلماء »، وتنظيم حفلاتها السنوية، في مُدُن الهند المختلفة ، حتى جاء هذا الكتابُ في ثمانية أجزاء كبار، واشتمل على أربعة آلاف وخمس مئة ونيف من التراجم .

ولعلَّ الهند هي القطر الإسلامي الوحيد البعيد الذي سُجِّلتْ تراجم أعيانه من القرن الإسلامي الأول إلى القرن المعاصر في كتابٍ واحدٍ ، فهنالك أقطارٌ إسلاميةٌ قد مثَّلت دوراً خطيراً في تاريخ الفكر الإسلامي ، وفي تاريخ العلوم الإسلامية ، ونبغ فيها من العلماء والعظماء الذين لا يُحصَون بحدٍّ وعدٍّ ، كبُخارى ، وسَمَرْقَنْد ، وأفغانستان ، وإيران ، وغيرها ، لم يُكتب تاريخُ رجالها ، ولم تُدوَّن تراجم أبنائها بهذا التسلسل والتحقيق .

ويَعلم الدارسُ المطَّلع : أن كتب التراجم والسِّيَر التي أُلِّفت في الأقطار الإسلامية الرئيسية الغنيّة برجالها وأعلامها ، إمَّا هي خاصَّة بقرن ـ كـ « الدُّرَر الكامنة في أعيان المئة الثامنة » لابن حجر . و « الضوء اللامع في رجال القرن التاسع » للسَّخَاوي ، و « النور السافر في رجال القرن العاشر » للحَضْرَمي ، و « خلاصة الأثر في رجال القرن الحادي عشر » للمُحِبِّي ، و « سِلك الدُّرَر في رجال القرن الثاني عشر » للمُرَادي ، و « البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع » للشَّوْكَاني ، أو مقصورةٌ على طبقةٍ من طبقات الفضلاء وأهل الكمال ، كطبقات الأطباء ، وطبقات النُّحاة ، أو الأدباء ، أو مقصورةٌ على مذهب من المذاهب الفقهية المقبولة ، كطبقات الشافعية الكبرى ، وطبقات الحنابلة وغيرها .

أما أن يكون الكتابُ يُغطِّي المساحةَ الزمانيةَ من القرن الإسلامي الأول إلى قرن المؤلِّف ، والمساحةَ المكانية من شرق البلاد إلى غربها ، ومن شمالها إلى جنوبها ، ويشمل طبقات أهل الفضل ، وأعلامَ كل فنٍّ ، فلا توجد لذلك أمثلةٌ ، ونماذج في أكثر الأقطار الإسلامية والعربية .

أمَّا هذا الكتاب ، فهو يُغطي المساحة الزمانية من القرن الإسلامي الأول إلى سنة وفاة المؤلِّف ، والمساحة المكانية من (مَمَرّ خيبر) إلى (خليج بِنْغَال) ، ومن (قُلَل كشمير) في الشمال إلى أقصى (جنوب الهند) ، ويشمل طبقاتِ أهل الفضل والنباهة على اختلاف مزاياهم ، ومجالات فضلهم ، ونبوغهم ، ومذاهبهم واتجاهاتهم ، كما يتحقَّق ذلك القارىء عند الاطلاع على هذا الكتاب ، وفحصه عن عَلمٍ من الأعلام ، في أيّ فنٍّ من الفنون ومجالات النبوغ والإنتاج .

وقد صَبَّ المؤلِّفُ في هذا الكتاب مواهبَه ، وسجاياه ، فجاء قطعةً من نفسه ، ونسخةً من رُوحه ، صفاء حِسٍّ ، ورقَّة شعور ، واندفاعاً إلى الجمال والكمال أينما وُجدا ، واعترافاً بالفضل أينما حَلَّ ، واستقرَّ ، واقتصاداً في المدح والنقد ، وتنبيهاً لمواضع الضعف مما لا يخلو منه بشرٌ ، وعذوبة عبارة ، وخفَّة روح ، وتنوّع مادة ، فأصبح الكتابُ لا يُمَلّ ولا يُستثقل ، وأصبح سميراً عزيزاً ، ونديماً فَكِهاً ، وموعظةً وذكرى ، ودرساً وعبرةً .

وكان المؤلِّفُ على سَجِيَّة المؤلِّفين القُدَامى ، عاكِفاً على التأليف والبحث والتنقيب ، لا يفكِّر في مصير هذا الجهاد الشاق ، والرحلة الطويلة ، ولم يحدث بذلك كثيراً من إخوانه وزملائه الذين يجالسونه ، ولم يبحث له عن ناشرٍ ، حتى فارق هذه الدنيا في الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٤١هـ ، وخلف هذه المكتبةَ العظيمة .

ومضى عليها نحوُ عشر سنوات ، ولا سبيلَ إلى طبعها ، فقد كان ذلك عملُ مجمعٍ علميٍّ كبيرٍ ، أو حكومةٍ منظَّمةٍ ، حتى هيَّأ الله له الأسباب ، فقد طبعتْ دائرةُ المعارف العثمانية في حَيْدَرْآباد كتاب : « الدُّرَر الكامنة » للحافظ ابن حجر العَسْقَلاني ، واقترح بعضُ من لهم اطلاعٌ على هذا الكنز الدفين : أن يكمل هذا الكتاب بطبع الجزء الثاني من « نزهة الخواطر » وهو الجزء الذي يشتمل على تراجم أعيان (القرن الثامن » في الهند ، فكان ذلك . وصدر الجزءِ الثاني ـ قبل أن يصدر الجزء الأول ـ في سنة ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م، لملء هذا الفراغ الواقع في كتاب « الدُّرر الكامنة » وكان ذلك في عهد إدارة الأستاذ السيد هاشم النَّدْوي ، وتحت إشرافه .

وهكذا شَقَّ هذا الكتـابُ طريقه بقيمته العلمية ، وبغنَائه ، من غير أن يكون لأحد مِنَّةٌ عليه وعلى صاحبه ، واطَّلع عالَم العلم والتأليف على هذا الكنز المستور المطمور ، ومِن هنا طلب المستشرقون والمؤلِّفون أن يُنشر هذا الكتاب برُمَّته .

وكان الفضلُ الأكبرُ في هذا للعلامة السيد مَناظِر أحسن الكِيلاني[1] العالم

---

(١) هو العالم الجليل والمؤلف الكبير ، كان رئيس القسم الديني في الجامعة العثمانية =

البحَّاثة ، الذي كان عاكفاً على تأليف كتابه « نظام التعليم والتربية » ، فراجع هذا الجزءَ المطبوع ، وأُعجِب بفضل الكتاب وغزارة مادته ، وأقرَّ بقيمته العلمية الكبيرة ، ولفَت نظرَ « دائرة المعارف العثمانية » والمسؤولين في حكومة (حَيْدَرْآبَاد) إلى مكانة هذا الأثر العلمي العظيم والحاجةِ إلى إبرازه ، وقام بحركةٍ قويةٍ لنشر الكتاب ، وأيَّده كبار العلماء والمؤلِّفين في الهند ، فظهر الجزء الأول في سنة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م ، وكان ذلك في عهد إدارة الدكتور محمد نظام الدين ، واستمرَّ صدور أجزائه إلى أن توقّف بعد الجزء الخامس ، واختلفت الأحوال في الهند ، وكادَ الأملُ ينقطع في صدور ما بقي من أجزاء هذا الكتاب .

وحَدَث بعد ذلك أن الشيخ حسين أحمد المَدَني كبير علماء الهند والزعيم المسلم المشهور ، كان يبحث عن أخبار بعض أجداده ، وتراجمهم ، فلا يجدها فيما يتيسَّر له من كتابٍ مطبوعٍ أو مخطوطٍ ، فراجع هذا الكتابَ فوَجَد معظمها في أجزائه ، فسُرَّ بذلك سروراً عظيماً ، ولَفَت نظر مولانا أبي الكلام آزادْ . (وزير المعارف في الجمهورية الهندية آنذاك) وله معرفةٌ شخصيةٌ بالمؤلِّف ، وتقديرٌ لهذا الكتاب ، فأشار على « دائرة المعارف » بإتمام الأجزاء الباقية ، فظهر الجزء السادس في سنة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م ، واستمر إلى أن ظهر الجزء السابع في سنة ١٠٧٨هـ ـ ١٩٥٩م وبقي الجزء الثامن وحده ، وطُبع سنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م وستأتي قصة طبعه في مقدمة الجزء الثامن .

= بحيدرآباد ، صاحب مؤلفات عظيمة كبيرة القيمة ، توفي سنة ١٣٧٥هـ رحمه الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الجزء الثامن

بقلم : نجل المؤلف أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمدُ لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده . .

وبعد : فقد كان هذا الجزءُ الأخير (الجزء الثامن) من كتاب « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر »[1] للعلاَّمة السيد عبد الحي الحسني ـ رحمه الله ، وأثابه ـ في حاجةٍ إلى إكمالٍ وزياداتٍ ، وكان المؤلِّف مشغولاً بتسويده وتحريره ، ففاجأته المنيةُ ، ولم يُمهَل لإكماله ، وكان هذا الجزء يشتمل على خمسمئةٍ وتسع وخمسين (٥٥٩) ترجمة ، ويبلغ عددُ التراجم التي خلف فيها المؤلِّفُ بياضاً أو فراغاً ، أو مات أصحابُ التراجم بعد وفاة المؤلف ٣٥٠ ترجمة ، وقد تدرَّج هؤلاء المُترجِمون في مراتبٍ من النبوغ والشهرة ، والتأليف والإنتاج ، أو كان لهم نشاطٌ وجولةٌ في المجال السياسي ، ووُجِدَتْ في البلاد أحوال ، ونشأتْ حركات ، وخاضَ هؤلاء الأعلام معتركها ، وتقلَّدوا قيادتها ، فكان لا بُدَّ من إكمال هذه التراجم ، وتسجيل حوادث حياتهم ، ومآثرهم العلمية والعملية من جديدٍ .

وكان الذين قد شُغِفوا بهذا الكتاب في الهند وخارجها ، يطلبون إصدارَ هذا الجزء ، وكان الإلحاحُ يتجدَّد منهم حيناً بعد حين ، وكان صديقنا الفاضل الدكتور عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية حالاً[2] يُلِحُّ عليَّ بالتفرُّغ لهذا العمل ،

---

(١) وهو يطبع باسم « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » .

(٢) توفي رحمه الله تعالى في ٢٧ من شعبان المعظم سنة ١٣٩٣هـ .

ولا شيءَ أَحَبُّ إلي من تحقيق هذا الغرض ، فإنَّ فيه خدمة للدين وللعلم ، وللأمة والبلد ، وفوق ذلك كله برٌّ بالوالد ، ووفاء بحقه ، وأداء لأمانته ، ولكني بقيتُ متهيباً لهذا العمل ، مستعظماً له عِدَّة سنين .

أولًا : لأنَّه عملٌ شاقٌّ عسيرٌ تقصر عنه قواي ومواهبي ، فإن تلقيح هذا الكتاب بالعبارات الجديدة والزيادات الحديثة صعبٌ جداً ، وذلك لإيجاز المؤلِّف ، ودِقَّته ، وعبارته المحكمة الرصينة التي لا يسهل تقليدُها ، وللالتزامات التي التزمها في تحرير الآراء ووصف المُترجَم ، ومدحه ونقده ، والاقتصاد في ذلك ، وعدم إرسال القول على عواهنه .

والثاني : إنَّ هذا الجزء هو أكثر تنوُّعاً واتساعاً في التراجم من كل عصرٍ مضى ، ففيه كبارُ العلماء ونوابغ المؤلِّفين ، وشيوخ أجلاء ، ومُرَبُّون وأهل القلوب ، ومعلِّمون كبارٌ ، وأصحاب الدرس والتخريج ، ومنهم قادة الفكر الحديث ، ورُوَّادُ حركاتٍ ونهضاتٍ ، يحتدم حولهم الجدالُ ، ويكثر عنهم القيلُ والقالُ ، ومنهم : أدباء ، وشعراء ، ومنهم : من خاض المعارك السياسية ، واكتوى بنارها وأوارها ، وامتزج تاريخه بتاريخ الهند الديني والسياسي ، فلا يمكن الفصلُ بينهما ، وامتدَّت حوادثُ حياته على بساطٍ طويلٍ من الزمان ، مفروشٍ بالأشواك ، ومنهم : مَن جمع بين النبوغ والسراوة ، وتفنَّن في الفضائل والكمالات ، ومنهم من شَذَّ عن السَّواد الأعظم من المسلمين ، وأسس مذهباً جديداً ، أو فرقةً جديدةً ، واسْتُهْدِفَ للنقد العنيف ، والجرح المَريـر ، إلى غير ذلك من نماذج الفكر وأساليب الحياة ، وأنمـاط الإنسانية ، ولعلَّ أصعب تاريخٍ هو تاريخ المعاصرين الذين يُعاصِرهم المؤلِّفُ ، ويرى آثار نبوغهم ونباهتهم في الحياة ، وقد يبذل جهدَه ، ويجهد نفسَه في تصويرهم ، وتحديد مكانتهم ، والتنويه بشأنهم ، فيستقله كثيرٌ ممَّن عاشرهم وعرفهم عن كثبٍ ، ويستهوله كثير ممَّن سمع عنهم ، أو خبرهم ، واطلع على الخبايا ، ومواضع الضَّعف في حياتهم ، وهكذا يُسْتَهْدَف المؤلف لنقد الفريقَين ، فحيناً ينسب إلى البخل والتفريط ، وحيناً يتهم بالمبالغة والإسراف ، ولكن كلُّ ذلك لا يمنع رائد الحقيقة ، ومدِّون التاريخ من أن يقيِّد معلوماته للأجيال

القادمة ، ويحفظ الملامح الحقيقية في المصور التاريخي العام الخالد .

أَقدمتُ إلى هذا العمل الشاق المُحرِج ، متهيِّباً مدفوعاً في البداية ، منشرحاً مندفعاً في النهاية ، وبدأتُ أقرأ الكتاب ، وأسجِّل ما وقع بعد المؤلف في حياة المُترجَم ، وأطواره وآثاره ، ومؤلَّفاته معتمداً في ذلك على أثبت المراجع ، وأوثق المصادر ، وما كتبه هو نفسُه ، أو أخصُّ أصحابه ، أو ما كان مشاهدة عيانٍ ، ومعرفة شخصية ، وحرصتُ على أن يتميَّز كل ما أزيده ، ويصدر عن قلمي القاصر عمَّا صَدَر عن قلم المؤلف نفسه ، وما كان في متن الكتاب فجعلتُ الزيادات والملحقات كلها بين عمودين هكذا [ ] حتى لا يلتبس الأصلُ بالزيادة ، وبذلتُ مجهودي في أن أكتب بقلم ، وأطبِّق مقاييسه وموازينه في الحكم على الشخصيات ، ونقدها وتقريظها ، وحاولتُ أن أعيش في أدبه وأسلوبه وتفكيره زمَنَ إكمالِ هذا الكتاب ، وأقلِّده بقدر ما يمكن لشخصٍ أكثر من قراءة هذا الكتاب ، وتشرَّب أسلوبَه وفكرتَه ، مع ذلك أُقِرُّ بأني لم أصل إلى النقطة التي وصل إليها المؤلِّفُ في السَّداد والاقتصاد ، وغزارة العبارة ، وقِلَّة المباني ، وكثرة المعاني ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

هذا ؛ والزيادات كلُّها محدودةٌ في التراجم التي جاءت في الكتاب ، ولم أَضُمَّ تراجمَ جديدةً إلى الكتاب ، ولم أكتب ترجمةً جديدةً لم يكتبها المؤلفُ ، فإنَّ الأمر كان يطول جداً ، وقائمة الشخصيات التي نبغت بعد المؤلف ، واستحقت التنويهَ والتسجيلَ أو فات المؤلِّفَ ذكرُها كبيرةٌ تبلغ إلى المئات ، وهو موضوعُ كتابٍ مستقلٍّ يكون ذيلاً لكتاب « نزهة الخواطر » ولعل الله يقيِّض لذلك رجلاً آخر يوفَّق للقيام به .

وبدأتُ أقيِّد سني وفيات المُترجَمين ، فلا أجد إلى كثير منها سبيلاً ، فيما عندنا من المطبوعات والمراجع ، فأضْطَرُّ إلى مراسلة من يتصل بهؤلاء المُترجَمين بسببٍ ، أو يلتقي بهم في زمالةٍ أو نسبٍ ، وطالت المراسلاتُ ، وتكرَّرت الرسائلُ والردودُ ، وقد جَرَّ ذلك في بعض الأحيان إلى زيارة القبور ، وقراءة الألواح ، والاتصال بأبناء المُترجَمين وأحفادهم ، وقد جَرَّ هذا البحثُ في بعض الأحيان إلى

مراجعة الأوراق والوثائق في البلدية ، لتحقيق اسم الوالد ، أو سَنَةِ ولادته ، فاجتمعتْ بذلك مجموعةٌ كبيرةٌ من الوفيات ، والمعلومات ، وأسماء المؤلفات ، ولم يَبْقَ إلا نحو ١٣٠ شخصاً[1] لم أهتدِ إلى سِنيّ وفاتهم ، فأشرتُ إلى ذلك في الهامش ، وأكبر ظَنِّي : أنه لو تأخَّر هذا البحثُ عن السنين والتواريخ ، والمعلومات عن المُترجَمين عدَّةَ سنين أخرى ؛ لضاع الشيءُ الكثيرُ منها ، وتَلِفَ ، ولم يكن إليه سبيلٌ لمن يأتي بعدنا ، ويحاول جمعَ هذه المعلومات ، ويؤلِّف كتاباً في تراجم هؤلاء الرجال ، وقد شاهدتُ في ذلك تيسيراً لا أعلِّله إلا بإخلاص المؤلف ، والإعانة الغيبية لحفظ آثار العلماء ، والمؤلِّفين الذين أفنوا قُوَاهم ، وأجهدوا نفوسَهم في سبيل العلم أو الدين .

وفي الآخر إنَّ كاتب هذه السطور مدينٌ لأولئك الأفاضل الذين أعانوه بالمعلومات ، وبصفةٍ خاصةٍ في التواريخ وسني الوفيات ، ولم يَضِنُّوا بما عندهم من علمٍ ، ووثائق تاريخيةٍ ، ومراجعَ علميةٍ ، ولولا أن قائمة أسماء هؤلاء الفضلاء تطول طولاً مُمِلاً لسردتُ أسماءهم ، ولهم اعترافُ الكاتب ، وشكرُ القراء ، وما عند الله من المثوبة والجزاء أفضل من كل هذا ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

وبهذا الجزء الثامن الأخير تكملة سلسلة « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » للعلامة السيد عبد الحي الحسني ، والحمد لله الذي بعزته وجلاله تتمُّ الصالحات .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

ندوة العلماء ـ لكهنؤ (الهند)

٢٠ محرم الحرام سنة ١٣٨٨ هـ

---

(١) وقد عثر كاتب هذا التقديم على سني وفاة ستةٍ من أصحاب التراجم ، بعد صدور الطبعة الأولى ، فنزلت القائمة إلى ١٢٤ شخصاً لم يعثر على سني وفاتهم ، والرجاء من الدارسين لهذا الجزء أن يخبروا الكاتب ، أو المؤسسة التي تقوم بطبع هذا الكتاب ، بسنيٍّ وفاة الآخرين ؛ إذا اطلعوا عليها . (الندوي) .

بستان المحدِّثين

للشيخ الإمام العلَّامة المحدِّث

عبد العزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم الدِّهلوي

(١٠٥٩ ـ ١٢٣٩ هـ)

نقله إلى العربية

الدكتور محمد أكرم النَّدْوي

دار الغرب الإسلامي

بيروت

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو الشيخُ الإمام العالم الكبير العَلاَّمة المحدِّث عبد العزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم العُمَري الدِّهْلوي سيِّدُ عُلمائنا في زمانه وابن سيدهم ، لقَّبه بعضهم « سِراجَ الهند » وبعضهم « حُجَّة الله » .

وُلِدَ في عام ١٠٥٩هـ .

حَفظ القرآنَ وأخذ العِلمَ من والده ، فقرأ عليه بعضاً ، وسمع بعضاً آخر بالتحقيق ، والدِّراية ، والفحص والعناية ، حتى حصَلتْ له مَلَكةٌ راسخةٌ في العلوم .

ولمَّا تُوفِّي أبوه إلى جوار رحمة الله تعالى ورضوانه وله ست عشرة سنة ، أخذَ من الشيخ نور الله البُرْهَانوي ، والشيخ محمد أمين الكشميري ، وأجازه الشيخ محمد عاشق بن عُبيد الفُلَّتي ، وكانوا من أجِلّة أصحاب والده ، فاستفاد منهم ما فاتَه على ابيه ، وله رسالةٌ فصَّل فيها ما قرأ على والده ، وعلى غيره من العلماء .

وكان أحد أفراد الدنيا بفَضلِه وآدابه وعِلمه وذكائه وفهمِه وسُرعةِ حفظه ، اشتغلَ بالدروس والإفادة وله خمسَ عشرة سنة ، فدرس وأفاد ، حتى صار في الهند العَلَم المُفرد ، وتخرَّج عليه الفضلاء ، وقَصدته الطلبة من أغلب الأرجاء ، وتُهافتوا عليه تهافت الظمآن على الماء .

كان لطيفَ الطبع ، حسَن المُحاضرة ، جميلَ المُذاكرة ، فصيحَ المنطق ، مليحَ الكلام ، ذا تَوَاضع وبَشاشةٍ وتَودد ، لا يمكن الإحاطة بوَصفه ، ومجالستُه هي نُزهة الأذهان والعقول ، بما لديه من الأخبار التي تُشنِّف الأسماع ، والأشعار المهذَّبة للطباع ، والحكايات عن الأقطار البعيدة وأهلِها وعجائبها ، بحيث يَظُنُّ السامع : أنه قد عَرفها بالمشاهدة ، ولم يكنِ الأمر كذلك ، فإنه لمْ يعرف غيرَ مملكته ، ولكنه كان باهرَ الذكاء وقوي التَّصور ، كثيرَ البحث عن الحقائق ، فاستفادَ ذلك بوفود أهلِ الأقطار البعيدة إلى حَضرة دِهلي ، ولأنَّه قد صنَّف الناس في الأخبار مُصنَّفاتٍ يستفيدُ بها مما يُقرِّب من المشاهدة .

وكان الناسُ يقصدونه ليستفيدوا مِنْ علمه ، والأدباءُ ليأخذوا من أَدبه ، ويَعرضوا عليه أشعارَهم ، والمحاويجُ يأتونه يَشفعُ لهم عندَ أرباب الدنيا ، ويُواسيهم مما يمكنه ، وكَرمهُ كلمةُ إجماع ، والمرضى يَلوذون به لمداواتهم ، وأهلُ الجَذْب والسلوك يأتونه ليقتبسوا من أشعَّةِ أنواره ، وغرباء الديار من أهل العلم والمَشيخة يُنزلهم في منزله ، ويَفْضُل عليهم بما يحتاجون

إليه . ويَسعى في قضاء أغراضهم ، ونيل مطالبهم ، وإذا جالَسَه مُنحرف الأخلاق ، أو من له في المسائل الدينية بعضُ الشِّقاق ؛ جاءَ من سِحر بيانه بما يُؤلِّف بين الماء والنار ، ويَجمع بين الضَّب والنُّون ، فلا يُفارقه إلا وهو عنه راضٍ . توفي رحمه الله تعالى عام ١٢٣٩هـ .

للشيخ عبد العزيز مؤلَّفاتٌ كُلُّها مقبولةٌ عند العلماء محبوبةٌ إليهم يتنافسون فيها ، ويحتجُّون بترجيحاته وهو حَقيقٌ بذلك ، وفي عبارته قُوةٌ وفصاحةٌ وسلاسةٌ تعشَقُها الأسماع وتلتذُّ بها القلوب ، ولكلامِه وَقْعٌ في الأذهان قَلَّ أن يُمعِن في مطالعاته مَنْ له فَهمٌ فيبقى على التقاليد بعد ذلك ، وإذا رأى كلاماً متهافتاً زيّفَه ومذقه بعباراتٍ عَذْبَةٍ حُلوةٍ ، وقد أكثر الحطَّ على الشيعةِ في المسائل الكلامية ، وله حُجَّةٌ قاطعةٌ عليهم لا يستطيعون أن يَنطقوا في جَواب تُحفَتِه ببِنْت شَفة » .

من مصنَّفاته :

١ ـ تفسير القرآن المسمَّى بـ « فتح العزيز » : صنَّفه في شدة المرض ولُحوق الضعف إملاءً ، وهو في مجلدات كبار ، ضاع مُعظمها في ثورة الهند فما بقي إلا مجلدان من الأول ، والآخر .

٢ ـ ومنها « الفتاوى في المسائل المشكلة » : وقد جُمعت ما تحويها ضخامُ الدفاتر ، والميسَّر منها أيضاً في مجلدين .

٣ ـ ومنها « تُحفة اثنا عشرية » في الكلام على المذهب الشيعي : كتابٌ لم يُسبق إلى مثله .

٤ ـ ومنها كِتابه « بُستان المحدِّثين » : وهو فَهرس كتب الحديث وتراجمُ أهلها ببَسطٍ وتفصيل ، ولكن لم يَتِم .

٥ ـ ومنها « العُجالة النافعة » : رسالةٌ له بالفارسية في أصول الحديث .

٦ ـ ومنها رسالةٌ فيما يجب حفظه لطالبي الحديث .

٧ ـ ومنها « ميزان البلاغة » : متْنٌ متينٌ في علم البلاغة .

٨ ـ ومنها « ميزان الكلام » : متنٌ متينٌ في علم الكلام .

٩ ـ ومنها « السِّرُّ الجليل في مسألة التفضيل » : رسالة له في تفضيل الخلفاء لبعضهم على بعض .

١٠ ـ ومنها « سِرُّ الشهادتين » : رسالة نفيسةٌ له في شهادة الحسنين ، رضي الله عنهما .

١١ ـ ومنها رسالة في الأنساب .

١٢ ـ ومنها رسالة عجيبةٌ في الرُّؤْيا .

وله غيرُ ذلك في الرسائل .

وأما مصنَّفاته في المنطق والحكمة ؛ فمنها :

١٣ ـ حاشيةٌ « على مير زاهد رسالة » .

١٤ ـ وحاشيةٌ على « مير زاهد ملاًّ جلال » .

١٥ ـ وحاشية على « مير زاهد شرح المواقف » .

١٦ ـ وحاشيةٌ على « حاشية ملاّ كوسج » المعروفة بالعزيزية .

١٧ ـ وحاشية على « شرح الهداية الحكمة » للصدر الشيرازي .

١٨ ـ وله شرحٌ على أرجوزة الأصْمعي .

وله مراسلاتٌ إلى العلماء والأدباء .

وتخميسٌ نفيس على قَصيدتي والده (« البائية » و « الهمزية »)[1] .

ـ نبذة من ترجمة المترجم :

قد سبقت ترجمته قبل مقدمة الكتاب في الجزء الأول .

---

(١) من « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » (٢/ ٦٨١) بالاختصار .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بقلم : العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمّد ، وآله وصحبه أجمعين ، أمّا بعد :

فإن أكثر العلوم الإسلامية حظًّا ، وأوفرها نصيباً من الخدمات العلميّة ، وأعمالِ البحث والتحقيق ، والجهودِ العلمية المضنية في الحفاظ عليها وتقييدها ، ووعيها ونشرها ، والرحلات الواسعة المتتابعة في سبيلها هو : (علم الحديث) ، الذي سعدت الأمة الإسلامية وانفردت من بين الشعوب والأُمم بنقله وتداوله ، وحفظه ورعايته ، وتقديمه إلى الأجيال التالية مصوناً مأموناً ، منخولاً ، مدروساً ، ومخدوماً ، فمن مجموعات الصحابة الميامين الأولى كصحيفة عبد الله بن عمرو الصادقة إلى كتاب الموطأ لمالك ، وكتاب الآثار لمحمد ، وأبي يوسف ، إلى صحيحَيْ البخاري ومسلم ، إلى سنن الدارقطني ، والبيهقي ، إلى المجاميع المتأخّرة جهود علمية مخلصة عظيمة ، أفنى فيها المحدِّثون الأجلّة ، والأئمّة الكبار ، والعدول الضبّاط ، والثقات الحُفَّاظ أعمارهم ، وواصلوا ليلهم بنهارهم ، يدهش الدارس ، ويقف منبهراً أمام هذه الخدمات العلمية الحديثية التي ظلّت تتواصل وتتكاثر وتتكامل حتى نضج هذا العلم نضجاً تامًّا .

ولقد أُلِّف في تاريخ تدوين الحديث والمحدِّثين ، واستعراض المؤلفات في

الحديث وعلومه كتب كثيرة معروفة[١] ، كان من أهمّها وأمتعها بفوائد حديثية فنية كتاب : « بستان المحدِّثين » لمسند الهند الإمام عبد العزيز بن الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بوليّ الله الدهلوي (١١٥٩ ـ ١٢٣٩هـ) الذي وصفه مؤرّخ أعيان الهند والدي العلامة السيد عبد الحيّ الحسني بـ « الشيخ الإمام العلامة المحدِّث بقية الحفاظ . . . سيّد العلماء في زمانه ، وابن سيّدهم ، الملقّب بسراج الهند ، وحجّة الله » ، وقال عنه :

« كان ـ رحمه الله تعالىٰ » ـ أحد أفراد الدنيا بفضله وآدابه وعلمه وذكائه وفهمه وسرعة حفظه ، اشتغل بالدرس والإفادة وله خمس عشرة سنة ، فدرَّس وأفاد حتى صار في الهند العلم المفرد ، وتخرّج عليه الفضلاء ، وقصدته الطَّلبة من أغلب الأرجاء ، وتهافتوا عليه تهافت الظمآن على الماء »[٢] .

كان الإمام الدهلوي من نوادر الزمن ، ونوابغ العلماء ، ومن كبار المصنّفين المحقّقين ، له مجموعة كبيرة في الفتاوى ، وكتابه « تحفة الإثني عشرية » في الردّ على الشيعة من الكتب العديمة النظير ، وله « العجالة النافعة » بالفارسية في أصول الحديث .

أمّا كتابه « بستان المحدِّثين » الذي ألّفه بالفارسيه فهو أشبه بمذكرة علمية جيّدة في التعريف بأئمّة المحدثين وكتبهم ومؤلّفاتهم ، وكانت من المقرّرات الدراسية بقسم الحديث في ندوة العلماء، تناوله أحدُ الشباب الفضلاء من خرِّيجي كلية الشريعة وأصول الدين بدار العلوم لندوة العلماء ، وهو : العزيز محمد أكرم الندوي ـ الذي يعمل كباحث في المركز الإسلامي بأوكسفورد ـ بنقله من الفارسية إلى العربية، والتعليق عليه ، وإكماله بفصولٍ كان الكتاب في حاجةٍ إليها لإخراجه في شكل أوفى وأتمّ .

---

(١) منها على سبيل المثال : « الرسالة المستطرفة في بيان كتب السنة المشرَّفة » للعلامة محمد بن جعفر الكتاني ، و « التعريف الوجيز بكتب الحديث » لأستاذنا الشيخ سلمان الحسيني الندوي ، و« مصادر الحديث ومراجعه : دراسة وتعريف » و « الوجيز في تعريف كتب الحديث » كلاهما لشقيقي الأكبر الأستاذ سيد عبد الماجد الغوري ، وغير ذلك .

(٢) نزهة الخواطر : (٧/ ٢٧٦) .

نرجو أن يلقى الكتاب في أوساط طلبة العلم وأهله حسنَ التلقّي والقبول ، وأن تقرّر دراسته لطلبة علوم الحديث ، وبارك الله على العزيز الفاضل ، وتقبّل عمله ، ووفّقه للمزيد من خدمة الحديث الشريف ، والله وليّ التوفيق .

كتبه

أبو الحسن علي الحسني الندوي

١٦/ ذو القعدة ١٤١٧هـ

أعلام المحدثين
في الهند في القرن الرابع عشر الهجري
وآثارهم في الحديث وعلومه

تأليف

سيد عبد الماجد الغوري

قدم له

العلامة السيد أبو الحسن الندوي

و

الأستاذ الدكتور نور الدين عتر

دار ابن كثير

دمشق ـ بيروت

نبذة من ترجمة المؤلّف

وُلد في أواخر عام ١٩٧٨م ، بمدينة حَيْدَرْآباد (الهند) ، في أسرةٍ عريقةٍ في العلم والنسب . تلقَّى دراسته الابتدائية في كُتّاب ومعاهد بلده ، ثم التحق بمدرسة ضياء العلوم الإسلامية (فرع دار العلوم ـ ندوة العلماء) في رأي بَرِيْلي .

وخلال دراسته في هذه المدرسة استفاد أيَّما الاستفادة من مكتبة دار عرفات العامرة بالكتب القيمة ، وكذلك لازم العلامة أبا الحسن الندوي أيام إقامته ـ رحمه الله تعالى ـ في رأي بَرِيْلي ، والتي كانت مسقطَ رأسِه ، ثم انتقل من هذه المدرسة إلى دار العلوم ـ ندوة العلماء (لكهنؤ) حيث واصَلَ دراستَه في اللّيسانس فكان على وشك التخرُّج منها إذ أُرسِل من قبل دار العلوم إلى دمشق مع مجموعة من الطلاَّب ليُتابع دراسته فيها ، حيث تابع دراستَه في كلية أصول الدين (فرع الأزهر) التابعة لجمعية معهد الفتح الإسلامي الغرّاء فبقي فيها طالباً حتى تخرَّج عام ٢٠٠٣م في الدراسات العليا من قسم الحديث النبوي الشريف . وقد استفاد في غضون الإقامة الطويلة في دمشق من كبار علمائها ، ومشايخها ، ومنهم الجدير بالذكر ، العلاَّمة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ـ رحمه الله تعالى ـ والشيخ الدكتور نور الدين عِتر ـ حفظه الله ومَدَّ في عمره ـ وغيرهما من علماء الحديث في تلك البلاد المباركة . وقد استطاع خلال دراسته في دمشق أن يقوم بأعمالٍ علميةٍ جيِّدةٍ ، من التأليف والتحقيق والإعداد ، والتي قد تجاوزت أكثر من أربعين ، فمن أهمِّها فيما يلي :

من مؤلفاته :

١ ـ موسوعة علوم الحديث وفنونه (ثلاث مجلَّدات) .

٢ ـ معجم ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل المشهورة والنادرة فيها .

٣ ـ معجم المصطلحات الحديثية .

٤ ـ معجم ألفاظ الجرح والتعديل .

٥ ـ علم مصطلح الحديث : نشأته ـ وتطوّره ـ وتكامله .

٦ ـ المدخل إلى دراسة علم الجرح والتعديل .

٧ ـ المدخل إلى دراسة علوم الحديث .

٨ ـ علم الرجال : تعريفه وكتبه .

٩ ـ مصادر الحديث ومراجعه : دراسة وتعريف .

١٠ ـ الوضع في الحديث .

١١ ـ تعريف الدارسين بمناهج المحدِّثين .

١٢ ـ السنة النبوية : حجيتها وتدوينها .

١٣ ـ التدليس والمدلِّسون : دراسة عامة .

١٤ ـ الوجيز في تعريف كتب الحديث .

١٥ ـ الميسر في علوم الحديث .

١٦ ـ الميسر في علم الرجال .

١٧ ـ الميسر في علم الجرح والتعديل .

١٨ ـ الميسر في علل الحديث .

١٩ ـ أعلام المحدِّثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري .

٢٠ ـ أبو الحسن علي الندوي الإمام المفكِّر الداعية المربِّي الأديب .

٢١ ـ محمد إقبال الشاعر المفكِّر الفيلسوف .

٢٢ ـ محمد حميد الله : سفير الإسلام وأمين التراث الإسلامي في الغرب .

تحقيقاته وتعليقاته :

١ ـ تهذيب الأخلاق : للعلامة عبد الحي الحسني .

٢ ـ السيرة النبوية : للإمام أبي الحسن الندوي .

٣ ـ نظرات في الأدب النبوي : للإمام أبي الحسن الندوي .

٤ ـ رسالة التوحيد : للإمام الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي .

٥ ـ فضائل الدعوة إلى الله : للمحدِّث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

٦ ـ رسائل الأعلام إلى العلامة أبي الحسن الندوي .

٧ ـ ديوان محمد إقبال (مجلَّدان) .

وغير ذلك وقد جمع جميع مقالات ومحاضرات الإمام أبي الحسن الندوي التي كانت مبعثرة ومنتشرةً ومتعرِّضةً للضياع في طيَّات ملفَّات المجلَّدات والجرائد ، ومسجَّلةً في الأشرطة ، فقام بجمعها وإعدادها ونشرها في شكل كتب وأجزاء ومجلداتٍ ، والتي قد طُبعت (في دار ابن كثير بدمشق) في سلسلة « تراث العلامة الندوي » وذلك بالعناوين التالية :

١ ـ محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة (ثلاث مجلدات) .

٢ ـ مقالات إسلامية في الفكر والدعوة (جزآن) .

٣ ـ مقالات في السيرة النبوية .

٤ ـ دراسات قرآنية .

٥ ـ من أعلام المسلمين ومشاهيرهم .

٦ ـ أبحاث في التعليم والتربية الإسلامية .

٧ ـ بحوث في الاستشراق والمستشرقين .

٨ ـ خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء .

٩ ـ اسمعيات .

١٠ ـ مكانة المرأة في الإسلام .

١١ ـ رحلات العلاَّمة أبي الحسن الندوي .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم : العلامة الكبير السيد
أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسلام على سيِّد المُرْسَلين ، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أمَّا بعد :

فقد ظَلَّت كتبُ السنَّة والحديث ـ ولا تزال ـ مصدراً من مصادر الإصلاح والتجديد والتفكير الإسلامي الصحيح في الأمَّة الإسلامية ، تلقَّى منه المصلحون في عصورهم العلم الديني الصحيح والفكر الإسلامي النقي ، واحتجُّوا بأحاديثه ، واستندوا إليها في دعوتهم إلى الدين والإصلاح ، وفي محاربتهم البِدَع والفِتَن والفساد ، فكلما ضَعُفَتْ صلةُ المسلمين بكتب الحديث والسنَّة ومعرفتهم بها ، والعمل بالسنَّة على كثرة وجود الدعاة إلى الله ، والمشتغلين بتزكية النفوس وتهذيب الأخلاق ، والزهد في الدنيا والعمل بالسنَّة ، وطالت هذه الفترةُ ، وغزت المجتمعَ الإسلامي ـ الزاخر بأصحاب الاختصاص في العلوم الإسلامية ، المتبحِّرين في العلوم الحكمية والأدبية ، وفي عهد غلبة الإسلام والمسلمين ـ بِدَعٌ طريفةٌ وتقاليدُ عجميةٌ وأعرافٌ دخيلةٌ ، حتى يكاد يكون نسخةً من مجتمعٍ جاهليٍّ ، ومن شاء فليستعرض الوضعَ الديني وواقع حياة المسلمين في القرن العاشر الهجري في الهند ، القرن الذي كادت صلةُ الأوساط الدينية والعلمية في شبه القارة الهندية تنقطع عن علم الحديث الشريف ومصادر السنَّة الصحيحة ، وكانت تعيش في عُزْلَةٍ عن مراكز العلم

الديني وتدريس الحديث الشريف (الحجاز ، واليمن ، ومصر ، والشام) ، وأصبحت مقتصرةً على كتب المذهب وشروحها وتدقيقاتها ، وكتب الأصول والحكمة ، كيف فشت فيها البِدَع وعمَّت المنكراتُ ، واستحدثت أشكالٌ متنوّعةٌ للعبادات والقربات ؛ لأن الهند ما كانت تعرف شيئاً عن الصحاح الستة ومؤلِّفيها وأئمَّة هذا الفَنّ الذين نقدوا علمَ الحديث ونخلوه ، وميَّزوا بين صحيحها وسقيمها ، وقاوموا البِدَعَ والمُحْدَثات ، وأثبتوا أنَّ حياة المسلمين يجب أن تقوم على أساس السنَّة المطهرة ، وفي ضوء الأحاديث الصحيحة ، نستثني من ذلك ولاية (كُجْرَات) التي انتشر فيها علم الحديث لنزول العلماء العرب بها ، وكثرة الرحلات منها إلى الحرمين الشريفين ، ونبغ فيها العلاَّمةُ علي المتقي البرهانفوري[1] ، وتلميذُه النجيب المعروف بالعلامة محمد الفَتَّنِي[2] (في القرن العاشر)[3] .

استعرض العلاَّمةُ السيِّد عبد الحي الحسني العلماءَ المحدِّثين والمصلحين المجدِّدين الذين رفعوا رايةَ الإصلاح والتجديد عامةً ، وأسهموا في خدمة الحديث الشريف ونشره ، خاصة خدمة الإمام ولي الله الدَهْلَوي للحديث الشريف ، والذي كان امتداداً للحركة الإصلاحية والتجديدية التي قام بها الإمامُ السَّرْهِنْدِي في القرن العاشر الهجري ، في تجلية الفكر الإسلامي وإنعاش الروح الدينية ، ومقاومة الفِتَن الخطيرة المُحْدَقة ، واستئصالها من جذورها ، وكسر طلاسم المحاولات الضالَّة ، وتثبيت أقدام الإسلام المتزلزلة في الهند ، وإزالة آثار الكفر ومعالم الضلالة التي خلفها عهدُ (أكبر)[4] المُظلم ، والمحاولة الجادَّة الحكيمة الناجحة لثورةٍ دينيةٍ تجديديةٍ ، وتغييرٍ جذريٍّ عظيمٍ ، كان مِن نتاجها : السلطان محيي الدين أَوْرَنْكَ

---

(١) من أراد الاستزادة في موضوع ازدهار علم الحديث وانحطاطه الذي مر به في الهند فعليه أن يراجع كتاب العلامة السيد عبد الحي الحسني « الثقافة الإسلامية في الهند » الذي يعتبر موسوعة ضخمة حول الثقافة الإسلامية وتدوينها وتطوراتها عبر العصور .

(٢) قد سبقت ترجمته في الجزء الأول .

(٣) قد سبقت ترجمته في الجزء الأول .

(٤) هو الإمبراطور المغولي المعروف بـ (أكبر) .

زَيْبَ عَالَمْكِيْر سلطان الهند صاحبُ الأمر والنهي فيها سياسياً وإدارياً ، وحكيمُ الإسلام ولي الله الدِّهْلَوي وخلفاؤه وتلاميذه النجباء روحياً وفكرياً ، وكان كلُّ ذلك امتداداً لهذه الدعوة والحركة ، وهم الذين بذلوا جهوداً جبَّارة في نشر تعاليم الكتاب والسنَّة والدعوة إليها بعُلُوِّ همَّةٍ وشرحهما وتبيينهما للناس ، وكانت جهودهم في الإفادة والتدريس وإنشاء المدارس الدينية ، والتزكية الروحية والتربية الباطنية ، وإصلاح العقائد ، والرَّدِّ على البِدَع والتقاليد ، ثم جهادهم واستماتتهم في سبيل الله ، وسَعْيهم لإعلاء كلمة الله ، وبفضل هذه الجهود بقيت شجرةُ الإسلام في الهند قائمةً على ساقها ، ناضرةً مخضَرّةً ، بل حوَّلوا الهند إلى مركز الثقل في العالم الإسلامي في العلوم الدينية ، ولا سيَّما في علم الحديث الشريف والفكر الإسلامي ، والدعوة والإرشاد ، وصارت الهندُ في الزمن الأخير أكبرَ مركزٍ لعلم الحديث الشريف ، ومصدرَ إشعاعٍ وتصدير ، بعد أنْ كانت مركزَ استفادةٍ واستيرادٍ ، ونبغ فيها أكبرُ علماء هذا الفن ، وألّفوا فيها أحسنَ الكتب في هذا الموضوع ، فأصبح الحديثُ النبوي جزءاً ضرورياً من المقرَّرات الدراسية ، ومقياساً للفضيلة والكمال ، وقامت حلقاتٌ مستقلةٌ لدروس الحديث الشريف ، وعَمَّ تدريسُ الصحاح الستة لا سيَّما الكتب الأربعة ، وبدأ عهدٌ جديدٌ لشروح كتب الحديث والتعليقات عليها ، حتى لم تلبث أنْ تكوَّنت منها مكتبةٌ ضخمةٌ كبيرةٌ لا يوجد مثيلُها في البلاد العربية نفسها ، وتُرجمتْ كتب الحديث التي استفاد منها عامةُ المسلمين ، والذين لا يعرفون العربيةَ ، وكذلك السيِّدات المسلمات استفادة عظيمة ، وكان ذلك دافعاً إلى الجِدِّ والعمل ، ومشوِّقاً لاتباع السنة والاهتمام بها ، ومرغِّباً في الأسانيد وإجازات الحديث ، وأصبحت الهندُ مركزاً لهذا العلم الشريف ، حتى صدرت من قلم عالمٍ مصريٍّ جليلٍ كالعلاَّمة رشيد رضا منشىء مجلَّة « المنار » المصرية هذه الكلماتُ التالية :

« ولولا عنايةُ إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق ، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز ، في القرن العاشر حتى بلغت منتهى الضَّعف في أوائل القرن الرابع عشر » .

وإنْ كان العلاَّمة الشريف عبد الحي الحسني قام باستعراض أسماء المحدِّثين وجهودهم في مجال خدمة الحديث عبر القرون إلَّا أنَّ خدمة الحديث استمرَّت ، وازدهرتْ علومُه بعد وفاة المؤلِّف ، فكان الموضوعُ يتطلب باحثاً ليقوم باستعراض جهود المحدِّثين في القرن الرابع عشر الهجري ، وتعريف مصنَّفاتهم وخصائصها وميزاتها البارزة ، مع نبذةٍ يسيرةٍ عن ملامح سيرتهم وأخلاقهم وسلوكهم ، فقام بهذه المهمة خير قيام الأخ العزيز عبد الماجد الغَوْري وهو من أبناء الهند ، وأحسن وأجاد فيما كتبه عن هذا الموضوع في كتابه المُسَمَّى « أعلام المحدِّثين » تقبَّل الله منه هذا العملَ الخيري المفيد وبارك فيه ، ونفع به الإسلام والمسلمين . ووفَّقه لما يُحِبُّه ويرضاه[1] .

١ / ٨ / ١٤٢٠هـ	أبو الحسن علي الحسني الندوي
١٠/ ١١/ ١٩٩٩م	لكهنؤ ـ الهند

---

(١) هذه آخر مقدمة تفضّل بها العلامة أبو الحسن الندوي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قبل شهرٍ من وفاته .

الأمير سيد صديق حسن خان
حياته وآثاره

تأليف

الدكتور محمد اجتباء الندوي

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

نبذة من ترجمة المؤلِّف

أحدُ كبار تلاميذ العلامة الندوي ، لازمه مدَّةً طويلةً ، وأخذ عنه ، ونَهَل من مَوْرده العذب .

عاشَ فترةً بقُرب العلامة ، وكانت لأسرته صلةٌ وثيقةٌ بأسرة العلامة ، وذلك من عهد الإمام المجاهد أحمد بن عرفان الشهيد ، الذي كان مِن أقرب أتباعه إليه الشيخُ جعفر علي النَّقْوِي ، وهو الجدُّ الأعلى للدكتور اجتباء .

لقد قضى الدكتور طفولته ، وعهداً طويلاً من دراسته في بيئة العلامة الندوي ، وعاشَ فترةً في ظلِّ تربيته . وصَحِبَ العلامةَ في دمشق[1] أثناء إقامته فيها أستاذاً زائراً بكلية الشريعة في جامعة دمشق .

مارس الدكتورُ في مجال التدريس بدءاً كمدرِّسٍ لمادة الأدب العربي في دار العلوم ندوة العلماء ، ثم كمحاضرٍ وأستاذٍ مشاركٍ في جامعات الهند الكبيرة ، وعيِّن أستاذاً مشاركاً أيضاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وانتُخِبَ في الأخير رئيساً لقسم اللغة العربية في جامعة كشمير .

وهو الآن عضوٌ مؤسسٌ لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئيس فرعها بالهند ، وعضو المجمع الإسلامي العلمي بلكهنؤ .

له مؤلَّفاتٌ في اللغة والأدب ، والتاريخ والسِّيَر ، والفكر الإسلامي باللغتين العربية والأردية فمنها : « الإمام شاه ولي الله الدهلوي حياته وآثاره » .

« الأمير سيد صديق حسن خان حياته ـ وآثاره » و « أبو الحسن علي الحسن الندوي الداعية الحكيم والمربِّي الجليل » و « تاريخ الفكر الإسلامي » وغير ذلك[2] .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ عام ١٤٢٩هـ .

---

(١) وكان يومئذ طالباً في كلية الشريعة بجامعة دمشق .

(٢) مأخوذٌ من « أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب » لسيد عبد الماجد الغوري .

مقدّمة الكتاب

يسعدني أن أقدِّم لكتابٍ أُلِّف عن حياة الأمير السيد (صديق حسن خان) وآثاره ، وشعوري بهذه السعادة والاغتباط يرجع إلى عِدَّة أسبابٍ سأتناول شرحَ بعضها في هذا التقديم القصير .

لقد وُلِدْتُ في بيتٍ : كان موضعُه الأثير الحبيب ، بل هوايته التأليف في سِيَر الرجال وطبقاتهم ، وتراجم العلماء وأهل الفضل ، وخاصةً الذين أنجبتهم أرضُ الهند ، ونبغوا في شبه القارة الهندية منذ دخول الإسلام في هذه البلاد إلى هذا القرن .

ونشأتُ في بيئةٍ كان الحديثُ الدائر المتكرِّر في أوساطها ومتعة المتحدِّثين فيها الإشادة بالمُثل والقِيَم الإنسانية والعلمية ، والتنويه بسماتِ العلماء الكبار ، ومجالات اختصاصهم وتبريزهم ، والشعائر الغالبة عليهم ، والتغنِّي بنبوغ أصحاب النبوغ ، وعبقرية أصحاب العبقريات في مختلف العصور والأمصار في إكبارٍ وإعظامٍ ، بل في شيءٍ من الهُيَام ، فثارت في نفسي ملكةُ الإعجاب بمواضع العظمة والنَّبالة ، ومكارم الأخلاق وعُلُوّ الهمَّة ، وسُمُوّ النفس لدى أفراد البشر بصرف النظر عن جنسيتهم ، ووطنيتهم ، وعصرهم التاريخي ، وكان ذلك في سنٍّ مبكِّرةٍ لا تبعث فيها هذه الملكة في غالب الأحيان ، والملكات البشرية المودعة في طبائع الأطفال قد يثيرها باعث خاص - من بيئةٍ وتربيةٍ وحوادثَ مخصوصةٍ - فتنقدح ، وتتفتق قبل أوانها الطبيعي المعتاد ، وقد كانت هذه قصةُ كاتبِ هذه السطور ، ولا يدَّعي في ذلك تفرُّداً ، أو بدعاً من الأمر .

وقد نشأتُ بصفةٍ خاصةٍ على حُبِّ التفنُّن في الفضائل ، والجمع بين الأشتات ، بل الأضداد من الفضائل الإنسانية ، وأنواع العلوم والمعارف ، والآداب

والثقافات ، وعُلُوِّ الهمة ، والقدرة الفائقة على ا لتنسيق بينها ، وتسخيرها للوصول إلى غايةٍ مُثْلىٰ ، وخدمة العلم والدين ، حتى لو أدَّى ذلك إلى المشاركة في علوم وآدابٍ يتحاشى عنها كثيرٌ من علماء الدين ويعدُّونها من حُثَالة العلوم[1] ، وبَرَاية الآداب[2] ، ويستخدم العلماء الممتازون هذه العلومَ والآداب في سبيل إثبات الدين ، والدعوة إلى الله ، ويُخرجون لأهل عصرهم : ﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل : ٦٦] .

ونشأتُ كذلك على حُبِّ من يوفِّقه الله ويقوِّيه على الجمع بين الرئاستَين العلمية والعملية ، والحسنَيين الدنيا والآخرة ، والنقيضين (في عرف الناس) من إمارةٍ أو وزارةٍ في جانبٍ ، والاشتغال بالتأليف والتدريس أو التربية والإرشاد والإصلاح ، وإزالة الفساد في جانبٍ آخر ، ولذلك نشأتُ على معرفة العلاّمة الأمير السيد صديق حسن خان معرفةً أكثَرُ وأعمَقُ من المعرفة التي تنشأ عن الكتب ، وتعتمد على السَّماع والرواية ، وعرفتُ مواضعَ النبوغ والعظمة في هذه الشخصية الكبيرة التي كانت من مفاخر عصره ومن مفاخر الهند ، وكان بحقٍّ في لفظ صاحب « نزهة الخواطر » الذي يتحرَّى الدِّقَّة والأمانة في وصف الرجال وتقييمهم ، ولا يكيل المدح جزافاً :

« علاَّمة الزمان ، وترجمان الحديث والقرآن ، مُحيي العلوم العربية ، وبدر الأقطار الهندية ، السيد صديق حسن بن أولاد حسن بن أولاد علي الحسيني البخاري القِنَّوْجي ، صاحب المصنَّفات الشهيرة والمؤلَّفات الكثيرة »[3] .

ويقول :

« وكان غايةً في صفاء الذهن وسرعة الخاطر ، وعذوبة التقرير ، وحُسْن التحرير ، وشرف الطبع ، وكرم الأخلاق ، وبهاء المَنْظَر ، وكمال المخبر ، وله

---

(١) الحُثَالة : هو الرديءُ من كل شيءٍ .
(٢) البراية ما يسقط عند نحت القلم ، وهو المرذول الذي لا ينفع .
(٣) نزهة الخواطر : (٨/ ١٨٧) .

من الحياء والتواضع ، ما لا يساويه فيه أحدٌ ، ولا يصدِّق بذلك إلا من تاخَمه وجالَسه ، فإنَّه كان لا يعدُّ نفسَه إلا كأحد الناس »[1] .

وكذلك كان إعجابي وإكباري بنابغة القرن التاسع الهجري ، وأحد أبناء الهند الأفذاذ (خواجه عماد الدين محمود الكيلاني) ، وزير الدولة البهمنية الكبيرة (٨١٣ ـ ٨٨٦هـ) ، تلميذ الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر العَسْقَلاني ، ومؤلِّف كتاب « مناظر الإنشاء » ، ومؤسِّس أكبر جامعةٍ في بلدة (بِيْدَرْ) ، يقول عنه مؤرِّخ الهند ومُترجم نوابغها العلاَّمة عبد الحيّ الحسني :

« كان عالماً كبيراً بارعاً في المعقول والمنقول ، لا سيَّما الفنون الرياضية وصناعة الطِّبِّ والإنشاء وقرض الشعر ، وكان باذلاً سخياً شُجَاعاً ، حسنَ العقيدة ، حسنَ الفعال ، يجزل على أهل العلم صلاتٍ جزيلةً ، ويرسلها إلى خُرَاسان ، وما وراء النهر ، والعراق ، وكان لا يأكل ممَّا يحصل له من أقطاع الأرض شيئاً بل يصرفها على مستحقيها ، وكان يحفظ رأس ماله ، وينمِّيه بالتجارة فيأكل ما يحصل له منها » .

وله آثار باقية في أرض (الدَّكَنْ) ، منها المدرسة العظيمة بـ (أحمد آباد) بِيْدَرْ ، وتلك العمارة في غاية الحسن والحصانة لا يُوجد لها نظيرٌ في بلاد (الدَّكَنْ) ، بناها في سنة ست وسبعين وثمانمئة ، وتأريخه « رَبَّنا تَقبَّل مِنَّا »[2] .

ويقول :

« تدرَّج إلى الإمارة » واستوزَرَه علاءُ الدين شاه البَهْمَنِي ، وجعله جملةَ الملك ، ثم لقبه محمد شاه البهمني بـ « خواجه جَهَأن »[3] .

---

(١) أيضاً : ص : ١٥٢ .

(٢) أي : ٨٧٦هـ على حساب الجُمَّل .

(٣) « نزهة الخواطر » : (٣/ ١٧١ ـ ١٧٣) ، وترجم له السخاوي في الضوء اللامع وذكره طاش كبرى زاده في « مفتاح السعادة » .

وكذلك كان إعجابي بالأمير قائد الجيوش المغولية الأكبر عبد الرحيم خَانِخَانان ، الذي يقول عنه العلاَّمة السيد عبد الحي الحسني :

« لم ينهض من الهند مثلُه ، ولا من غيره من الأقاليم السبعة[١] ، من يكون جامعاً لأشتات الفضائل[٢] .

ويتقدَّم فيقول :

« وكان له من النقادة التامة ، والشهامة الكاملة ، وعُلُوُّ الهمَّة والكَرم ما لا يمكن وصفه ، مع المعرفة للأدب ومطالعة كتبه ، والإشرافِ على كتب التاريخ ومحبَّة أهل الفضائل ، وكراهةِ أرباب الرذائل ، والنزاهة والصيانة ، والميل إلى معالي الأمور ، حتى لم أجـد ممَّن كان قبله أو بعده من يساويه في مجموع كمالاته ، وكان مع ذلك لا يعفي نفسه عن مطالعة الكتب ، فإذا كان على ظهر الفرس وقت طعنةٍ أو نهضةٍ رأيت الأجزاء في يده ، وإذا كان يغتسل رأيت الأجزاء في يد خُدَّامه يحاذونه وهو يطالعها ويغتسل »[٣] .

وكذلك الأمير الكبير نَوَاب مرتضى بن أحمد البخاري (١٠٢٥هـ) الذي يقول عنه العلاَّمة الحَسَني :

« لم يكن له نظيرٌ في زمانه في السياسة والتدبير ، والسَّخَاء والكرم ، والمحبَّة لأهل الفضائل ، والمَيْل إلى معالي الأمور . . « لقَّبه جَهَانْكِير بن أكبر شاه » بصاحب السَّيف والقلم »[٤] .

وكان مِن هؤلاء الأفذاذ النوابغ الذين جمعوا بين أشتات الفضائل ، وأنواع المحامد والشمائل : العلاَّمة الأمير السيد صديق حسن خان ، أمير ولاية بُوْفال ، وكان اسمُه من الأسماء الأولى التي طرقت أذني في طفولتي ، وذلك بسبب الوَشَائج

(١) لعله يريد في القرن الحادي عشر وما يتصل به .
(٢) « نزهة الخواطر » : (٥/ ٢٢١) .
(٣) « نزهة الخواطر » : (٥/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) .
(٤) راجع للتفصيل « نزهة الخواطر » : (٥/ ٤١٣) .

والصلات الوثيقة التي كانت بيني وبين أسرة الأمير ، وهي وشائج العقيدة السُّنِّيَّة الخالصة ، وارتباط والده العلاّمة السيد أولاد حسن القَنُّوجي الرُّوحي والديني بكبير أُسرتنا وشرفها الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد[1] ، الذي كان الأول في مبايعته على الدعوة إلى الله ، والعمل بالشريعة والسنَّة والجهاد في سبيل الله ، حتى كان موضعَ ثقته وسفيره الخاص إلى بعض الملوك والكبراء ، وَبوشِيجة القرابة كذلك .

وقد عاش الأميرُ السيد صديق حسن فترةً من الزمن في إمارة (طُوْنَكْ) ، التي كانت من مواطن أُسرتنا بعد شهادة الإمام السيد أحمد ، زيادة على ذلك كان نجله الأكبر العلاَّمة السيد نور الحسن من أعزِّ أصدقاء والدي ، ومن توثقت بينهما المحبَّة والوداد ، والانسجام بين الأذواق والأخلاق ، جاء في كتابه « نزهة الخواطر » .

« وكان له حُبٌ زائدٌ لجامع هذا الكتاب ، على أنه أكبر منه سِناً وأغزر منه علماً ، يُكثر الترَدُّدَ عليه ، ويبالغ في تعظيمه ، ويحرص على مجالسته ، ويبث إليه بذات نفسه »[2] .

ولا أزالُ أذكُرُ مرافقتي لوالدي في زياراته له ، وقد كان يبيت بعض الليالي في قصره وأنا معه ، وقد توفِّي في حياة والدي (سنة ١٣٣٦هـ) ، فكان كثيرَ التحسُّر عليه دائمَ الذكر له .

وقدَّر الله بعد وفاة الأمير السيد نور الحسن أن أقضي فترةً لا تقلّ عن ثلاث سنين في منزله بلَكْهنؤ مع أخي الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني ، مدير « ندوة العلماء » سابقاً ، كأحد أبناء الأسرة ، وذلك بين العاشرة والثانية عشرة من سني ، أسمع الكثيرَ من أخبار العلاَّمة الأمير ، وأتقلَّب بين أبناء هذه الأسرة النجيبة داخل المنزل وخارجه ، فوعيتُ الكثير ، وعشتُ الزمن الماضي حِسّاً وشعوراً وخيالاً ، ثم لما تقدَّمتُ في السِّنِّ والثقافة ، وبدأتُ أشدو بالعربية ، وأفهم وأكتب فيها ؛ بدأتُ أقرأ بعض مؤلفاته التي كانت في مكتبته الثمينة ، التي أودعها وَرَثةُ الأمير في مكتبة

---

(١) قد سبقت ترجمته في الجزء الأول .

(٢) راجع للتفصيل « نزهة الخواطر » : (٥/ ٤١٣) .

« ندوة العلماء » الكبيرة ، وكنتُ أسمع كثيراً من أخباره ومناقبه ، وبعض المآخذ عليه ممَّن أدرك عصره ، أو جلس إلى بعض معاصريه وعارفيه من العلماء والمؤلِّفين ، وكان شيخي في الحديث العلاَّمة حيدر حسن ابن الشيخ أحمد حسن خان الطُّوْنَكي الأفغاني (م ١٣٦١هـ) ، شيخ الحديث ورئيس الأساتذة في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، تلميذ العلاَّمة المحدِّث الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليَمَاني ، أستاذ السيد صديق حسن ، وربَّما أدرك الأميرَ وزاره وعرفه عن كثب ، وقد وُلد مولانا حيدر حسن خان حوالي سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف .

إنَّ جمعه بين الرئاستين العلمية والعملية لا يتأتَّى إلا لأفراد الناس في فتراتٍ قليلةٍ ، وكثرت مؤلَّفاته التي بلغ عددها إلى اثنين وعشرين ومئتين ، وإذا ضُمَّت إليها الرسائل الصغيرة بلغت إلى ثلاثمئة ، وقد قام في مجال التأليف والإنتاج العلمي بما لو قامت به مجامع كبيرة في الشرق أو الغرب ؛ لاستحقَّت الإعجاب والتقدير ، وذلك كلُّه رغم المآخذ التي لا يخلو عنها كثيرٌ من كبار المؤلِّفين من تلخيصٍ أو تجريدٍ ، أو نقل من لسانٍ إلى لسانٍ آخر ، أو استعانةٍ بالزملاء والفضلاء ، أو اقتباسٍ من مؤلَّفات سابقة ، ثم تشجيعه للحركة العلمية التأليفية ، ونشر آثار السَّلف والعلماء المحقِّقين الناصرين للسنَّة ، كالعلاَّمة محمد بن علي الشَّوْكَاني ، والعلاَّمة السيد محمد بن إبراهيم الوزير ، والأمير محمد بن إسماعيل الصَّنْعَاني ، وحكيم الإسلام أحمد بن عبد الرحيم ، المعروف بوليِّ الله الدِّهْلَوي . . وغيرهم .

ومن مآثره التي لا تُنسىٰ ولا يُغْمَطُ حَقّها : أنه أمَر بطبع « تفسير ابن كثير » (مع « فتح البيان ») ، و « فتح الباري » للعلاَّمة ابن حجر ، وقد اشترى نسخةً من « الحديدة » ، وكانت بخط (ابن علان) ، وطبعهُ بمطبعة بَوْلاَق في مصر ، وكلَّف طبعه خمسين ألف روبية[1] ، وأهداه إلى أهل العلم ، والمشتغلين بالحديث في الهند وخارجها ، وقد انتسخ « سُنَن الدارمي » عند قفوله من الحَجّ ، والبحرُ هائجٌ والسفينةُ مضطربةٌ .

ومن مآثره وحسناته : أنَّه كان السبَب في انتقال العلاَّمة الشيخ حسين بن محسن

---

(١) ويبلغ هذا القدر من المال إلى مليون روبية في هذا العصر .

الأنصاري اليَمَاني الانتقال الأخير الدائم ، وإقامته في بُوْفَال ، وهو الذي انتهت إليه رئاسةُ تدريس الحديث الشريف ، وانتشرت إجازته في الهند في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، وتخرَّج عليه أئمَّةُ تدريس الحديث ، وكبار أساتذته في شبه القارة الهندية ، وبوجود العلاَّمة الأمير على منصة الرئاسة والإمارة ، وطلوع السهيل اليماني في جواره وحماه أصبحت بُوْفال محطَّ رِحال العلماء ، ومنتجعَ رُوَّاد الحديث ، وكانت لعلم الحديث نهضةٌ وانتفاضةٌ لا نظيرَ لها حتى في البلاد العربية ، وفي مراكز هذا العلم القديمة ، ونشطت حركة التأليف والتدريس والشرح في طول الهند وعرضها ، وكانت للسنَّة وحَمَلَتها ، والدعاة إليها جولةٌ وصَوْلةٌ ، وكان لأهل البِدَع ضعفٌ واختفاء في رُبوع هذه الإمارة الإسلامية التي ملك زمام الأمور فيها مُدَّةً من الزمن ، وكانت له فيها الكلمةُ المسموعةُ ، والأعلامُ المرفوعةُ .

هذا ؛ وقد لقي الأمير من كثير من علماء العرب ، ومؤرِّخيهم شبه انصرافٍ عنه ،وعدم إنصافٍ ، والسببُ في ذلك يرجع إلى عدم وجود كتابٍ أُلِّف في حياته وآثاره وتقييمه تقييماً علمياً تاريخياً ، وإزاحة السِّتَار عن مناقبه ومآثره العلمية والإصلاحية ، ومكانته في تاريخ العلم والتأليف والإصلاح والدعوة في الهند ، ولم أجد أحداً من علماء العرب يعرف عُلُوَّ منزلته ، ويشيد بفضله ، ويشتغل بمؤلَّفاته ، ويثني عليها ، أكثر من العلاَّمة (محمد بن مانع) رحمه الله ، مدير المعارف الأسبق في المملكة العربية السعودية ، ووزير المعارف في دولة قطر سابقاً ، فما كنتُ أحضر له مجلساً في الخمسينات الأولى الميلادية إلا ويتطرَّق الحديث بمناسبةٍ أو غير مناسبةٍ إلى ذكر العلاَّمة الأمير ، والحاجة إلى إحياء كتبه ونشرها .

وقد كان من تيسير الله تعالى وحكمته أن قيَّض للكتابة في موضوع حياته وآثاره الأخ العزيز « محمد اجتباء الندوي » ، الذي اختار هذا الموضوعَ لرسالة الدكتوراه التي قدَّمها لجامعة عليكره الإسلامية ، وهو حفيدُ المصلح الكبير الداعي إلى الله الشيخ جعفر علي الحسيني النَّقْوِي (م ١٢٨٨هـ) ، أحد خلفاء السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ) وزميل والد العلاَّمة الأمير السيد أولاد حسن في الدعوة والجهاد ، والارتباط بإمام هذه الدعوة ـ السيد الإمام الشهيد ـ ورفيقه وعضده الأيمن العلاَّمة محمد إسماعيل بن عبد الغني ابن ولي الله الدِّهْلَوي .

وقد التقى في تأليفه لهذا الكتاب عواملُ من البحث والتحقيق ، والجِدُّ والعناءُ ، والحُبُّ والعاطفةُ ، وقد أعان المؤلِّفَ على إتمام هذا العمل وإيفائه حقه وعرفتُه للغة الفارسية التي فيها عددٌ كبيرٌ من مؤلَّفات الأمير ، وكان كاتباً قديراً رشيقاً فيها ، كما كان من الكُتَّاب المعدودين في العربية في الهند الذين لا يجاوز عددهم رؤوس الأنامل[١] .

وكذلك معرفةُ اللغة الأردية التي يحذقها كأبنائها ، وفيها عددٌ من مؤلَّفات الأمير أيضاً وأعانته على التأليف القدرة على اللغة الفصيحة والكتابة العربية السلسة الرشيقة ، والروح النديَّة الهادئة المتزنة البعيدة عنه الغُلُوِّ والتطرُّف ، والعصبية والتعسُّف ، وما أحسن إذا اجتمعت هذه العواملُ القوية ـ التي قد تبدو متناقضةً ـ في كتابة كاتبٍ ، وتأليف مؤلِّفٍ .

وإضافةً إلى كلِّ ذلك أعان المؤلِّفَ تمكُّنُه من الإفادة من مكتبة « ندوة العلماء » الكبيرة ، ومكتبة العلاَّمة الأمير التي أودعها نجلاه الأمير السيد نور الحسن والسيد علي حسن ، مكتبةً « ندوة العلماء » ، ولاتصاله الوثيق بـ « ندوة العلماء » والقائمين عليها ، وكذلك صِلته بالرجال الذين يعتبرون مراجع في هذا الموضوع ، لذلك كلِّه جاء كتابه حاوياً لوصف البيئة والمجتمع الذي وُلد وعاش ونبغَ فيه الأمير ، والملابسات والأجواء التي اكتنفت حياته ، والعوامل التي لعبت دورها في تكوينه العقلي والنفسي والعلمي ، ووصف معاصريه وأصدقائه ، والمشاكل التي واجهها ، واتجاهاته وذوقه ، ثم استعراض كتبه ومؤلفاته ، والدراسة المقارنة لها ومناقشتها ، وتحديدُ مكانته العلمية والتأليفية ، ومكانةُ آثاره العلمية والدينية إلى غير ذلك من البحوث النافعة المنيرة .

وأشعُرُ وأنا أقرأ هذا الكتاب بغبطةٍ وسرورٍ ، وكنتُ مِن ضمن المختبرين لهذه الرسالة ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلَّى الله على نبيِّه وصفيِّه محمدٍ وآله وصحبه .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

---

(١) ذكر لي العلامة محمد بهجة الأثري علاَّمة العراق : أنَّ في مقدمة الكُتَّاب المعدودين الذين لا مغمز في عربيتهم الذين نبغوا في الهند : العلامة السيد صديق حسن ، ووالدكم العلامة السيد عبد الحي الحسني [الندوي] .

العلامة المحدث الكبير
الشيخ خليل أحمد الأنصاري السهارنفوري
(١٢٦٩ ـ ١٣٤٦ هـ)

تأليف

محمد الثاني الحسني الندوي المظاهري

رئيس تحرير مجلة « رضوان » الشهرية

لكهنؤ ـ الهند

تحت إشراف

فضيلة الشيخ الكبير العلامة

محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي

تعريب

عبد الله الحسني الندوي

نبذة من ترجمة المؤلِّف(١)

هو الداعية الكبير ، والعالم المُخلِص ، والمؤرِّخ البصير ، والمؤلِّف الحاذق ، والشاعر المطبوع (بالأردية) حافل القريحة (يسهل عليه النظم في مقاصد إسلامية وأغراض دينية ، أكثر شعره في الحمد والدعاء والمناجاة ومدح الرسول ﷺ ، وهو صاحب نشيد ندوة العلماء الذي يُنشَد في الاحتفالات والمؤتمرات) وابن أخت العلامة الندوي الكبرى ، وكان يمتاز بكثير من خصائص أسرته وسماتها ومميِّزاتها .

وكان تلميذَ العلامة المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي ـ رحمه الله ـ وخليفته في التسليك ، وكان الشيخُ عطوفاً عليه ، مَعنيّاً به ، وكان يمتاز بعاطفته الدعوية الإصلاحية الجيَّاشة ، والاهتمام بالتبليغ ، وقد استفاد أيام دراسته من مدرسة مظاهر العلوم ودار العلوم ندوة العلماء ، وكان يجمع بين محاسن المنهجين والمدرستين ، وقد رافق الداعيةَ الكبير الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (أمير جماعة الدعوة والتبليغ) طويلاً في أسفاره وجولاته ، وظعنه وإقامته ، وكان موضعَ ثقته ، مهتماً بعمل الدعوة والتبليغ .

وقد رافق العلامةَ الندوي في معظم أسفاره أكثر من غيره من أفراد الأسرة .

توفِّي ـ رحمه الله ـ عام ١٩٨٢م ، فكانت حادثةُ وفاته ـ حسب تعبير العلامةُ الندوي ـ هدَّت كيانَه ، وهزَّت قلبَه ، وعقلَه .

ومن مؤلَّفاته بالأردية : « حياة الداعية الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي » و « حياة المحدِّث خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري » .

---

(١) « أبو الحسن علي الحسني الإمام المفكِّر الداعية المربِّي الأديب » لسيد عبد الماجد الغوري ، ص : ٨٩٠ ـ ٨٩١ .

مقدمة الكتاب[1]

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد : فقد جاء في الحديث الصحيح : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « العلماء ورثةُ الأنبياء ، والأنبياء لم يُورثوا ديناراً ، ولا درهماً ، ولكن وَرثوا هذا العلمَ ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر .

يعرف الجميعُ : أنَّ كل تراثٍ يتفرَّد بالتزامات ومطالب ، وكل وارثٍ صادقٍ يعتنى ويهتم بها ، فتراث المملكة له التزاماتٌ ، ومطالبٌ ، وكل وارثٍ صادقٍ يعتني ويهتم بها ، فتراث المملكة له التزامات ومطالب ليست لتراث الفقر ، والزُّهد ، ولتراث العلم من الالتزامات والمطالب ما ليس لميراث العسكرية ، والقوَّة المادية ، ولكن وراثة الأنبياء ، وكتاب الله تستلزم العلمَ والحفظَ والأمانة والزُّهد والتقوى والعبادة والإنابة ، وحفظ هذه الوراثة يستوجب الغيرةَ ، والشَّجاعة ، هذه هي الصفات التي لا بُدَّ أن يتصف بها وارثُها .

وفي رواية للبيهقي « يحمل هذا العلمَ من كلِّ خلفٍ عُدُوْلُه ، ينفون عنه تحريفَ الغالين ، وانتحالَ المُبطِلين ، وتأويلَ الجاهلينْ . ففي هذا الكلام الحكيم بيانٌ لنوعية العمل الذي يقوم به علماءُ الحق ، وصورةٌ تامةٌ لمسؤولياتهم ، ودستورٌ كاملٌ لحياتهم ، إنَّ تاريخ الإصلاح والدعوة في الإسلامى كلَّه تفصيلٌ لهذا الإجمال ، وخطوةٌ نحو إكمال هذه النواحي الثلاث ، وهي نفيُ تحريفِ الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويلِ الجاهلين عن الإسلام .

ظَل هذا العملُ مستمرّاً من بعد وفاة النبي ﷺ إلى يومنا هذا من حيث الزمان ،

---

(١) هذه المقدِّمة الضافية كتبها سماحةُ الأستاذ الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي للطبعة الأردية باللغة الأردية ، ونقلها إلى العربية الدكتور سعيد الأعظمي الندوي .

ومِن شرق العالم الإسلامي إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه من حيث المكان ، ولكن ظروفاً تاريخيةً مختلفةً ـ لا يسعنا أن نشرحها في هذه المناسبة ـ جعلت هذه القارَّةَ الهنديةَ مركزاً كبيراً للجهود الإصلاحية والدعوية ابتداءً من القرن الثامن الهجري . إنَّ هذه الجهود بدأت أولاً في أشكالٍ مختلفة من نشر الإسلام ، وتزكية النفوس ، وتربية الإحسان ، وتصفية الباطن ، كانت مراكزَها الكبيرة الزوايا ، ودعاتَها الكبار العلماءُ الربَّانيُّون والمشايخ الروحانيُّون .

ولمَّا تحقَّق الغرضُ من هذه الأعمال إلى حدٍّ كبيرٍ حتى آخر القرن العاشر الهجري ، وظَهر لأصحابها : أنَّ الديانات والحضارات الهندية القديمة وأفكار أهلها وعاداتهم وتقاليدهم جعلتْ تتسرَّبُ إلى حياة المسلمين ومجتمعاتهم بحكم الجوار مع اتساع رقعة الإسلام ، وتربية القلوب ، وتزكية النفوس ، وأصبحت عقائدُ المسلمين وعباداتهم تتأثَّر بتلك الأفكار والتقاليد ، وتوجَّهت وجهةُ جهودهم الإصلاحية والدعوية إلى صيانة الدين وإحياء السنَّة ، وتطهير العقائد وَرَدِّ البِدَع ، وإصلاح التقاليد والعادات ، وركَّز علماء هذه البلاد ومشايخها على تبليغ الدين الصحيح ونشر علوم النبوَّة ، وخاصةً على نشر علوم السنَّة ، وتعليمها ، وتدريس كتبها وشرحها وتحقيقها .

قامت طائفةٌ من هؤلاء العلماء والرجال المخلصين بالجهاد ضِدَّ الدعاة إلى الإلحاد ، والزَّندقة التي أتت من اليونان ، وفلسفة « وَيْدَانَتْ » الملحدة ، وأنصار وحدة الوجود ، وضِدَّ المدَّعين بالوصول إلى الله ، والتقرُّب إليه بغير اتباع محمَّد ﷺ واقتداء سنَّته ، والذين كانو يؤثرون « الطريقةَ » على الشريعة ، وكان قائدَ وإمام هذه الطائفة هو الإمام الرباني الشيخ عبد الأحد السَّرْهِنْدي المعروف بمجدِّد الألف الثاني .

وأَحَسَّت جماعةٌ : أنَّ الأصل في هذه الأدواء والمفاسد في بلدٍ واسعٍ كالهند إنَّما هو الجهلُ بعلوم الكتاب والسنة مباشرةً ، والبُعْد عن علم الحديث ، وما لم يَعُمّ هذا العلم في هذا البلد لا يمكن أن يطلع الناس من العامة والخاصة على تعاليم الكتاب ، وأن يتذوَّقوا التفكير في معانيه ، والتدبر في حقائقه ، وما لم يهتم العلماء ، وأهل

المدارس بكتب الحديث وخاصة بالصحاح الستة ولم يجعلوها جزءاً من تعليمهم وتدريسهم ؛ لا ينشأ في الناس الوعيُ ، الوعي الصحيح للدين ، والشوق إلى السنة وكراهية البِدَع ، ولا يتم النجاة من التقاليد والعادات الهندوسية ، وقد كان إمامُ هذه الجماعة ورائدُها شيخَ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدِّهْلَوي ، وأسرته ، وتلاميذه وأتباعه ، أولئك الذين قاموا بتفسير وترجمة القرآن ، وعمَّموا تدريسَ الصحاح الستة في هذه البلاد ، ووصلوا المسلمين بالكتاب والسنَّة بعد انقطاعهم عنهما .

كما وُجدت طائفةٌ من المسلمين توصَّلت بعد دراستها العميقة للقرآن والعلم الصحيح بالكتاب والسنَّة وتجارُب واسعةٍ لحياة المسلمين إلى أنَّ عدداً كبيراً من مسلمي الهند يجهل التعاليمَ الأساسية للإسلام ، وحقيقة التوحيد ، وهو مصابٌ بالشِّرك الجلي نتيجة جهله بعلم الدين ، وبُعْده عن الكتاب ، والسنَّة ، واختلاطه بغير المسلمين ، وغفلة علماء الدين المداهنين عن تربيته ، وأنَّ هذا العدد الكبير تُحيط به العقائدُ المشركة والأوهام والخرافات والعادات الهندوسية والبِدَعَ المنكرة ، وأنَّ حضارة الهند المشركة وعلم الأصنام قد أثَّرت على أخلاق طبقة كبيرة من المسلمين .

وممَّا لا شكَّ فيه : أنَّ أيَّ علاجٍ لا يُثمر ما دامت العقيدةُ الأساسية مزعزعةً ، والإيمان نفسه في خطرٍ ، فحاجة الساعة الأساسية ومشكلة المسلمين الكبرى هي أن يقوم العلماء بإصلاح العقائد ويدعوا الناسَ جهاراً إلى مبدأ ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر : ٣] و ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر : ٢] ، ويوضِّحوا الفرق بين التوحيد والشرك ، وبين البدعة والسنَّة ، فإنَّ ذلك هو النصح المبين للمسلمين .

إنَّ هذه الطائفة ألَّفت باللغة الأردية ـ التي كان قد اصطنعها المسلمون كلغتهم القومية ـ كتباً ورسائل سهلة نوَّرت وجهَ الحق ، وفرَّقت بينه وبين الباطل ، هذه الطائفة لم تكتف بهذا بل إنها قامت بجولاتٍ دعويةٍ في أنحاء البلاد ، وأوضحت حقيقةَ الشرك والتوحيد ، وهتكت ستر البِدَع والتقاليد ، وحاولت بعد ذلك تغييرَ الجَوِّ العامِّ ، وإنقاذ الحياة من الجاهلية وعبادة النفس ومأزق العادات والتقاليد ، وتنفيذ الحدود والأحكام الشرعية في مجتمع المسلمين بإنشاء قوَّةٍ تُحدِث ثورةً في

حياتهم في أقصر مُدَّةٍ ، ويَصْدُق عليهم قولُ الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

ولكي يتحقق هذا الغرضُ غرَّرت هذه الطائفة بنفوسها ، وتفانت في سبيله ، واستطاعت أن تنفخ في المسلمين روحَ الجهاد والموت في سبيل الله ، حتى أعاد التاريخُ نفسَه ، وتجدَّدت ذكريات القرون الأولى . إنَّ مؤسِّسي هذه الطائفة وقادتها إنما كانوا رجالاً أكفَاء أنجبتهم مدرسةُ الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدِّهْلَوي ، وزاويته الدينية ، وممن برزوا في هؤلاء الرجال الأكفاء : الإمام الشهيد أحمد بن عرفان ، والإمام الشهيد إسماعيل ، فإنَّ كتاب الإمام إسماعيل المعروف بـ « تقوية الإيمان »(١) نوَّر مئات الألوف من قلوب المسلمين بنور التوحيد وطهر آلافاً مؤلَّفة من القُرَى والبيوت من الشِّرك والبِدَع ونحن لا نعرف في تاريخ الهند العلمي والإصلاحي كتاباً قام بمثل هذا الدور الرائع ، وغيَّر مجرى حياة المسلمين ، واستأصل جذورَ الشرك والبدع ، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

وتأكَّدت جماعةٌ من علماء الإسلام في هذه البلاد : أن المسلمين في هذا البلد الواسع أصبحوا فريسةَ الجهل ، والغفلة لبُعْدهم عن مركز الإسلام ، وجهلهم بلغة العرب ، كما أصبحوا أداةً للمزعومين من العلماء والمتاجرين بالدين منخدعين بكيدهم ، وتلبيسهم ، وهم مصداق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٤] .

وعلى ذلك فإنَّ حاجة هذه البلاد الكبرى هي تأسيس المدارس الدينية ، ونشر العلوم الإسلامية ، وإعداد علماء يقومون بخدمة التعليم والتربية ، والوعظ ، والإرشاد ، والإمامة ، والإفتاء بوجهٍ صحيحٍ ، ويربُّون في المسلمين روحَ الدين ، والعلاقة بالله ، والغيرة والحميَّة الإسلاميتين مع الحفاظ على الشعائر الإسلامية ، وحضارة الإسلام ، وقد اشتدَّت هذه الحاجةُ حينما انقرض حكم المسلمين في هذه البلاد واستولى عليها الإنكليزُ ، أولئك الذين لم يكونوا حكام البلاد ، بل إنهم كانوا

---

(١) ترجمه العلاَّمة الندوي بعنوان « رسالة التوحيد » ، ستأتي مقدِّمتُه التي كتبها له .

دعاةَ مدنيةٍ وفلسفة وحياةٍ ، ونظام تعليمٍ مستقل ، وكانوا مبشِّري المسيحية فيها .

إنَّ هذه الطائفة رأت تأسيس المدارس الدينية أكبر واجبٍ دينيٍّ ، وأنجع علاجٍ للمرض ، وكان رئيسُ هذه الطائفة العلامة الشيخ محمد قاسم النانوتوي ، وينظِّم هذا السلك النوراني نخبةٌ من علماء الإسلام كالشيخ سعادت علي مؤسِّس مدرسة « مظاهر علوم » بسَهَارَنْبور ، والشيخ عبد الوهاب الوَيْلُوْرِي مؤسِّس مدرسة « الباقيات الصالحات » بِويْلُور ، والشيخ محمد علي المُوْنجِيْري مؤسِّس « ندوة العلماء » في لكهنؤ ، والشيخ أنوار الله خان الحَيْدَرآبادي مؤسِّس « الجامعة النظامية » بحيدر آباد ، والشيخ أبو محمد إبراهيم الآروي مؤسِّس « المدرسة الأحمدية » في آره ، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

هذه الطوائفُ الأربع كلُّها كانت مشغولةً بجهودها وجهادها في أنحاء الهند المختلفة ، فتـارةً تراهم في (دِهْلي) وأخرى في (سَهَارَنْبور) ، وفي المراكز الدينية (مظفَّر نَكَرْ) ، ومرَّة ثالثة في (رَامْ بُوْر) و(لكهنؤ) ، ورابعة في (بَتْنَهْ) و (كَلْكُتَّه) و (أَمْرَتْسَرْ) و (لاهُوْر) ، ومن بين هذه الأمكنة ما كان مركزاً كبيراً لتدريس الحديث الشريف ، وما كان حامل لواء السنة ورد البدعة ، وما كان يغلب عليه لونٌ تربية الباطن ، وما كان يتحلَّى بإعلاء كلمة الله وبدافع الجهـاد ، جزى الله جميع هؤلاء العلماء أحسن ما يجزى العاملين المخلصين ، فإنهم لم يألوا جهداً في صيانة الدين ونشر الكتاب والسنَّة ومقاومة فِتَن العصر ، ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

في أوائل القرن الرابع عشر الهجري تحوَّلت المناطق التي أسِّست فيها المدارس الدينية إلى مركزٍ كبيرٍ لحفظ الدين ، ونشر العلم ، والدعوة إلى الله ، وردِّ الشرك والبدع ، وكل ذلك بفضل أولئك العلماء والمشايخ الذين كانوا نتيجةَ جهود الإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدِّهْلَوي ، وتربية الإمام السيد أحمد بن عرفان وهم الذين كانوا قد أسَّسوا مدارس وزوايا في كل مكانٍ ، وما هي إلا مدَّةٌ قليلةٌ إذ تولى زمامَ قيادة هذه الجماعة أحدُ العلماء الربَّانيين والشيوخ الكاملين وهو المحدِّث

الجليل الشيخ رشيد أحمد الكَنكُوْهي[1] الذي كان قد ورث من هذه الطوائف الأربع حظاً وافراً من العلم والدِّين واجتمع في شخصه أذواقهم واتجاهاتهم ، فبينما كان يجمع بين الشريعة والطريقة . والفقه والحديث ، ونشر السنَّة ، ومحو البدعة ، وتدريس الحديث وشرحه ؛ كان يتبوَّأ المنصب الأعلى في الربانية ، ويفوز بمكانة الاجتهاد فيها ، ويحنُّ إلى الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، وكان يُشرِف على مدرستين كبيرتين (هما : دار العلوم دِيُوْبَنْدَ ، ومظاهر علوم ، سَهَارَنْبُور) وكان أستاذَ الأساتذة وشيخ الشيوخ، وبينما كان يتمتَّع بحظٍّ وافرٍ من التوجُّع للإسلام، ومن الحُبِّ والذوق ، وكان يتناول الناس بالتربية الروحية ، الأمر الذي كان قد ورثه من مشايخ « الجِشْتِيَّة »[2] الذين كان يتصل بهم بنسبٍ روحيٍّ باطنيٍّ ، إذ كان هو مثرياً بثروة الوقار والجِدِّيَّة والاستقامة على الشريعة واتباع السنة ، التي كان قد نالها من مشايخ « النقشبندية » الذين كان يتصل بهم عن طريق الإمام أحمد بن عرفان الشهيد .

وبينما كان فقيهاً فذّاً معترفاً به في الأوساط العلمية كلها ، ويفتي على المذهب الحنفي بوجهٍ عامٍّ ، إذا هو محدِّثٌ جليلٌ له مكانةٌ عاليةٌ في التحديث ، وشغفٌ زائدٌ به ، حتى إن قريته « كَنْكُوْه » كانت قد تحوَّلت إلى مركزٍ عظيم لطلاَّب علم الحديث ومتخرِّجي المدارس الإسلامية ، أمَّا في العقائد والمنهج فقد كان من كاملي المتبعين لشيخ الإسلام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدِّهْلوي ، وحفيده الإمام إسماعيل الشهيد، ومن المُعجَبين بولايته ، ومقبوليته عند الله تعالى ، إنَّ هذه الألوان المتعدِّدة التي قد تبدو متعارضةً اجتمعت في حياته جنباً إلى جنبٍ، ورغم: أنَّه كان يحب العزلة؛ ولكنه كان شديدَ الاهتمام بالمسلمين وبإسلامهم وكان شديدَ الاتصال بالمؤسَّسات والمدارس الدينية التي كان قد أسَّسها أنصاره ، ومحبُّوه ، وتلاميذه للتعلم ، والتربية ، وللدعوة الإسلامية ، كما كان مشرفاً على مدرسة دار العلوم ديوبند ، ومدرسة مظاهر علوم بسهارنفور ، ومسؤولاً عن التربية الخلقية ، والروحية فيهما .

---

(١) قد سبقت ترجمتُه في الجزء الأول .

(٢) سلسلة التصوف المعروفة في الهند ، منسوبة إلى الشيخ معين الدِّين الأجْمِيْري .

وقلَّما رُزق عالمٌ كبيرٌ ومربٍّ جليل في عصره من الأتباع والخلفاء المخلصين ذوي العلم والفضل ، مطيعين منقادين من المُعجَبين به مثل ما رُزِق العلامة رشيد أحمد الكَنْكُوهي ، فأيُّ تلميذٍ وخليفةٍ من تلاميذه وخلفائه كان يتمتَّع بأحوال وفضائل بحيث يبدو أنه متفرِّدٌ بذلك ، فقد أحيا الله تعالى بفضل جهودهم قلوب المسلمين ، وصقل عقولهم ، ورزين أخلاقهم ممن لا يأتي عليهم الحصرُ ، وذلك في عصر كان الإلحاد والانحراف ينبعث فيه مثل السحاب ، والفِتَن تمطر مثل الأمطار ، فإنْ كان عددٌ من هؤلاء التلاميذ والخلفاء قاموا بنشر الحديث وتربية الأساتذة والمدرِّسين على نطاقٍ واسعٍ ؛ كان عددٌ منهم قاموا بتطهير العقائد وإصلاح العادات ، كما قام عددٌ منهم بإشعال مَجَامر الحُبّ والعشق في القلوب مما توصَّل به ألوف من الناس إلى درجة الإحسان ، كما قد نفخ عددٌ منهم في صُور جهاد الحرية ، وإعلاء كلمة الله ، ونهض عددٌ آخر من هؤلاء بخدمة العلم والدين عن طريق التأليف والتصنيف ، وكان كلُّ نوع من هذه الأنواع ناضجاً في فنه ، وجديراً بالاحترام ، والإعظام .

ولكن اسمحوا لي أن أقول من غير أن أتعرَّض في شيء لنقص مكانة أحدٍ من هؤلاء العلماء والمشايخ : أنَّ العلامة الشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري[1] كانت له نسبةٌ خاصةٌ بشيخه ومرشده ، تلك التي نستطيع أن نعبِّر عنها بالمناسبة التامة ، والثقة الكاملة ، وأخيراً : بالتفاني في حبه .

ونتيجة لهذه النسبة القوية فقد نال الشيخُ خليل أحمد شرفاً للجامعية التي كانت في شيخه والاصطباغ بلونه ، بل تشرَّف بدرجة المحبوبية عند شيخه التي نستطيع أن نقدِّرها بالكلمات والعبارات التي خاطبه بها شيخَه الكنكوهي في بعض رسائله إليه :

يقول في رسالة ما معناه :

« إنَّ التفات العاجز إليكم الآن كالتفات السائل للمعطي ، من دَقَّ بابَ الكريم انفتح »[2] .

---

(١) قد سبقت ترجمته في الجزء الأول .

(٢) مكاتب رشيدية ص : ٤٠ ـ ٤١ .

ويقول في رسالة أخرى :

« إنَّني أعتبرك مفخرةً ، ومبعث نجاة لي ، إنَّني لستُ بشيء إلا أني مرتبطٌ بأصحاب الفضل »[1] .

ويقول في موضع آخر :

« فإنَّ هذه النسبة (الذكر والإحسان) قد حصل منها على جزء وإنْ كان طفيفاً قرَّةَ عيني ، وتلميذي السعيد خليل أحمد ولكنني سعيدٌ ، ومعتزٌّ به ، ومطمئنٌّ إلى أن يكون ذريعةً لي عند الله »[2] .

ونستطيع أن نقدِّر هذه الجامعية التي خلف فيها شيخه بأنه كان معروفاً به بين جميع خلفاء الشيخ رشيد أحمد الكَنْكُوهي في قوَّة النسبة الباطنة ، والاطلاع على دقائق السلوك ، والمعرفة ، والعلم بجميع أحوال هذا الطريق ومسالكه ، حتى إنَّ شيخ المشايخ الشيخ عبد الرحيم الرَّائبُوري ـ ذلك العلم الكبير في هذا العلم ـ قال عند وفاته :

« مَن أراد أن يراجع أحداً في السياسة ؛ فليراجع شيخ الهند محمود حسن ، ولكن الذي يريد أن يراجع أحداً في الربانية فعليه أن يراجع الشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، فقد وجدتُه على أرفع منزلة في هذا المجال »[3] .

ويَدُلُّ على ذلك : أنَّ أمثال الداعي إلى الله الشيخ محمد إلياس ، وشيخ الحديث العلاَّمة محمد زكريا ـ اللذين اتسع نطاق إفاداتهما إلى مئات الألوف من الناس ـ هما من أتباع الشيخ خليل أحمد وتلاميذه ، كما ويمكن تقدير ذلك من تلك الرسائل التي وجَّهها إلى خلفائه ، ومريديه حول مسائل الربَّانية ، والسلوك ، ومقاماتهما ، ومشكلاتهما .

هذا وقد ورث الشغفَ ، والانهماك في خدمة الحديث من شيخه العلاَّمة رشيد

---

(١) أيضاً : ص : ٤٣ .

(٢) أيضاً : ص : ٤٥ .

(٣) سبقت ترجمة الشيخ عبد القادر الرائبوري .

أحمد الكَنْكُوْهي ، وخلفه في ذلك ، فقد قام بتدريس الحديث الشريف طُول عمره ، وخلف وراءه كتاباً عظيماً في فَنِّ الحديث كتذكارٍ له ، وهو « بذل المجهود في حَلِّ أبي داؤد »[1] ذلك الكتاب الذي أثبت سعةَ نظره في هذا الفن ، ورسوخه في العلم ، ومنحه حقَّ التحديث بجدراةٍ تامةٍ ، إنه بعد ما فاز بمنزلةٍ عاليةٍ في الرَّبانية مما قد اعترف به شيخُ العرب والعجم الشيخ إمداد الله المهاجر المَكِّي[2] رحمه الله الذي قال : « أنت مفخرةُ سلسلتي ، وإنَّني فخور بذلك ومسرور » .

ظلَّ ثابتاً كشيخه على الطريق الذي مَهَّده في الهند على الأقل شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدِّهْلَوي بمؤلفاته ، والإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد بكتابه : « الصراط المستقيم » والإمام إسماعيل الشهيد بكتابه : « تقوية الإيمان » وهذه الحمية هي التي أوحت إليه تأليف كتابه : « البراهين القاطعة » ردّاً على « الأنوار الساطعة » ولم يبال بما إذا كثر عددُ معارضيه ، وأصبح هدفاً للمعترضين ، ولا يزال ، يَدُلُّ على ذلك كتاب : « حسام الحرمين » وعشرات الكتب والرسائل التي أُلِّفت في الرد عليه .

ولكنه ظَلَّ صامداً في وجه كل ذلك ، ومقتنعاً بمذهبه ، ولم يتأخَّر ولا خطوةً واحدةً في هذا المجال ، بل وتقدَّم خطوات ، وألَّف كتابه الشهير « هدايات الرشيد » في الرَّدِّ على الفرقة « الاثني عشرية » من الشيعة ، وذلك هو الدافع الذي كان يَضْطَرُّه إلى الحضور في المناظرات والدفاع عن مذهب أهل السنَّة ، وإحقاق الحق رغم عُزْلته عن مثل ذلك ، وطبيعته المُقبلة على الاشتغال بالعلم والتأليف والتربية .

إنَّه على اشتغاله بتربية الباطن ، وعزلته عن الناس ـ التي ورثها عن شيخه بصفةٍ خاصة ـ كان يشارك شؤون المسلمين الاجتماعية لمصالحهم الاجتماعية والملية ، إنه قبل رئاسة التدريس بـ « مدرسة مظاهر علوم » ثم أشرف على شؤونها ، وبقي على ذلك إلى آخر لمحة من حياته ، ولإعلاء شأن الإسلام ، وتحرير المقدسات

---

(١) قد سبقت مقدمة العلاَّمة الندوي في الجزء الأول .

(٢) تذكرة الخليل : ص : ٣٥٢ .

والدول الإسلامية من براثن الاستعمار الغربي ، ولمصلحة بلاد الهند ومسلميها ، شارك حبيبه وزميله المخلص وأخاه في النسبة الدينية شيخُ الهند مولانا محمود حسن في مجهوداته وجهاده ضِد الاستعمار ، فكان له مستشاراً مخلصاً ، ورفيقاً مؤازراً ، وعارفاً بقيمته وقيمة جهاده ، فلم يأل جهداً في تعضيده وتأييده ، وكل ذلك بفضل تلك « الجامعية » التي ورثها عن شيخه ، ومرشده العظيم .

ثم إنَّ الله قد أكرمه بخصيصةٍ تفرَّد بها هو وحده ، وهي أنَّ الله تعالى لم يَمُنَّ على أهل هذه البلاد بإرساء جِذور السلسلة الجشتية الصابرية عن طريقه وطريق عدد من خلفائه وتلاميذه الممتازين فحسب ، بل إنَّ كل ما نراه اليوم من بهاء الربانية والسلوك ورواج سوقهما يرجع الفضل فيه بوجهٍ عامٍّ إلى المجهودات المتعدِّدة النواحي لرجلَين عظيمين من خلفائه وتلاميذه النجباء ، وهما :

١ ـ الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوي .

٢ ـ المحدِّث الكبير العلاَّمة محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي .

فقد قام الشيخُ محمد إلياس بتعميم فيوض هذا العمل العظيم ، ونشر منافعه بواسطة حركة الدعوة والتبليغ العالمية التاريخية ومجهوداته المخلصة في هذا المجال الذي يمتد اليومَ من (مُراكُشْ) إلى (إندونيسيا) وبين القارات : الأفريقية ، والآسيوية ، والأمريكية ، والأوروبية ، كما خدمه المحدِّث الكبير العلامة محمد زكريا بمؤلَّفاته ، وخدماته في مجال التعليم ، والتدريس ، والتربية ، والإرشاد ، المثال الذي يتعذَّر نظيره فيما تقدَّم من القرون المتأخرة .

فكانت الحاجةُ ماسة إلى تأليف حياته وترجمته بأسلوبٍ وتنسيقٍ جديدين بحيث يتنوَّر ذلك المحيط والوسط الذي عاش فيه ، وعهده ، ونسبه الروحي والعلمي والفكري والمادي بسنداتٍ تاريخيةٍ ووثائق علمية ، وتتجلَّى مراحل نبوغه الفكري ، والعقلي ، والعلمي ، والروحي مع بيان عوامله وأسبابه وذكر الخلفيات التاريخية لأعماله ، ومجهوداته ، كما تتضح جميع الشخصيات والأُسَر والمدارس الفكرية التي أسهمت في بناء شخصيته ، وتعرف كذلك العلاقات التي تبادلها مع معاصريه ، وعلم الناس بمرئيات شيوخه ومعاصريه الكبار حوله ، وبأيِّ منظارٍ كانوا ينظرون

إليه ، وتتناول مؤلَّفاته بالتعليق والتعريف بشيء من التفصيل ، مع تعريف بخلفائه الكبار ، وتلاميذه النابغين ، واستعراض لأعماله ، وخدماته المختلفة العلمية ، والدينية ، والدعوية ، والتربوية ونتائجها وثمارها .

كلُّ ذلك لكي يظهر هناك كتابٌ يستوعب ترجمته الواسعة بحيث إنه لم يكن شيخ طريقة فحسب ، بل إنه كان عالماً جليلاً ومؤلِّفاً قديراً ومصلحاً كبيراً ، ومربِّياً عظيماً ، صاحبَ الدعوة والإصلاح ، ووجد الناس من كل طبقة في حياته موعظةً وعبرةً ودرساً وحكمةً ، وشفاء لغليلهم .

ومِن سعادة ابن أختي العزيز الأستاذ محمد الثاني الحسني رئيس تحرير مجلة « رضوان » الشهرية[1] أن يثق فيه المحدِّث الكبير سماحة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، ويراه أهلاً لهذا التأليف ، فيفوض إليه هذه الخدمة الجليلة ، وقد كان العزيز حريصاً من زمان على أن يقوم بهذا العمل بعدما وفَّقه الله تعالى لتأليف كتابٍ عن حياة الداعي إلى الله محمد يوسف الكاندهلوي ـ رحمه الله تعالى ـ يقع في (٧٨٣) صفحة ، ونال ذلك الكتابُ قبولاً ، وإعجاباً في جميع الأوساط ، ونفدت له طبعاتٌ عديدةٌ ، وبفضل هذا الكتاب فقط حفظ من الضياع تاريخٌ مُهِمٌّ ونفيسٌ ليس مفخرةَ المسلمين في الهند فحسب بل إنه موضعَ غبطةٍ ، واعتزازٍ لهذا العهد الزاهر ، وللملة الإسلامية بأكملها .

وللشيخ عاشق إلٰهي المِيْرَتي منَّةٌ عظيمةٌ على هذا الوسط والجيل الذي هو مُعْجَبٌ بهذه السلسلة التاريخية ؛ إذ إنه حفظ ذخيرة زاخرة من هذا التاريخ الزاهر بتأليفه كتابي : « تذكرة الرشيد » و « تذكرة الخليل » فمنذ نصف قرن تقريباً يستفيد منهما أصحابُ الذوق والعلم ورجال التربية والسلوك في مجال الدعوة والتاريخ ومجال التربية والتزكية ، فجزاه الله خير ما يجزي عباده المخلصين العاملين ، ورفع درجاته !

ولكن لا يمكن أن نعتبر أيَّ عملٍ من مثل هذه الأعمال بالغاً نهايته وغايته ،

---

(١) سبقت ترجمتُه في أول هذه المقدِّمة .

وكذلك هذا العمل التاريخي والعلمي كان فيه مساغٌ للزيادة فيه وإكماله ، ومن سعادة وحسن حظنا نحن جميعاً : أن سماحة العلاَّمة المحدِّث الكبير الشيخ محمد زكريا ـ حفظه الله تعالى ـ لا يزال يكرم أتباعَه ، ومسترشديه بإشاراته المفيدة ومساعداته العلمية والتاريخية الغالية ، وليس هناك من له معلوماتٌ أوسعُ من معلوماته في هذا الموضوع ، ولا مَن هو يُسَرُّ بإنجاز هذا العمل مثل ما يُسَرُّ به سماحته ، فإنه لم يأمر المؤلِّف العزيز بالقيام بهذا العمل فقط ، بل إنه أشرف عليه ، وركَّز عليه جُلَّ همَّه وتفكيره منذ بدئه ، وظلَّ يترقَّب صدور الكتاب ، ويشتاق إليه كما يشتاق ويترقَّب حبيب حبيبه ، وبذلك نستطيع أن نقدِّر قليلاً علاقته القلبية بشيخه التي يندر نظيرها في هذا العصر .

أستطيع أن أقول : إنَّ هذا الكتاب في مواده ، ومعلوماته ، وتربيته ، وتأثيره ، وأسلوبه وعرضه جديرٌ بالاعتناء ، وصالح للاستفادة منه ، وهو عملٌ مباركٌ ، ومفيدٌ بإذن الله تعالى ، أُنجز في وقتٍ قليلٍ بطريقٍ حسنٍ ، رَزَقَ الله به قرَّاءه ، ودارسيه فيضاً من العلم ، والدين ، والتربية ، والإحسان .

وإنَّ الدافع الخالص الذي دفع المؤلِّف العزيز إلى تأليف هذا الكتاب لَيستحق كلَّ تقديرٍ ، وثناء ، فجزاه الله كل خير . وتقبَّل عمله مشكوراً !

١٦/ ١٠/ ١٣٩٨ هـ — أبو الحسن علي الحسني الندوي

١١/ ١٠/ ١٩٧٦ م — مضيف دار العلوم ندوة العلماء

لكهنؤ (الهند)

الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي

تأليف

محمد الثاني الحسني الندوي المظاهري

تقديم

السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

تعريب

جعفر مسعود الحسني الندوي

دار البشائر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة سماحة العلاَّمة
الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

« ما يُدرِيك ما هي مكانةُ هذا الشيخ في نفوسنا واحترامه في أعيننا ، وما نحمل له من الحُبِّ والتقدير في قلوبنا ، فإنني أعرف أحوالَ أهل « الهند » كلَّها ؛ لأنني وُلِدْتُ في هذه البلاد وقضيتُ فيها عمري ، وزرتُ البلاد العربية وشاهدتُها بعيني ، وسمعتُ أحوال أهل « أفغانستان » و « إيران » من الثقات ، فخلصتُ بعد ذلك كلِّه إلى نتيجةٍ واحدةٍ ، وهي أنَّ سائر هذه البلدان تخلو من رجلٍ يتمسَّك بالشريعة والطريقة كهذا التمسُّك الشديد ، ويقتدي بالكتاب والسُّنَّة بهذه الاستقامة وهذا الثبات ، ويكون على هذا المستوى الرفيع في حضور القلب والرسوخ في العلم ، وإرشاد الطالبين المسترشدين ، ولا يمكن أن يوجد في البلدان المذكورة أعلاه رجلٌ يساويه ويعدله ويتعذر وجود أمثاله .

ولا شكَّ : أنَّ العهد الماضي وعهد السلف الصالح عامرٌ بأمثاله ، ولكن لا يتوفَّر أمثالهم من الصالحين في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، فكيف بهذا العصر الذي هو عصرُ الفتنة والفساد وعصر الانهيار والانحطاط »[1] .

بهذه الكلمات العالية وصف حكيمُ الأمة ، وإمام العصر الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ الإمام ولي الله الدِّهْلَوي معاصرَه المعروف الشيخ مظهر جَانِ جَانان ، وشهد له بهذه الأوصاف النادرة . وقد تكون هذه الأوصافُ النادرةُ

(١) كلمات طيبات : للإمام ولي الله الدهلوي .

موضعَ استغرابٍ واستعجابٍ لكثيرٍ من معاصري الشيخ أحمد بن عبد الرحيم ، ويمكن أن تحمل على المبالغة لديهم ؛ لأن المعاصرة تُسدِل حجاباً ؛ وتقيم سوراً كثيفاً بين المعاصرين ، ويعتبر كلُّ كلامٍ يقال عن معاصر مهما لُوحِظ فيه من تحفّظٍ ودِقّة بيانٍ ، وشعورٍ بالمسؤولية نوعاً من الإطراء ، والغُلُوّ في التمجيد ، والإفراط في حُسن الظن .

إني أدرك قِلَّة بضاعتي ، وضحالةَ معرفتي ، إلَّا أنه لَمِنْ فضل الله العظيم عليَّ ومنِّه وتيسيره أن قُدِّر لي السفر إلى معظم أرجاء العالم المعمورة وزيارةِ شخصياتٍ معروفةٍ بالعلم والفضل في مختلف أنحاء العالم ما لم يتيسَّر لكثيرٍ من أمثالي .

فقد أُتيحت لي فرصةٌ لزيارة كبار أهل العلم والفضل في العالم الإسلامي ، وخاصةً في العالم العربي ، والتحدُّث إليهم ، وتبادُلِ وِجهات النظر معهم ، وتعرفتُ على الحركات المعاصرة المعروفة ، والشخصيات العلمية التي لها شأنٌ يذكر ، ورأيتُ كثيراً منهم ، وعرفتُهم عن كثبٍ ، وأتجرَّأ على أساس هذه المعرفة الواسعة (ولا فخر) أن أقول : إني ما رأيت أحداً وهبه الله ذلك الإيمان بالغيب ، والدعوة إليه ، والشغف بالدعوة ، والانهماك فيها ، وقُوَّة التأثير ونصاعة البيان التي كان يملكها الشيخُ محمد يوسف ـ رحمه الله ـ ، فإنه وإن كان يملك مواهبَ أخرى يندر وجودُها في الناس ، وكان له فيها النصيبُ الأكبرُ والحظُّ الأوفرُ ، إلَّا أنه كان يمتاز في قوة الإيمان ، والثقة بالله ، والتوكُّل عليه ، والهِمَّة العالية ، والجُرْأة الفائقة ، والاستحضار في الصلاة ، والخُشوع في العبادة والدعاء ، ومعرفته الدقيقة لحياة الصحابة ، واستحضار أحوالهم ، والاهتمام باتِّباع السُّنَّة ، وفهم القرآن الصحيح ، واستخراجه للنتائج من قصص الأنبياء ، والملاءمة بين القول والعمل ، والجمع بين الدعوة والتأليف .

وأخيراً وليس آخراً ، قُوَّتُه في تسخير القلوب ، وكسبِ ثقة الناس به ، وتهافت الناس عليه حباً وشغفاً به ، كلُّ ذلك جوانبُ لامعةٌ من حياته ، وخلاله العالية التي كان يتصف بها ، وهي تحتاج إلى دفترٍ طويلٍ لتسجيلها ، ويصدِّق كلَّ ما يكتب عنه مَنْ سعد بلقائه ، وقضى وقتاً في صحبته ، أو رافقه في رحلاته ، ولا يقلُّ عددُهم عن

عدة آلاف ، وجميع هذه النعوت أجزاء من سيرته ، ومنها مزايا يمكن أن يكون له نظيرٌ فيها ، وقد يفوقه بعضُ المشايخ والدعاة ، ولكني اخترتُ هنا بعض الصفات والمزايا الشخصية التي أعتقد بناءً على معرفتي المحدودة : أنه لا يوجد له قرينٌ أو مثيلٌ فيها ، بل هو نسيجُ وَحْدِه ، والغيبُ عند الله .

الميزة الأولى التي ذكرتُها هو إيمانه بالغيب ، واليقين بوعد الله ونصره ، والإيمان بما جاء به الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، والثقة ، به وقضاء الحياة في ضوئه ، فإني لم أجد أحداً غيره يدعو إلى الله بتلك القوة والثقة التي كان يدعو بها .

فقد كان عندما يبيِّن صفات الله وذاته وقدرته لـ ﴿ كُنْ فيكون ﴾ ، وتسييره للكون وحده ، وعدم اعتبار الوسائل ، وعدم أهمية خواص الأشياء ، وتجارب الإنسان ، واحتقار المحسوسات والمشاهدات وكون نظام العالم مسخَّراً لأحكام الله ، والنظام التشريعي ، وخضوع الوسائل والذخائر للصفات الإيمانية ، والأخلاق الإيمانية ، والطاعة والعبودية وانتصار حملة النبوّة ، وأهل الإيمان والدعوة على أصحاب السلطة والقوّة ، والحكم والنفوذ وأصحاب رؤوس الأموال ، والوسائل المكثفة ، لمَّا كان يبيِّن هذه المواضيع بحُسن بيانه ، وصِدْق إيمانه ، ورُسوخ علمه ، وتصديق قلبه ، وطلاقة لسانه ، فإن المستمعين له كانوا ينتقلون ذهنيّاً وفكريّاً وشعوريّاً من عالمهم الذي يؤمنون فيه بالمادة والمظاهر إلى عالم الإيمان بالغيب ، وتبدو لهم الوسائل والذخائر ، وأعراض الدنيا ، والمشاهدات ، والتجارب ، والمحسوسات كلها كأنها لا قيمةَ لها في الحقيقة ، ولا وزنَ لها في الواقع .

وكانت هذه الطبيعةُ والذهنيةُ تتصاعد ببيانه ، وتغلب على النفوس ، فكنا نحن المعلِّمين والمدرِّسين نخشى من أن هذه الطبيعة إذا غلبت ودامت فإنها قد تؤدِّي إلى ترك الأسباب ، والاتجاه إلى الرهبانية ، واللُّجوء إلى التجرُّد ، ولكنَّ الأسباب قد اختارت شكلَ الأرباب في هذا العهد المادي ، وربط العالَمُ كلُّه حظَّه بالأسباب المادية ، وجهده الشخصي وكفاءته ، ولا يتوفَّر لأيِّ حركةٍ أو دعوةٍ دينيةٍ أفراد يملكون صفات الفناء في الله ، يدفع هيامهم وغرامهم بأنفسهم إلى أن يلقوا أنفسهم في نار نمرود ، لا يبالون بما يحدث بعده ، وإنما يفوّضون أمرَهم إلى الله ، وتحار

العقول أمامهم ، لقد أصبح ذلك القدرُ من الإيثار والتضحية ، والتفاني في الله شيئاً نادراً مثل العنقاء المُغْرِب ، الذي تستلزمه قيادةٌ وحركةٌ أو دعوةٌ .

ولقد تأثَّرت هذه الأمةُ التي كان رصيدُها الإيمان بالغيب ، وكان منطلقَها الحصول على رضا الله ، والشوقُ إلى الجنة ، وعلى أساس هذا الإيمان واليقين انتصرت على القوى المادية وتغلَّبت على الأمم المدعمة بالوسائل ، تأثَّرت هذه الأمةُ بالدعوة الدائمة إلى اعتبار القيم المادية ، وتقديسها بحماسٍ بالغٍ ، وأصبح المسلم اليوم يؤمن بوسائل المعيشة ، ويعتبرها رازقاً له ، فكانت دعوة الإيمان بالغيب للشيخ محمد يوسف ـ رحمه الله ـ في خضم هذا البحر الهائج للمادية تُحدِث هياجاً وثورةً في النفوس ، وتنفخ روحاً جديدةً ، وتنقل إلى القلوب لذَّةَ الإيمان والتوكل على الله والاستعداد للتضحية في سبيله ، وتُحدِث نشوةً تستمر برهة من الزمن ، فكانت هذه النفسيةُ التي يحدثها بدعوته تحمل المستمعين على أن ينهضوا للقيام بتضحيات تحيِّر العقولَ ، وتبهر الألبابَ ، وتبعث على الدهشة والاستعجاب ، وكان ذلك مكسباً لا تستطيع أيُّ خطبةٍ مجلجلةٍ ، وكلمةٍ مدويةٍ ، وفصاحةٍ نادرةٍ ، وقوة تعبيرٍ ، ونصاعةِ بيانٍ أن تحقِّقه .

وبفضل هذا التأثير اندفعت هذه الحركةُ ، ووصَلَتْ إلى أنحاء قاصية من العالم ، فسافر ألوفٌ من الناس من مختلف الطبقات والفئات إلى قاراتٍ أخرى ، وتركوا أهلهم ، وهجروا راحتهم ، وغادروا بيوتهم لشهورٍ عديدةٍ ، وتحمَّلوا الشدائد والصعابَ في سبيل الدعوة والتبليغ ، وأنفقوا في سبيل الله ما كان لهم من الوقت والمال بطيب الخاطر ورضا النفس ، وعلوِّ الهمة وبسخاءٍ لا يوجد له مثيلٌ في هذا العصر ، ولو نسأ الله في عمره ، وقدر له ، لاستخدم الشيخُ محمد يوسف هذه القوة في الإيمان بالغيب (التي لا يتيسَّر عادةً لأيِّ حركةٍ أخرى) لإصلاح المجتمع ، وتغيير مسار الحياة ، وتحديد الصلة بالدين ، وإحياء ما كان عليه الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ بطريقٍ أوسع ونطاقٍ أكبر ، وتغلَّبت هذه القوةُ الإيمانية للأفراد على الحياة الاجتماعية وسادت .

كانت تهب في مجالس الشيخ محمد يوسف أحياناً نفحاتُ الشيخ عبد القادر

الجيلاني الذي غيَّر بنفيه لغير الله في كلماته ألوفاً من القلوب ، وأحدث الانقلاب في النفوس ، وألحق ضربةً قاسيةً بالقلوب الجامدة ، وكلُّ من يقرأ مواعظه التي تشتمل عليها « فتوح الغيب » والمجموعات الأخرى لمواعظه ، تبدو له وكأنَّ شخصاً يستخدم بقوةٍ وشجاعةٍ مطرقةً ، ويحطم بها أصنام المادية الرعناء ، ويهمشها ، ويدكُّها دكّاً .

لا شكَّ : أنَّ أمثالنا من الذين لا تنفصل أذهانهم عن الرابط بين الأسباب والمسبِّبات والذين يُدخلون السعي والجهد في أعمال الدين والشريعة ، ويقيمون الصلة بينهما ، ويعتبرون الإنسان مكلَّفاً ومأموراً بالسعي والاجتهاد ، والذين يعدّون تكاسل المسلمين وجمودهم مسؤولاً عن انحطاطهم ، ويعتبرونهما سبباً من أسباب ترديهم وتخلفهم ، لا يستطيعون أن يحاكوا هذا المنهجَ الذي سلكه الشيخُ محمد يوسف بصورةٍ ناجحةٍ ولا يغيب عن أذهانهم تصوُّرهم المادي حتى في مجالس وعظه وإرشاده ، ولكني أعترف وأقول بصراحةٍ : أنَّ دعوته الإيمانية قد أتت بنتائج لم تأت بها دعواتنا المعتدلة والمتوازنة ، وقد صدق الشاعر أن آلافاً من الحكماء لا يستطيعون أن يساووا كليماً واحداً .

والميزة الثانية للشيخ محمد يوسف ـ رحمه الله ـ هي شغفُه الكامل بالدعوة وانقطاعه إليها ، وهي فترةٌ لا نجد لها نظيراً في تاريخ الدعوات والحركات الدينية فحسب ، بل لا نجد ذلك الهُيَامُ بالدعوة ، والحرقة لها ، والتهالك عليها ، والتفاني في سبيلها في تاريخ الحركات السياسية والمادية ، وقادتها وزعمائها ، وكان هذا الجانبُ بارزاً وملموساً في حياته ، لكن لا يستطيع أحدٌ أن يمثِّله مهما بذل من جهدٍ ومهما أوتي من قوّة بيان إلّا إذا حضر مجالسَه أو رافقه في رحلاته ، واستمع لخطبه ومواعظه ، وشاهده بعينه ، وعاش معه فترةً طويلةً من حياته ، وكل رجل قضى معه مدةً من الزمن دهش بانشغاله وانهماكه ، وانصرافه إلى عمله انصرافاً كلياً ، وصعب عليه أن يفهم من أين تأتي إليه هذه القوّةُ والطراوةُ والحيويةُ ، وما هو مصدرها ومنبعها ، فلا يستطيع أحدٌ أن يشرحها إلّا أن يُرجع ذلك إلى العشق والهُيَام ، أو إلى تأييد الله سبحانه وتعالى ونصرته .

كان من عادته أن يلقي كلمةً مفصّلةً تستغرق ثلاث ساعاتٍ أو أكثر ، كل يوم بعد صلاة الفجر مهما كانت حالةُ الجو ، ووهج الشمس ، وحالته الصحية ، وكان لا يهمه عددُ المستمعين قليلاً كان أو كثيراً ، وكان يحيي ليالي رمضان ، ويشتغل بالدعوة ، ويطول كلامه في هذا الشهر الذي ينام الناس فيه عادةً بعد صلاة الفجر ، لكنه يتحدَّث بكل قُوّةٍ ونشاطٍ ، وعاطفةٍ وحماسٍ ، بعد صلاة الفجر ، ويوجِّه الدعوة إلى الخروج في سبيل الله ، ويحثّ الناسَ على الاشتغال بالدعوة ، وبثِّ التعاليم الإسلامية ، ومقاومة كلِّ ما يتعارض مع الشريعة المطهرة ، وكان يتكلم في غير رمضان أثناء شرب الشاي وبعده ، ويأتي وقت توديع الجماعات ، فيخاطب الذين يخرجون في الجماعة ، ويشرح قواعد الخروج في سبيل الله وآداب الدعوة بقُوّةٍ وحماسٍ ، يبدو كأنه يتكلَّم بعد صمْتٍ طويلٍ ، ثم يرفع يده إلى السَّماء ويدعو بنفس القوة والحماس ، كأنه هو الدعاء الأول والأخير له ، وكأنه لن تتاح له فرصةٌ أخرى للدعاء ، ثم يواصل كلامَه في المناسبات والاجتماعات الأخرى أو اللقاءات ، ثم ينصرف إلى التصنيف والتأليف حتى يأتي وقت الغداء ، ويشتغل بالدرس والإفادة بعد الظهر ، ويقابل الزُّوّار ، ويقرأ الرسائلَ ، وفي بعض الأيام يلقي كلمةً بعد صلاة العصر والمغرب ، ولا يجد أحدٌ أيَّ أثرٍ للتعب ، بل يجد كأنه يتكلَّم لأول مرّةٍ .

وكان يقرأ كتاباً من كتب السيرة النبوية أو حياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بعد صلاة العشاء التي كانت تتأخَّر دائماً ، وكان يثابر على هذه الأعمال ، وكان لا يحول دونها شيءٌ من حالته الصحية ، وعناء الأشغال في النهار ، كان ذلك وظيفته من الصباح إلى الساعات المتأخرة من الليل ، ويحسبه المستمعون له أنه استراحَ طول النهار ، ولم يشتغل بعملٍ من الأعمال .

إنَّ الإقامة بـ « نظام الدين »[1] والاشتراك في سائر الأشغال اليومية ليومين كان يَشُقّ علينا نحن الضعفاء والمقصرين ، وكانت المواظبةُ عليها والالتزام بها عملاً مضنياً لنا ، وإني أصف حالي ، أني كنتُ أحياناً أخاطب نفسي وأقول لها : يا فاتر

---

(١) مركز جماعة الدعوة والتبليغ بدهلي في الهند .

الهمة إنَّ الشيخ محمد يوسف يقضي حياته كلها على هذا المنوال ، وأما أنت فيشق عليك يومان ، وكانت نفسي تلتمس العذر في ضعف قوتي وهواني ، وفي علوّ الهمة والعزيمة للشيخ محمد يوسف ، وتلتمس العافية .

إنَّ الذي يحب العافية والراحة لا حاجةَ له إلى أن يجرب المحبة ، وكان هذا الاشتغال والانهماك يزداد ويتضاعف في الرحلات وتزداد أوقات الكلام ، وقد قدّر أحدُ الإخوة المرافقين له : أنه كان أحياناً يقضي ثماني ساعات في الخطاب كلَّ يومٍ علاوة على تكلمه في المجالس واللقاءات . وما يحيِّر العقول : أنه كان يبدو في كل مناسبة للكلام كأنه يتكلَّم لأول مرةٍ ، فلا تبدو عليه علاماتُ الضعف والسآمة ، وبوادر التعب والمَلل ، ولا يوجد تكرارٌ ، فيرسل الكلام وينطلق لسانه وتتدفق أفكاره ، كأن هذه الخطبة هي خطبته الأولى ، ويفتح قلبه فيها ، كذلك كان حال دعائه .

لم أسعد بالحضور خلال رحلته الأخيرة للحجاز ، ولكني سمعتُ بالتواتر : أن هذا الحماس وهذه الطراوة ، والعاطفة والانهماك ، بلغ ذُرْوَتَه هناك ، فقد كان يبدأ خطبته في فناء المسجد النبوي الشريف بعد صلاة الفجر ، ويستمر في الكلام إلى الضحى ، وكان الناس الذين سمعوا الخطبة من أولها ، وشاهدوا ضوءَ القمر على القبة الخضراء الشريفة كانوا يشاهدون خيوط الشمس ساطعة على القبة ، وإني أتذكر أنَّ الشيخ محمد يوسف ألقى خطبةً طويلةً بكلِّ قوةٍ وجأشٍ في اجتماع « بهوفال » مرة ، وبدأ التشكيلُ بعد الخطاب ، ثم جاء دورُ الدعاء ، فكنتُ أرجو أنه سيستريح الآن ، لكني وجدتُه يستأنف كلامه في مناسبةٍ أخرى ، كانت مناسبة زواجٍ أو ما شاكلها ، وكنت أتوقَّع أنه بعد هذه الساعات الطويلة من الكلام يختصر كلامه ، ويستغرق حديثه دقائق فقط ، لكني وجدتُه بعد قليلٍ كأنه يتكلَّم لأول مرةٍ ، لا أثرَ عليه للسآمة ، والمَلَل والتعب ، بل تكلَّم بحماسٍ بالغٍ ، وبقوةٍ كبيرةٍ ، كأنَّ هذه هي الفرصة الأولى ! .

كذلك كان دعاءُ الشيخ محمد يوسف ، فقد كان دعاؤه يتميز بتأثيره على القلوب ؛ لأنه كان يصدر من القلب ، وتسوده العاطفةُ ، فتتدفَّق فيه المعاني ،

ويرافقه الحماسُ والانفعالُ ، فيرقق القلوب ويسيل الدموع ، ويهز النفوس ، فكان ذلك من سِمَات الشيخ وخصائصه ، ولا يوجد له مثيلٌ فيه ، فكان إذا رفع يده للدعاء ، وبدأ كلماته طرأ على الحاضرين حال غريبٍ ، وخاصة عندما كان يبدأ الدعاء بالأردية بعد الأدعية المأثورة ، فكأن سَيْلاً من الدموع يغمر النفوس ، ويعم الصراخُ والعَويلُ والأنَّات ، ولا أصادف مثالاً لذلك عند المتقدِّمين إلا عند الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، وأحد مسترشديه الشيخ السيد نصير الدين في الزمن الأخير .

فقد ذكر الواصفون : أنه عندما كان يدعو يبدو كأنَّ رحمة الله تغشى الحاضرين ، وتسود السامعين حالة هيامٍ ونشوةٍ وهَزَّةٍ ، لا يحتملها بعضُ الضعفاء .

والميزة الثالثة له ، التي لا يوجد لها نظيرٌ ، هو ذلك التأثير الغلاب الذي كانت خطبه ومجالسه تخلِّفه على السامعين والحضور ، وخاصةً على الذين كانت نفوسُهم صافيةً ، وعقولُهم واعيةً ، وأذهانهم نقيةً ، وقلوبُهم سليمةً ، وطبائعُهم مطيعةً ومنقادةً . وقد أحدثت صحبته التي كان لها تأثير الإكسير ، وخطبه المثيرة التي تُحدِث الانقلابَ الذهني ، أحدثت انقلاباً في حياة عددٍ كبيرٍ من الناس ، وأثَّرت في قلوب وأذهان من لا يحصى عدداً ، وكان تأثيرُ صحبته ومواعظه عميقاً متوغلاً بحيث أنه كان يظهر في الشكل والسلوك ، والاجتماع ومنهج الحياة ، حتى في التفكير وطريقة الكلام ، وكان يحاكيه في الكلام واللباس والمشي ، ألوفٌ من الناس متهالكين عليه ، ومعجبين به ، وكان من يجالسه ، ويخالطه يحفظ جُمَلَه وألفاظَه ، ويردِّدها باللسان ، وقد حفظ كثيرٌ منهم خطبه ، ودعاءه ، وتغيَّرت حياةُ كثيرٍ من المثقَّفين بالثقافة الغربية ، والأثرياء المتنعمين ، فهجروا ما ألفوه ، وتعوَّدوا عليه ، من عادات وسلوك ، واقتدوا به ، فكانوا يبدون بهذا الانقلاب كأنهم مشايخ أو دعاة يجاهدون ويحتملون المكروه والأذى في حياتهم ، ويؤثرون حياة الشظف والخشونة بدلًا من النعيم والرقة ، وينفقون من رواتبهم العالية ودخلهم العالي في أعمال الدعوة والخروج في سبيلها وإعانة الفقراء ، ولا ينفقون منه على أنفسهم وعلى أعضاء أسرتهم وعيالهم وذويهم إلَّا ما ينفقه موظفٌ متوسّطُ الدخل أو تاجر له دخلٌ زهيدٌ .

ولا يُحْصَى عددُ من تغيرت حياتهم وتبدَّل منهجُ عبادتهم وسلوكهم ، وأصبحت عبادتهم عبادةُ ذوقٍ ، وصارت خدمتُهم للناس لذَّة وراحةً للنفس ، وغلبهم الخشوعُ والخضوعُ ، والوجل والتفاني ، والتواضع ما يخجل أمثالنا الضعفاء المقصرين .

إنَّ العلم الحقيقي عند الله ، وهو علاَّم الغيوب ، ولكن الخلق والسلوك ، والورع والإخلاص ، مظاهر علوم مكانة الإنسان ورفعته الدينية ، أمّا الأحياء (بارك الله في حياتهم) فلا يؤمن عليهم ولا يمكن أن يقال عنهم شيء نهائياً ، فإنَّ الحي لا يؤمن عليه الفتنة ، ولكن يمكن أن تذكر أسماء كثيرٍ ممن توفَّاهم الله ، ووصلوا إلى منازل رفيعة في فترةٍ قصيرةٍ من الزمن أمام أعيننا ، وسَمَتْ مكانتهم وأحوالهم بصورةٍ مدهشةٍ ومحيِّرةٍ ، أذكر منهم فقط اسمَ صديقي الحبيب الحاج أرشد الذي كان رغم منصبه العالي ومسؤولياته الرسمية الجسيمة جامعاً للإخلاص والتعلق بالله ، والاشتغال التّامّ بأمور الدعوة ، والإيثار والتضحية ، والتواضع وإنكار الذات ، وخدمة الخلق ، ونصرة الدين ، وكان نموذجاً حيّاً لها ، وقد نال درجةَ الشهادة ، ولا يزال ذكره يبعث على الشجى ويثير الحزن والأسى ، وقد قدر الله تعالى له نشر الإسلام في « اليابان » ، وبه فُتح هذا الباب وسيذكره أهلُ « الحجاز » أيضاً مدةً طويلةً .

ويجد الباحثُ في دولٍ مختلفةٍ في العالم بعيدة عن « الهند » رجالًا تغيَّرت حياتهم بصحبة الشيخ محمد يوسف ، وتأثير دعوته ، تذوَّقوا حلاوة الإيمان بعد يومٍ أو يومين من لقائه ، أو سماعِ خطبةٍ أو خطبتين له ، ونشطوا للدعوة ، وتغيَّرت صلاتهم وعبادتهم ، وأخلصوا لله في جميع أحوالهم ، وعرفوا قيمة الدعاء ، ووجدوا فيه شفاء لدائهم ، وراحة لكَرْبهم ، وبلسماً لجروحهم ، وأصبح الإيثار رمزهم ، والتواضع شعارهم ، ويتوفّر أمثالهم حتى في « أمريكا » و « أوروبا » و « أفريقيا » فضلاً عن « الهند » و « باكستان » والبلاد العربية .

كان الشيخُ محمد يوسف في ذروة دعوته ، وكانت شخصيته على قِمّة الحركة والعمل والكمال ، وكانت هِمّتُه العالية وحظُّه السعيد لا يرضى بالوقوف في أي منزلٍ ومكانةٍ مهما كانت عاليةً وشامخةً ، بل كان يصعد ويصعد ، ويرتفع في سعيه

ويتقدَّم ، فلا يعتبر أي مكانٍ بعيدٍ ـ مهما كان بعيداً ـ بعيداً ، ولم يكن يعجزه أيُّ عملٍ ، ولا يستصعب أيَّ هدفٍ ، وقد حقَّق بسرعةِ سيره ، وقلقِ نفسه ، واضطرابِ قلبه ، وعاطفتِه الجيَّاشة ، في شهورٍ ما لا يمكن تحقيقُه في سنواتٍ ، وأنجزَ في أسابيع ما لا يمكن إنجازه في شهورٍ ، بدأ بعد وفاة والده الكريم إرسال الجماعات إلى البلدان الخارجية ، وحول العالم كله إلى فناء داره ، وجدَّد الحجَّ ، فنفخ فيه الروح الجديدة ، وفي مدةٍ قصيرةٍ ارتفع عددُ الحجّاج ، وتغيَّر منهجُ تأدية الحجِّ .

كانت الجماعاتُ تجول في محيط « مَيْوَات » ، ويحضرها عددٌ معدودٌ من الناس ، فبدأ يعقد اجتماعات حاشدة تعجز الأحزاب السياسية عن عقد مثل هذه الاجتماعات الفخمة ، وصار عقد هذه الاجتماعات المتكرّرة والمعقودة في أماكنَ مختلفةٍ من البلاد وكأن الشيخُ محمد يوسف في سفرٍ دائمٍ ، فلا يعود من سفرٍ إلَّا وهو مستعدٌّ لسفرٍ آخر . وكان لا يصعب عليه أن يطيل الإقامة بـ « نظام الدين » ، إنه فتح باب مخاطبة غير المسلمين ، ودعوتهم إلى الإسلام ، وبدأ عقد اجتماعاتٍ مختلفةٍ يشترك فيها المسلمون وغيرُ المسلمين ، وكانت خطبته تشتمل على الأحوال الحاضرة ، ونقد الحياة المادية ، والفساد الشائع في العالم ، وانجذبت لأسلوبه الخاص قلوب غير المسلمين ، فأقبلوا على الاجتماعات التي كان يتحدَّث فيها ، ويسمعون خُطَبَه بشوقٍ ، ورغبةٍ بالغةٍ ، ويتأثَّرون بها .

كانت هذه المساعي العاليةُ والأهدافُ الواسعةُ تقتضي عمراً أطول ، ولكن لم تَطُلْ حياتُه أكثرَ من خمسين سنةً ، وأكمل الشيخُ هذه المهمة في عشرين سنةً من عمره ، واجتاز هذه المراحلَ كلها في فترةٍ وجيزةٍ من عمره ولحق بالرفيق الأعلىٰ .

كانت وفاةُ الشيخ محمد يوسف خسارةً فادحةً لا تُعَوَّض عاجلاً ، وفي مثل هذه الظروف التي تواجه الأمة الإسلامية من قحط الرجال ، كيف يمكن أن يرجى فيها أن يحلّ محلّه داعٍ إلى الله بخصائصه الشخصية ، وتأثيره البالغ ، ونفوذه النادر ، وهمته العالية .

لقد وقعت حادثةُ وفاته فجأةً في « لاهور » ، فحطمت القلوب ، وحيَّرت العقولَ ، وأدهشت النفوسَ ، ولم يكد كثيرٌ من محبيه أن يصدِّقوا هذا النبأ ، وشكُّوا

في صدقه إلى أن لم يَبْقَ فيه مجالٌ للشّكِّ ، وتواترت الأخبارُ ، وكنتُ أنا شخصياً ورفيقي الكريم الشيخ منظور النعماني في « الحجاز » في ذلك الوقت في شكٍّ إلى أن زال الشّكُّ ، وكان عددٌ كبيرٌ من العاملين في التبليغ والدعوة هناك حائرين ، وأخيراً اضطرّ الجميع إلى التصديق بهذه الفاجعة .

عُدْنا إلى « الهند » ، فأبدى بعضُ الإخوة المحبين للشيخ محمد يوسف رغبتهم في أن يُؤَلِّف كتاب في سيرة الشيخ محمد يوسف ـ رحمه الله ـ ، وقد وَفقني الله تعالى لسعادة التأليف في سيرة والده الشيخ الكبير محمد إلياس الكَانْدَهلوي ـ رحمه الله ـ ، وذلك من فضل الله العظيم : أنِّي رغم تقصيري ، وقلّة بضاعتي وضعفي ، واستكانتي ، وُفقتُ للتأليف في سير وأعمال عددٍ من رجال الدعوة والإصلاح وعباد الله الصالحين ، وعظماء التاريخ الإسلامي ، وقد تعرّفتُ على الشيخ محمد يوسف في حياة الشيخ محمد إلياس ، وكان ينظر إليَّ بإكرامٍ ومحبةٍ ، ويحتفي بي بصلتي بوالده الكريم ، ولعلَّ هذه الصلة والمعرفة الخاصة حفزت بعض المخلصين إلى أن يطالبوني بأن أقوم أنا شخصيّاً بهذه الخدمة ، ووَرَدَتْ رسائلُ من خارج الهند إلى الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي يطلب منه بأن يأمرني بذلك .

وفي نفس الأثناء بدأ بعضُ أصحاب القلم من عند أنفسهم جمع أحوال حياته لترتيب سيرته ، وأعلن بذلك في بعض الدوائر ، وأبدى الشيخُ محمد زكريا الكاندهلوي رغبته بصورةٍ غير مباشرة كعادته معرِّضاً غير مصرِّحٍ ، ولم يكن لدي رغم شعوري بقلة بضاعتي ، وضحالة معرفتي ، وأنا لا أحمل في سجلي وثيقةً أتوقع بها المغفرة والأجر عند الله إلَّا هذا الجهد المتواضع لتسجيل مآثر عباده الصالحين ، وكانت هذه فرصةً سانحةً أخرى لحصول السعادة والبركة ، إلَّا أني كنت أواجه مشكلتين تعوقانني عن تحقيق هذه الرغبة .

أولًا : كنتُ أشكو عيني منذ مدةٍ ، وقد انقطعتُ عن المطالعة ، والكتابة منذ سنواتٍ ، وكنتُ أعتمد على الآخرين في جميع أعمالي في الكتابة والتأليف ، وفي مثل هذه الحالة يمكن التأليفُ والكتابة في موضوعاتٍ ارتجالية أو طبعيةٍ ، لكنَّ التأليف في السيرة ، وخاصةً في سيرةٍ شخصيةٍ جامعةٍ ، أحوالُها منتشرةٌ ، وخدماتُها

طويلةٌ ، ومآثرُها تسع العالمَ كلَّه ، وهو قائدُ حركةٍ عالميةٍ ، وقائدُ انقلابٍ روحيٍّ ، وانقلابٍ فكريٍّ يحتاج إلى دراسةٍ وثائق ورسائل ، وكتب سيرة وتاريخ تتعلّق بعصره ، وعهد نشأته ، ولا تتوفَّر مثل هذه المواد بسهولةٍ ، بل تحتاج إلى بحثٍ دقيقٍ ، ومطالعةٍ عميقةٍ ، واستخراج نتائج من مجموعات الرسائل التي كتبها والخطب التي ألقاها ، والجولات التي قام بها ، والاجتماعات والحفلات التي شارك فيها ، والعوامل التي كانت عاملة في نشأته ، وتكوين شخصيته .

لما خطر ببال بعض المخلصين ممن لهم صلةٌ بندوة العلماء أن يُؤَلَّف كتابٌ في سيرة مؤسِّس ندوة العلماء الشيخ محمد علي المونجيري ـ رحمه الله ـ ، وأعرب نجلُه الشيخ السيد منَّة الله الرحماني عن رغبته في أن أتولى بنفسي هذا العمل الجليل ، وأؤلِّف الكتاب بقلمي ، وكان ذلك في الواقع سعادةً كبيرةً لي ، ولكن هذا العذر حال دون القيام بهذا العمل ، وفوّضت أمره إلى ابن شقيقي الأكبر المرحوم محمد الحسني ، والحمدُ لله : أنه قام بهذا العمل خيرَ قيام ، وأثبت جدارتَه ، وكان موفقاً في عمله ، وشعرتُ بعد تأليف الكتاب : أني لو كنتُ تولَّيت تاليفه بنفسي لما كان أفضل من هذا التأليف ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وكانت المشكلة الثانية لي : أني لم أستطع أن أُرافق الشيخ محمد يوسف وأساعده ، وأشاركه في عمله كما كان يتوقّع مني ، وكان أحق به وأجدر بأن يتوقَّع ذلك ، فإنه كان يتصف بقوة الإرادة ، والجهد ، والانقطاع التام إلى عمله ، والتضحية في سبيله ، والعزم والثبات على الدعوة ومتطلباتها مثل ما كنتُ مقصراً ومتخلّفاً ، وقليل البضاعة في هذا المجال ، كذلك كنتُ أكثر تعرُّضاً للأمراض ، والأشغال التي كان الشيخ أبعد عنها ، بل كان ينفيها ، ويفنِّدها ، ومثل ما كان يدعو مع اليقين والثقة في الدعوة والإرشاد إلى إغماض العين ، وسدّ السمع ، وحفظ اللِّسان ، كنتُ قد ابتليت باستخدامها ، وفتحها ، ومثل ما كان ينفي المحسوسات والمشهودات ، والماديات والموجودات ، ويحط من شأنها وقيمتها ، كنتُ مثل ذلك يصعب عليَّ أن أتحرَّر منها ، وأخلِّص نفسي من سحرها .

إنَّ هذا الشعور الذاتي بالعجز ، وفتور الهمة ، وقلة البضاعة ، كان يمنعني من

أن أتقدَّم للكتابة في شخصٍ هو على هذه المرتبة من الهمة العالية ، والعزم الأكيد ، والدعوة الراسخة ، والثقة الكاملة ، ولكنني كنتُ رغم شعوري بالعجز والتقصير أخشى : أنَّ هذا العمل الجليل إذا أُسند إلى رجلٍ لا يكون على ذلك المستوى وتلك القدرة التي يحتاج إليها هذا العمل الجليل فسيكون مبتوراً ، وأنه إذا أنجز ذلك العمل بدون الاهتمام والاستعداد والجهد والكفاح ، والبحث والتنقيب ، والفحص والغربلة فإنه لا يؤدِّي الغرض المطلوب منه ، بل إنَّه يبعث على خجلٍ وكظاظةٍ ويؤدِّي إلى الندم حيث لا ينفع الندم ، ومن جهةٍ ثانيةٍ كان يزداد اهتمامُ الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي بالقضية ، وإشارته إلى إنجاز هذا العمل ، وكان يبدو جليّاً : أنَّ الشيخ مستعجلٌ في أمره .

وأخيراً وجدتُ حلاً لهذه القضية ، فمثل سيرة الشيخ محمد علي المونجري الذي فَوَّضْتُ أمره إلى ابن شقيقي الأكبر محمد الحسني ، وشعر الجميعُ : أنَّ هذا الكتاب الذي كان في أسلوبه ومنهجه مثل أيِّ كتابٍ صدر بقلمي ، خطر ببالي أن يؤلِّف هذه السيرة ابنُ أختي العزيز محمد الثاني الحسني سلَّمه الله ، فإنه كان يحظى بعناية الشيخ الخاصة ، وقد سعد بمرافقته في عِدةِ رحلاتٍ دعويةٍ ، وكان له شغفٌ بحركته ودعوته ، وصلة وثيقة ، وحُبٌّ غامرٌ بشخصيته ، كما كانت له تجربةٌ سابقةٌ وخبرةٌ طويلةٌ في تأليف كتب السيرة للمشايخ والمصلحين ، وذوقٌ خاصٌّ بهذا الموضوع ، وأكثر من ذلك فإنه من أقرب تلاميذ الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ومسترشديه ، وكان موضعَ حُبِّه وثقته ، وسيعتبر تحقيقَ رغبةِ الشيخ سعادةً كبرى له ، وإنه سينجز هذا العملَ بشوقٍ ورغبةٍ ، واهتمامٍ وتكريسٍ قد لا ينجزه شخصٌ آخر ، فلما عرضتُ على الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي هذه الفكرة قبِلها بكلّ سرورٍ ، وأمره ببدء هذا العمل ، وقبلت مسؤولية مساعدته ، وإرشاده بكل ما أملك من معرفةٍ وخبرةٍ ناقصتين ، وقلتُ : سأقرأ هذا الكتاب حرفيّاً ، وهكذا أشاركه في التأليف .

وبتوفيق من الله صدق ما كنتُ أتوقعه ، فانشغل العزيز محمد الثاني بهذا العمل انشغالاً كليّاً ، ووهب نفسَه بكلّيتها له ، وكان ضعيفَ البصر لنزول الماء في عينه ،

وكان يصعب عليه بسبب ذلك مداومة المطالعة والكتابة ، لكنه لم يُبَالِ بما يصيبه من الأذى بالاستمرار في المطالعة والكتابة ؛ لأن هذا ا لشغلَ صرف اهتمامه كلَّه إليه ، وشغل ذِهْنَه واستولى على أعصابه ، وغلبته عاطفةٌ قويةٌ ، وبدأ يشعر بذوقٍ ولَذّةٍ في هذا العمل ، وأصبح ذلك شغله الحبيب ، ولا يتم أيُّ عملٍ تأليفيٍّ ، ولا يحدث فيه تأثير إلّا بمثل هذه العاطفة والحب والهيام .

إنَّه لم يُبَالِ بصحته ولا أشغاله الأخرى ، ولما بدأ العملَ واجه صعوباتٍ لم تكن في الحسبان قبل بدء العمل ، وكنا فعلاً لا نتوقَّع أننا سنواجه هذه الضحالة في المواد اللازمة من الوثائق التاريخية والمواد العلمية ، فقد كان الشيخُ محمد يوسف ببصيرته النافذة ، وعزيمته الخارقة يصرف الناس عن الكتابة والتأليف والنشر ، ويوجِّههم إلى العمل والتضحية ، وكان يَهُمّه صناعة التاريخ بدلاً من تسجيل التاريخ .

ولكن الناس أفرطوا في تطبيق ما كان يدعو إليه الشيخُ محمد يوسف ، وعملوا به أكثر مما كان يقصده ، فلم يهتموا بتسجيل تنقلات الجماعات ، ولم يسجِّلوا الانطباعات ولا الذكريات ، ولا مداولات الاجتماعات ، ولم يحفظوا ملخص الخُطَب ، ولا تقارير الرحلات ، ولو لم يكن ـ من حُسن الحظّ ـ ذلك الاهتمام عند الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي بتسجيل أهمِّ الأحداث في مذكّراته وترجمة حياته التي اشتملت على كل صغيرٍ وكبيرٍ من الأحداث العائلية والإسلامية لما أمكن عرض أي صورةٍ مصغّرةٍ لهذه الحركة العالمية ، فلم يكن يتيسَّر إلّا بعض الرسائل ، وبعض المذكرات عن الاجتماعات كتابياً ، ولم يساعد في ذلك من كان يتوقّع منه بأنه يحمل ثروةً غنيةً من هذه المعلومات بصلته بالشيخ محمد يوسف ، رغم محاولاتٍ كثيرةٍ ، واستفساراتٍ عديدةٍ ، فإنهم أيضاً لم يهتموا بتسجيل الأحداث والوقائع أيّ اهتمامٍ ، ولكنَّ دعاءَ الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، واهتمامَه بالتضحية ، ورعايته وتعاونه العلمي كان رصيدَنا ورائدَنا ، فقد كان يقتطع من وقته الثمين وقتاً لنقل المواد اللازمة من مذكراته وإرسالها إلينا ، ويرد على الرسائل بالتفصيل حول بعض الأمور ، كما كان يخصِّص من وقته الثمين عِدّةَ ساعاتٍ للردِّ على بعض الأسئلة شفهيّاً عند اللقاء ، ووجّه الأصدقاء الآخرين وأصحاب المعرفة إلى أن يساعدوا في هذا الأمر ، وسمع

أكثر أجزاء الكتاب بنفسه ، واشار إلى بعض المواضيع التي كانت تحتاج إلى حذفٍ وزيادةٍ وتنقيحٍ ، وملأ الفجوات وحَثّ على إنجاز هذا العمل في أقرب وقتٍ .

وممّا يَدُلُّ على شغفه بهذا العمل وحرصه على أن يتم في أقرب فرصة : أنه كان يكتب في أثناء إقامته بالحجاز ، ويؤكِّد على مواصلة العمل والاستعجال في إتمامه ، فقد كتب في رسالةٍ إلي :

« سُرِرْتُ كثيراً بأنَّ الكتاب يَمُرّ بمرحلة التبييض ، أنا في غاية الشوق إلى إتمامه » .

وكتب في الرسالة المؤرخة ٧ محرم الحرام :

« لو قدَّر الله لي العودة إلى (الهند) ليسرني كثيراً مشاهدة الكتاب المطبوع أو أجزاء مطبوعةٍ للكتاب » .

وكان من نتيجة هذا الشغف ، والعاطفة القلبية والاهتمام الزائد : أنَّ هذا العمل ـ الذي يعرف مؤلِّفه وكاتبُ هذا التقديم صعوبته ومشاكله وسعته وتعقُّداته ـ تمّ رغم الصعوبات بهذا الشكل الذي لم نكن نتوقَّع في بداية الأمر أن نصفه أو ربعه سيتحقق .

إنَّ العثور على نقائص عمل من الأعمال (في شكله التام) والتنبيه إليها عملٌ سهلٌ ، ومن لا يعمل لا يبالى إليه ، ومن يعمل يتعرَّض للتنبيه والنقد ، ولكن إنجاز هذا العمل في هذه الظروف القاسية ، والمعوِّقات الطبعية ، والمصادر القليلة ، كلُّ ذلك بنصرة الله تعالى وتأييده ، وقبول صاحب السيرة عند الله ، ومن كان الباعث عليه ، ومن تم هذا العمل في رعايته وإرشاده .

والكلمةُ الأخيرةُ ، ومعذرةً إلى القراء : أنه من عادة المؤلِّفين في سيرة شخصيةٍ : أنهم يبدؤون عملهم بتراجم أسلاف هذه الشخصية ، وتاريخٍ موجزٍ للأسرة التي تنتمي إليها ، ومن له صلةٌ بهؤلاء الأسلاف والأمجاد والمعاصرين ، وهو جزءٌ لازمٌ لتاريخ حياة أيّ عَلَمٍ من الأعلام وسيرته ، ويساعد ذلك على معرفة عوامل نشأته ، ولذلك كان لا بُدَّ من عرض حياة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الذي كانت

له صلةُ قرابةٍ ، وصلةُ رعايةٍ وتربيةٍ لصاحب السيرة ودعوته وحركته ، وكان مشرفاً عليه وسنداً له وبدون عرض حياته وخدماته لا يؤدِّىٰ حقُّ هذه السيرة ، كما يصعب بدون إلقاء الضوء على دوره الحاسم معرفة الظروف السائدة إثر وفاة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ـ رحمه الله ـ ، بل لا تكتمل هذه السيرة بدون سيرة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، فإنَّ رعايته وهَمَّه وتحرُّقَ قلبه كان شريكاً وقريناً لصاحب هذه السيرة ودعوته ، وانضمّ إليه كما ينضمّ قطرُ النسيم في الغصن الرطب .

كان لا بُدَّ من ذكر الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، واستعراض حياته ، وكان مؤلِّفُ السيرة العزيز محمد الثاني أحدَ تلاميذه ومسترشديه ، فطلب مني لأدبه وإكرامه لشيخه أن أتولَّى كتابة هذا الجزء من السيرة ، وكان ذلك سعادة وشرفاً لي ، ولصلتي بهؤلاء المشايخ الكبار ، وما أحظى به من رعايتهم ومحبَّتهم الخاصة بي كنتُ أستطيع أن أستفسر عن بعض الأمور ، وقد فعلتُ ذلك أكثر من مرة في السابق أثناء التأليف في سِيَر أعلام الهند ، ولم يخيبوني لعطفهم ، وشغفهم الخاص بي .

وحتى الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي الذي كان أقل معاصريه اهتماماً بكتابة التاريخ ، والذي كان جُلّ اهتمامه موجّهاً إلى الدعوة والإرشاد ، وكان ذلك هَمّه الوحيد ، قد استفسرتُه في اللقاء الأول عن أحوال حياته وأسرته ، ولم يستجب لرغبتي بسرورٍ واستبشارٍ فحسب ، بل سمح لي بأن أسجِّل تلك المعلومات .

وكانت هذه المعلوماتُ أساس كتابي في سيرته ، فاستفسرتُ الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في هذا الصدد ، وزوّدني بمعلومات كثيرة ، كما سألتُه شفهيّاً خلال اللِّقاءات المتكرِّرة وسجّلتُها ، ولا شكَّ : أنه كان ذلك بالنسبة له إيثاراً كبيراً ومجاهدةً ، ولكن سواء كان ذلك حسن حظي ، أو حكمتي ، أو حبه الغامر وعطفه ، فإني قد حصلتُ على معلوماتٍ كافيةٍ منه ، ورَتَّبْتُ على أساسها هذه الترجَمة لحياته وتلحق هذه الترجمة بالكتاب ؛ لأن سيرة الشيخ محمد يوسف لا تكتمل بدون سيرة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

وقد ارتفعت بهذا الباب قيمة الكتاب ونفعيته ليس للأحبة المخلصين

والمسترشدين له فحسب ، بل ولجميع العلماء والدارسين وأصحاب البحث والتأليف ، وأساتذة المدارس ، والدعاة .

نفع الله بهذه الثروة العلمية بكاملها جميع القراء من أصحاب الذوق والهمة العالية ، وجعله ذخراً في الآخرة لهذا المؤلف وأعوانه !

أبو الحسن علي الحسني الندوي

بصيرة الدعوة

وفهمها وإدراكها

دراسة واستعراض للعمل الدعوي العميق الوسيع الذي تم في عهد إمارة حضرت جي الثالث سماحة الشيخ محمد إنعام الحسن الكاندهلوي رحمه الله تعالى الممتدة على اثنتين وثلاثين سنة ، ووثيقة قيمة لانطباعاته وآرائه وأفكاره ولفهمه للدعوة والبصيرة فيها .

تأليف

السيد محمد شاهد السهارنفوري

أمين عام جامعة مظاهر علوم سهارنفور

الولائية الشمالية (الهند)

قامت بالطبع والتوزيع

مكتبة الشيخ التذكارية محلة مُبارك شَاه

سَهارنفور ، الولاية الشمالية (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

بقلم : سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدوي(١)
رئيس دار العلوم ندوة العلماء لكنؤ (الهند)

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، أمَّا بعد ! :

فإنَّ ما كُتب وألف في جهود القادة الدينيِّين والمصلحين والمجدِّدين ، والعلماء الربَّانيين التي بذلوها في سبيل الدعوة والإصلاح ، وفي ذكر مآثرهم وسوانح حياتهم من كتبٍ وتراجم حياةٍ في العهد الإسلامي وفي عهد قيادة الأمة الإسلامية لا يُوجَد لها نظيرٌ في أي دينٍ ولا في أي أمّةٍ وملَّةٍ ولا في أي لغةٍ من اللغات ، وهذه ثمرةٌ ونتيجةٌ لقبول هذا الدين عند الله تعالى وأبديَّته وخلوده وتسلسل الاهتمام والرعاية بالدعوة والإصلاح وحال الإنسانية ومستقبلها ، والانتماء إلى هذا النبيِّ الكريم ﷺ واتباعه ، الذي نزل في شأنه : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الانشراح : ٤] ، وقيل في دينه الذي جاء به ودعوته ورسالته وهدايته : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

ولكن هذا أيضاً واقعٌ تاريخيٌّ ونتيجةٌ للدراسة العميقة الطويلة أنَّ هذا العمل يزداد مسؤوليةً ودقَّةً وصعوبةً وتحفّظاً إذا كانت الشخصيةُ التي نكون بصدد تعريفها وترجمتها تنتمي إلى دعوةٍ واسعةٍ وعميقةٍ ، وزمنٍ مليء بالفِتَن والمحن ، وزمن تكثر فيه الحركات المتعدِّدةُ الأغراض والأهداف ، فتمسُّ الحاجةُ في مثل هذا الوضع إلى

---

(١) كتب العلامة الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ هذه المقدمة بالأردية .

معرفة الشخصية المُترجمة ، والاطلاع عليها اطلاعاً واسعاً وعميقاً ، والدراسة والتجزئة الأمينة المحايدة ، ومعرفة الآثار وردود الفعل والانطباعات من المؤسَّسات والدوائر والشخصيات والحلقات المعاصرة الراهنة .

هذه حقيقةٌ ناصعةٌ وجليةٌ واضحةٌ أنَّ « مركز نظام الدين » وحركة الشيخ محمد إلياس الكانْدَهْلَوي الدعوية حركةٌ مؤثرةٌ ووسيعةٌ في هذا العصر ، تنتشر لا في الدول والبلاد فقط بل في الأقاليم كذلك ، أما آثارها الثورية ، وتغييرها لسيرة أتباعها ، وعاطفتهم الجيَّاشة في نشرها وترويجها وتضحيتهم بأوقاتهم وراحاتهم لها فلا كاد تُدانيها أي حركةٍ وأي دعوةٍ ، فكانت الحاجة ماسَّةً وتكون كذلك في المستقبل أيضاً إلى تقديم سِيَر دعاتها الأساسيِّين ، وقائديها والمُشرِفين عليها ، وبواعث الدعوة وعواملها ، وأصولها وقواعدها ، بل إلى تقديم نفسية قائدها الأول وبواعث فكره وعمله ومنابعهما ، وأسباب التأييد الربَّاني والنصرة الإلهية ، واعترافات المعاصرين وردود فعلهم أيضاً ، فبدون ذلك لا يمكن أداء حقِّ التعريف والتاريخ لأي حركةٍ ودعوةٍ أو قائدٍ ثوريٍّ وعبقريٍّ .

أمَّا قائدُ هذه الدعوة والحركة الأول (باعتبار الزمان والمكان) الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوي وترجمةُ حياته وتذكرته فقد صدر ذلك بقلم كاتبِ هذا التعريف والتمهيد[1] ، وكان سبباً لفتح العيون والقلوب بفضل تأثير نسبته وقبول موضوعه ، ثم صدرت ترجمةُ حياةِ خليفته العظيم وخلفه الرشيد : الشيخ محمد يوسف الكَانْدَهْلَوي ـ رحمه الله تعالى ـ بقلم الشيخ المرحوم السيد محمد ثاني الحسني ـ رحمه الله ـ ونالت رواجاً وقبولاً كبيراً .

ولكنَّ لكتابة ترجمة حياة الخليفة الثاني الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي أعني الشيخ محمد إنعام الحسن ـ رحمه الله ـ (الذي يقال له حَضْرَتْ جِي) وما ظهر في عهده وإمارته من الاتساع والقبول الزائدين في الدعوة ، وما بَرَز من تنوُّعٍ واختلافٍ

---

(١) وقد صدر عن دار ابن كثير بدمشق بعنوان : « الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله » .

في الزمان بحكم الطبيعة ، وما نشأت من حركاتٍ جديدةٍ ودعواتٍ حديثةٍ ، وردود فعل للتضحيات والجهود والمساعي ، وقد تغيَّرت أوضاع البلاد والزمان ، فلتقديم ذلك كلِّه في كتابٍ كانت الحاجة تطلب شاهداً رأى تلك الأحداثَ بأمِّ عينيه ، وصاحبَ قلمٍ قريب منه مكاناً وزماناً وأسرة ، يتصف إلى جانب صلاحيته للتصنيف والتأليف بسَعَةَ القلب ورحابة الصدر ، والنظر الثاقب وجوهرة الاتزان والعدل والإنصاف .

فمن فضل الله تعالى ومَنِّه وكرمه : أنه وفَّق لهذا العمل الجليل الشيخ السيد محمد شاهد السهَارَنْفُوري ، الذي لا ينتمي إليه زماناً ومكاناً فحسب ، بل يتصل به أُسريّاً كذلك ، وهذه وسيلةٌ للمعلومات لا تحتل مكانَها أيُّ وسيلة أخرى ، ثم إنه يتمتَّع بدراسته الواسعة ومعرفته بأوضاع العصر ، وفي نظره ثمرةُ هذه المجهودات الدعوية وردود فعل للحوادث واعترافات المفكِّرين متفقي الفكر ومختلفيه ، وانطباعات قائدي ومسؤولي المؤسَّسات والحركات الدينية كذلك ، ثم وهبه الله تعالى صلاحية التصنيف والتأليف ـ وخاصةً سليقة الكتابة في السيرة ـ فقد ألف كتاب « سَوَانح حَضْرَتْ مولانا محمد إنعام الحسن الكَانْدَهْلَوي رحمه الله تعالى » في ثلاث مجلدات ، وقد جاء المجلَّدُ الأول من هذا الكتاب في (٤٨٤) صفحة ، وفيه تراجم حياةِ الداعية الأول الشيخ محمد إلياس ، وخليفته الأول الشيخ محمد يوسف رحمهما الله تعالى الشخصية ، وتفاصيل انتشار هذه الدعوة وظهورها ورواجها وآثارها ونتائجها بجانب سيرة الشيخ محمد إنعام الحسن رحمه الله تعالى ، وقد جاء بذلك عهده الكامل أمام القرَّاء بجميع تنوُّعاته ومشاكله وفتوحاته .

وقد أثبت السيد محمد شاهد في هذا الكتاب : أنَّ الشيخ محمد إنعام الحسن الكاندهلوي رحمه الله تعالى لم يختر لنفسه طريقةً ممتازةً منفردةً أو أسلوباً خاصاً ، بل أبقى تلك الطريقَة التي كانت لسلفيه السابقين لعمله ، واستفاد في الكتابة حول عهده الأول وأدوار حياته المختلفة وجوانبه الهامَّة بالذخيرة القديمة النادرة التي حصلت له بعناية شيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي وتوجيهه ، وجمع المعلومات والمواد من بين مئات من الرسائل والكتابات ، واستفاد كذلك من

المقالات والمكتوبات والخطابات والملفوظات وعمليات الاجتماعات وشرائط التسجيل للخطب والبيانات التي توفَّرت للمصنِّف من الجهات والحلقات المختلفة ، وفي هذا الصدر سُرَّ كاتب هذه السطور واعتزَّ أيضاً حينما رأى بعض رسائله وخطاباته التي كان كتبها ووجَّهها إلى شيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي ـ رحمه الله تعالى ـ في شأن تمثيل هذه الدعوة والخطابات والأسفار .

وقد نُقلت في هذا الكتاب من أقوال وملفوظات الشيخ محمد إنعام الحسن ما يَدُلُّ على رفعة عقله وثباته واستقامته على أصول الدعوة الابتدائية ، وإدراكه وفهمه الخاص .

وفي المجلَّد الثالث كُتبت بصيرةُ الدعوة وفهمها وإدراكها ، والتدابير الانتظامية والاحتياطية والأكثر تأثيراً ، والمشورات والإرشادات ، التي هي نافعةٌ ومفيدةٌ في هذا العصر بوجهٍ خاصٍّ ، وقد جاء فيه طريقة التحدُّث مع مواطني البلاد وأسلوبه ونهجه ، وطريقة توجيه الدعوة إلى الوزراء والحكَّام وأرباب السياسة ، وهكذا هذا الجزء الثالث أيضاً نافعٌ ومفيدٌ ومليء بالمعلومات ، وأصبحت هذه المجلَّدات الثلاثة بكاملها مجموعةً لهذه الدعوة التبليغية ولإفادات وأقوال دعاتها الأولين ، وتاريخاً وتعريفاً جامعاً للدعوة والتبليغ ، وموسوعةً مفيدةً للمعلومات ، جزى الله تعالى المصنِّف الفاضل على هذا التأليف النافع ، وبارك فيه ، وتقبل منه ، وجعل القراء الكرام مطَّلعين على بركة هذا العمل ، ونشيطين فيه .

وما ذلك على الله بعزيز . .

١٩ ربيع الثاني ١٤١٩هـ
٦ أغسطسس ١٩٩٨م

أبو الحسن علي الحسني الندوي

الشيخ حسن حبنَّكة

بقلم
عبد الرحمن حسن حبنَّكة

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو العالِمُ المفكِّر ، والداعيةُ المفسِّر ، والكاتبُ الشاعر ، والمؤلِّف المُكثِر المُصلِح المُرَبِّي : الشيخ عبد الرحمن بن حسن حبنَّكة المَيْدَاني . أحدُ كبار علماء اليوم ، وصاحب مؤلَّفات كثيرة في موضوعاتٍ مختلفة .

وُلِدَ الشيخ عبد الرحمن في عام ١٣٤٥هـ (الموافق لعام ١٩٢٧م) في حيِّ (الميدان)[1] من مدينة دمشق ، في أسرةٍ معروفةٍ بالعلم والعمل في مجال الدعوة والإصلاح ، والتعليم والتربية ، والدُه العالم المُجاهد الفذ الصامد ، المُربِّي الموجِّه العلاَّمة الشيخ حسن حَبَنَّكَة الشهير بالميداني كان من أكابر علماء العالم الإسلامي في عصره ، فنشأ الشيخ عبد الرحمن في هذا البيت ، تُحيط به ظروف قلَّما تتيسَّرُ لغيره من رجالات هذا القرن ، فهو والعلم والدعوة بدءاً من نشأته الأولى ، منذ ما ينُوف عن ستِّين عاماً توأمان لا يفترقان .

وكان لوالده فضلٌ كبيرٌ في تربيته وتأديبه وتعليمه علومَ الإسلام ، وانتظامه في سِلك طلاَّب علوم الشريعة الإسلامية في المدرسة الشرعية ، هذا بالإضافة إلى نوعٍ من التربية العَمَلية في الدعوة التي كان والدُه يكلِّفه إعدادها وأداءها ، كإعداد الدروس ، والخطَب والمواعظ ، وإلقائها في المساجد ، وكتابة المحاضرات التي يكلِّفه إلقاءها أمامه في دروسه العامَّة ، ممَّا جعل الشيخ يتمرَّس بالخطابةِ والكتابة ، والوعظِ والتوجيه منذ حداثة السِّنِّ .

يُعتبر الشيخ عبد الرحمن مُعلِّماً منْذُ صارَ بإمكانه أن ينقلَ العلمَ إلى غيره ؛ إذْ بدأ يُعلم منذ كان عُمرهُ خَمسَ عشرة سنة في معهد والده ، أثناءَ دراستِه فيه . ثم لمَّا تخرج من هذا المعهدِ عام ١٣٦٧هـ حوالي ١٩٤٧م أُسنِدَ إليه تدريسُ موادّ مختلفةٍ فيه ، منها : علُومُ الفقه والأصول والتَّوحيد والمنطِقِ والبلاغةِ ، وغيرِها من العلوم الشرعية والعربية والعقليّة التي كان قد تمرَّس بها في معهد والدِه طالباً وأستاذاً ، حتى سنة ١٣٧٠هـ إذ انتسبَ إلى كُلّية الشريعة في الأزهر الشريف حتى حاز على (الشهادة العالية) من الكليّة المذكورة ، وهي تعادل (ليسانس في الشريعة) ، ثم حازَ على

---

(١) وهو حيٌّ معروفٌ في دمشق كـ« الأعظمية في بغداد » و « فِرَنْكِي مَحَلْ » في لكهنو (الهند) ، خرجَ منه كبارُ العلماء والدعاة .

(شهادة العالمية مع إجازة في التّدريس) ، وهي تعادلُ (ماجستير في التربية وعلم النفس) .

وبعد تخرُّجهِ من الأزهر الشريف صارَ أستاذاً في ثانويّات دمشق الشرعية والعامّة ، مع قيامه بالعمل الإداري ، بالإضافة إلى قيامه بالتدريس في معهد والده تغمده الله بواسع رحمته . ومما أُسنِد إليه من الأعمال الإدارية (مديرية التعليم الشرعي) التّابعة لوزارة الأوقاف ، فكان في إدارتِهِ رَشيداً عاملاً دَوَاماً ، ومنجزاً في أعماله بصَمْتٍ ، مكّنَهُ مِنْ أنْ يُحقّق خدماتٍ للإسلام والمسلمين ، ما كان باستطاعتِهِ أنْ يُحَقّقها لو اتّخذ أُسلوبَ الدّعاية لنفسه ، والضجيج الإعلامي ! ، وهذا مبدأ من مبادئه في العمل لخدمة دينه وأمّته . ولولا ذلك لما تحقق ما كان يصبو إليه من إنجازات ومنها : تأسيس عدد من المدارس الشرعية في بعض المحافظات السورية ، مع تأسيس ثانويتين شرعيتين للإناث في دمشق وحلب لأول مرة .

ثم أصبح عضواً من أعضـاء هيئة البحـوث في وزارة التربيـة والتعليم في سورية ، وبقي فيها إلى أن انتقل إلى العمل في المملكة العربية السعودية ، بعد أحداث جرت في سورية وحرب ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ، وعمل أستاذاً في (جامعة الإمام محمد بن سُعود الإسلامية) في الرياض لمدة سنتين .

ثم انتقل عمله إلى مكة المكرمة ، فعَمِل أستاذاً في (جامعة أم القرى) قُرابة ثلاثين عاماً . منذ كانت عبارة عن كليتين (الشريعة والتربية) ، ثم ألحقتا بجامعة (الملك عبد العزيز) ، ثم ما لبث أن انفصل شطر الجامعة في مكة المكرمة ، وأصبح جامعةً مستقلة باسم (جامعة أم القرى) .

وقد أسند إليه في هذه الجامعة تعليم مواد مختلفة ، دينية ودعوية وإنسانية وعقلية ، بالإضافة إلى قيامه بالتوجيه والتثقيف العام وتبصير المسلمين ، ولا سيما التوعية بخطورة الغزو الفكري ، ومكايد أعداء الإسلام بشتى صُورِهم وأشكالهم ، وذلك ضمن محاضرات وندوات عامة ، بالإضافة إلى تعاوُنٍ مستمر مع وسائل الإعلام التلفزيونيّة والإذاعيّة والكتابية .

ولمـا بلـغ عُمْرهُ سبعين عاماً ، قضى نظام السنّ بإعفائه من العمل الرسمي الأكاديمي في جامعة أم القرى . وفي هذه الأثناء اختير عضواً في (المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي) في مكة المكرمة ، والتي كان والده سماحة (الشيخ حسن) عضواً فيها حتى وافاه الأجل رحمه الله . وعضواً في (مجلس هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية) العليا والتنفيذية . وبعد تفرّغه من العمل الأكاديمي الرسمي اتّجه بما يملك من صحَّة ووقتٍ وقُوَّةٍ وجهدٍ لتدبر كتاب الله الذي كان قد بدأ به قبل ذلك ، وفق المنهج الذي هداه الله إليه في كتابه (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ) ، وَوَفق ترتيب النزول ، وهو منهج مبتكر فتح الله عليه به . تفرَّغ للعمل به حتى توفّي عام ١٤٢٥هـ .

من مؤلّفاته القيمة :

ـ في طريق الإسلام :

١ ـ العقيدة الإسلامية وأسسها .

٢ ـ الأخلاق الإسلامية وأسسها ، مجلدان .

٣ ـ براهين وأدلة إيمانية (مع ديوان آمنت بالله) .

٤ ـ الصيام ورمضان في السنّة والقرآن (دراسة في طريق بحوث فقه الكتاب والسنة) .

٥ ـ الحضارة الإسلامية : أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم .

٦ ـ روائع من أقوال الرسول ﷺ (دراسة لغوية وفكرية وأدبية) .

٧ ـ الأمة الربّانية الواحدة .

٨ ـ ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة .

٩ ـ تيسير فقه الزكاة (تبيين وتقنين وترجيح) .

١٠ ـ فقه الدعوة إلى الله ، وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مجلدان .

١١ ـ الوجيزة في العقيدة الإسلامية .

١٢ ـ الوجيزة في الأخلاق الإسلامية .

١٣ ـ توحيد (الربوبية) وتوحيد (الإلهية) .

ـ دراسات قرآنية :

١ ـ قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ .

٢ ـ تدبر سورة (الفرقان) في وحدة موضوع .

٣ ـ تفسير سورة (الرعد) في وحدة موضوع .

٤ ـ أمثال القرآن ـ وصور من أدبه الرفيع .

٥ ـ (نوح) عليه السلام وقومه في القرآن المجيد (دراسة في طريق التفسير الموضوعي) .

٦ ـ (معارج التفكر ودقائق التدبر) تفسير تدبري للقرآن الكريم وفق ترتيب النزول ، ووفق منهج كتاب (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل) ، صدر منه حتى الآن ستة مجلدات ، وفي طريق الظهور اثنان آخران (بإذن الله) ، ثماني مجلدات حتى الآن .

- **في سلسلة أعداء الإسلام :**

١ - مكائد يهودية عبر التاريخ .

٢ - صراع مع الملاحدة حتى العظم .

٣ - أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير ، الاستشراق ، الاستعمار) .

٤ - الكيد الأحمر (دراسة واعية للشيوعية) .

٥ - غزو في الصميم (دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي في مجالات التعليم المنهجي والتثقيف العام) .

٦ - كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة .

٧ - ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ مع دراسة شاملة للنصوص القرآنية في النفاق والمنافقين ، مجلدان .

٨ - (أجوبة الأسئلة التشكيكية) الموجهة من قبل إحدى المؤسسات التبشيرية العاملة تحت تنظيم (الآباء البيض) .

٩ - (التحريف المعاصر في الدين) تسلل في الأنفاق بعد السقوط في الأعماق .

- **سلسلة من أدب الدعوة الإسلامية :**

١ - مبادىء في الأدب والدعوة .

٢ - ديوان (أقباس في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة) .

٣ - ديوان (ترنيمات إسلامية) شعر للنشيد .

٤ - ديوان (آمنت بالله) شعر .

٥ - البلاغة العربية (أسسها وعلومها وصور من تطبيقاتها) بهيكل جديد من طريف وتليد ، مجلدان .

- **كتب متنوعة :**

١ - ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة .

٢ - بصائر للمسلم المعاصر[١] .

---

(١) مراجع الترجمة :

١ - عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسِّر : للأستاذة عائدة راغب الجرَّاح .

٢ - علماء ومفكِّرون عرفتُهم : للشيخ محمد المجذوب ، الجزء الثالث .

تقديم

بقلم سماحة العلاَّمة الداعية الكوكب المضيء السيّار
المرحوم الشيخ أبي الحسن علي الحَسني النَّدوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسلام على سيِّد المُرْسَلين وخاتم النبيِّين محمَّد وآله وصَحْبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أمَّا بعدُ : فقد قلتُ في مناسبة دعويَّةٍ علميةٍ :

« نحن ندعو إلى الإسلام الكامل ، الذي يُعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، وينيرُ العقول ، ويُشعلُ مجامر القلوب ، ويهذِّب الأخلاقَ ، وينظِّمُ الحياةَ ، ويضبطُ الأممَ ، ويقودُ المدنيَّةَ ، ويشعلُ المواهبَ ، ويُنشيءُ الرجال ، ويربِّي القادةَ والعباقرة ، لا هو جافٍ خَشيبٌ ، ولا هو رقيقٌ مائعٌ ، ولا هو رهبانيةٌ وهجرٌ للدنيا ، ولا هو ماديةٌ ونهامةٌ للحياة ، إنَّما هو الدِّين الذي جاء به محمدٌ ﷺ ونطق به القرآنُ ، وتمثَّل في حياة الصحابة ، والقرون المشهود لها بالخير ، والتابعين لهم بإحسانٍ ، من الجامعين بين العقل والقلبِ ، والعقيدة والعملِ ، والجهاد والربّانيّة » .

يُضاف إلى هذه العقيدة والفكرة ، والدراسة والاقتناع . أني وُلِدتُ ونشأت في شبه القارَّة الهندية ، التي امتاز واتَّسم علماءُ الدِّينِ وقادةُ المسلمينَ فيها ، بالجمع بين الرسوخ في العلم ، والصَّلابة في العقيدة ، والاشتغال بالدعوة إلى الله والدين الحنيف ، والغيرة عليه ، والدفاع عنه ، وبين الاتصال المباشر بالشعب المسلم ، وتبنِّي قضاياه ، والاحتفاظ بشخصيته الإسلامية الدينية ، والغيرة الإسلامية ، ومميِّزاته السُّلالية الموروثة ، على مَدَى التاريخ ، فكانوا في طليعة المناوئين

للاستعمار الإنكليزي الأجنبي ، بل كانوا قادتَه وأصحاب الفضل والبداية فيه[1] .

وبعدما تحرَّرت (الهندُ) واستقلَّت ، امتاز هؤلاء العلماءُ ـ المدرِّسون والمؤلِّفون والدعاة والخطباء بتبنِّي القضايا الإسلامية وحملِ لواء الدفاع عنها ، كمقاومة محاولة العنصر الهندوسي ـ المالك للنفوذ السياسي ، وإدارة دَفَّة الحكومة ـ إبادة الشعب الإسلامي الهندي ، إبادةً معنويةً ، وثقافيةً ، وحضاريةً ، وعاطفيةً ، عن طريق نظام التربية والتعليم الرسمي ، والمناهج الدراسية الطائفية الهندوسية ، وتحويل (الهند) التي حكمها المسلمون نحو ثمانية قرونٍ ، إلى (الأندلس) (أو إسبانية الثانية) وذلك عن طريق إثارة العلماء وقادة المسلمين الشعور الديني والغيرة الإسلامية ، وإلغاء الكتاتيب والمدارس ، والجولات الدعوية ، والنشرات الإسلامية .

يُضاف إلى ذلك الدفاع عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي ، ومعارضة دعوة توحيد قانون الأحوال الشخصية لجميع العناصر ، والديانات والجنسيات القاطنة في الهند ، وذلك عن طريق إصدار المحكمة العليا النهائية ، الحكم في ذلك ، وقد نجح علماءُ الهند ، والغيارى على الإسلام في محاولة إلغاء هذا الحكم عن طريق البرلمان الهندي ، نجاحاً قلَّما يُوجَد له نظيرٌ في البلاد المستعمرة ، فإن الأكثرية الساحقة غير المسلمة ، حينما شنَّت الصحافةُ الهندوسية الإنكليزية والهندية غارةً شعواء ، ومناوءةً عمياء ، كأنَّ البلاد في خطرٍ من الزحف الأجنبي ، أو من زلزالٍ عنيفٍ .

هذا إلى حركاتٍ ، ودعواتٍ ، ومحاولاتٍ للاحتفاظ بالشخصية الإسلامية ومعنوياتها في بلاد اعتبرها كثيرٌ من المؤرخين ، والمتتبّعين لتاريخ القارة الهندية (أَكَّالَة الأمم) ولا يزال هذا دأبُهم .

كان لكلٍّ ذلك تأثيرٌ في مشاعر كاتب هذه السطور ، وتقديره وتقويمه

---

(١) يراجع تاريخ الهند الإسلامي ، وحركة التحرير ، وتاريخ جهاد الإمام السيد أحمد الشهيد وأصحابه ، وتاريخ استقلال الهند وتحررها .

للشخصيات الإسلامية البارزة ، وحَملة لواء الدِّين والتعليم الديني ، والقيادة الدينية والروحية ، في بلدٍ من البلاد الإسلامية ـ حتى العربية ـ فيزن العلماء والمشتغلين بالدرس والتدريس ، والوعظ والإرشاد ، ويتمتَّعون بتقدير أهل البلاد والجماهير واحترامهم في هذا الميزان ، وهو مَدَى تفتُّح العقل والشعور للأوضاع الراهنة في بلادٍ يسكنونها ، ومعرفة الأخطار التي تتحدَّى أو تهدد مستقبل البلاد الديني ، ومدى ارتباط الشعب المسلم ـ الحاكم للبلاد أو المكوِّن للأكثرية ـ بالخصائص الإسلامية ، والشخصية الإسلامية ـ بأوسع معانيها وأعمقها ، وذلك عن طريق الوعي الصحيح للواقع ، والشعور الدقيق بالنوايا والمخطَّطات الصادرة من تنظيماتٍ أو قياداتٍ مناوئةٍ للإسلام والمسلمين .

وعلى هذا الأساس لمَّا كُتِبتْ لكاتب هذه السطور زياراتٌ لسورية (التي كانت تسمَّى الشام) كانت أولاها في رمضان سنة ١٣٧٠هـ (يونيه ١٩٥١م) ، ثم في شوال سنة ١٣٧٠ هـ (يوليه ١٩٥١م) ، ثم في رجب ١٣٩٣هـ (أغسطس ١٩٧٣م)[(١)] وحظي بالتعرُّف على سماحة الشيخ العالم المجاهد الشيخ حسن حَبَنَّكة ـ مع علماء سورية الآخرين ، وقادة الفكر وأصحاب الفضل في التدريس والدعوة والتأليف والتحقيق ، وسعِدَ بتقديرٍ خاصٍّ لسماحة الشيخ حسن حَبَنَّكة ، وأحلَّه في مشاعره وتقديره محلاً رفيعاً ممتازاً ، وذلك لِمَا عرفه وسمع عنه ـ عن طُرُقٍ موثوقٍ بها ـ من الجمع بين هذه الجوانب الدعوية والقيادية والدفاعية عن الإسلام والمسلمين ، وقد توثَّقت بينه وبين كاتب هذه السطور صلاتُ مودَّةٍ ، واحترامٍ وتقدير ، وحظي الكاتبُ بإقباله عليه ، وتقديره له ، عن طريق الجلسات المنزلية ، واللقاءات الجماعية ، والندوات العلمية ، وعرف عن طريق الأصدقاء السُّوريين ، والمصادر الموثوق بها : أنه ـ رحمه الله وأجزل له الثوابَ ـ من نوادر العلماء والمشايخ ، الذين جمعوا بين الرُّسوخ في العلم ، والتضلُّع من الثروة العلمية المتوارثة ، والمكتبة الإسلامية الغنيَّة ، والاشتغال الدائم بالتدريس ، وتخريج

(١) اقرأ هذه الرحلة في « مذكرات سائح في الشرق العربي » للعلامة الندوي ، وفي « رحلات العلامة أبي الحسن الندوي . . . » طبع دار ابن كثير بدمشق .

العلماء والدارسين وإنشاء المدارس[1] ، وبناء المساجد ، وبين العناية الخاصة في الأوضاع الراهنة في البلاد المهدَّدة ، أو المتحدِّية لمستقبل الشعب المسلم السوري الديني ، وتمتعه بالحرية في ممارسة الحياة الإسلامية الشرعية ، فقد ساهَمَ في حرب الاستقلال ، ومحاربة الاستعمار الفرنسي القائم على جِدٍّ وساقٍ في سنة ١٩٢٦م ، ودافع عن حرية العمل بالقوانين الإسلامية ، والأحكام الشرعية ، كقانون الأحوال الشخصية في المسلمين ، فقد دافَعَ عنه دفاعاً قوياً واعياً ، حتى نجح في إلغاء المنع عنه ، كذلك لم يزل متتبِّعاً لما كان يصدر عن الحكومات الوطنية من المعارضات للشريعة الإسلامية ، وقد نجح في كثيرٍ من هذه المعارضات .

ولذلك كلُّه ما زال سماحةُ الشيخ يَحِلُّ محلاً خاصاً في تقدير كاتب هذه السطور ، وقائمته لكبار العلماء والقادة ، يضاف إلى ذلك أنَّه كان يجمع بين الرسوخ في العلم ، والاشتغال بالتدريس ، وبين الربَّانية الصادقة ، والصِّلة القوية العميقة بالله ورسوله والشريعة الإسلامية ، لذلك حرص كاتبُ هذه السطور على أن يُساهم سماحةُ الشيخ في المهرجان التعليمي لندوة العلماء بمناسبة مرور ثمانين سنة عليها ، تقديراً لهذه المؤسَّسة الدينية التربوية العلمية ، الذي كان يُعقد في ٢٥ ـ ٢٨ من شوال سنة ١٣٩٥هـ (٣١ أكتوبر ـ ٣ نوفمبر ١٩٧٥م) وقد تجشَّم الشيخُ هذه الرحلة الطويلة على كِبَر سنِّه وضعفِه ، وشرّف هذا المهرجان التاريخي الكبير الذي حضره وساهم فيه أكبرُ عددٍ من كبار العلماء ، وزعماء الإصلاح من البلاد العربية والإسلامية في تاريخ الهند ، وتشرَّف المهرجانُ بحضوره ، وتبرَّك المساهمون في المهرجان برؤيته وزيارته ودعائه .

ولم يزل كاتبُ السطور يحمل لسماحة الشيخ كل تقديرٍ واحترامٍ ، حتى بلغه نعيُ سماحته ، وذلك في ١٤ من ذي القعدة ١٣٩٨هـ (١٦ من أكتوبر سنة ١٩٧٨م) وأختم هذا الفصل بما علّقتُ على هذا الحادث على إثر وفاته :

---

(١) كانت المدرسة التي أنشأها ، وسمَّاها (معهد التوجيه الإسلامي) قد تخرج فيها عدد كبير من علماء الشام ، وتركية ، والأردن ، والحبشة ، وإفريقية ، وبلاد أخرى ، ما زالوا قائمين بواجباتهم العلمية والدينية .

« قد حُرِمَ العالمُ الإسلاميُّ بوفاته علَماً من أعلام العلم والرُّوحانية ، فَقَدَ فيه رجلاً كبيراً لا ينساه التاريخ المعاصر ، ويسجِّل مآثره بمدادٍ من النور ، ويخلِّد ذكره في سِجل الخالدين من العلماء الأبرار ، والصالحين الأخيار ، رضوان الله عليهم أجمعين » .

وكانت هذه الشخصيةُ العظيمةُ جديرةٌ كلَّ الجدارة بأن يُؤلَّف كتابٌ في سيرته وأعماله وخصائصه ، وقد سُرِرْتُ حين اطلعتُ على هذا الكتاب الذي ألفه ابنُه الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن حَبَنَّكَة ، فأهلُ البيت أدْرَىٰ بما فيه ، وهو جديرٌ بذلك كلَّ الجدارة ، وجزاه الله خيراً عن هذا الجيل الذي عاصر الشيخَ وعرفه عن كثبٍ ، وعن كثيرين سمعوا عنه ، وحملوا له التقديرَ والإجلالَ ، وعن الذين حُرِموا زيارته ، والانتفاع به ، والاستفادة منه ، وكلاً وعد الله الحسنى .

غرة ٤ ربيع الأول ١٤١٥هـ
١٠ أغسطس ١٩٩٤م

أبو الحسن علي الحسني الندوي
دائرة الشيخ عَلَم الله الحسني
رائي بَرَيْلي

المنهج الصوفي

في فكر ودعوة

سماحة الشيخ أحمد كفتارو

قدم له العلامة

السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

تأليف

محمد شريف الصواف

دار المحبة

دمشق

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو الأستاذ الدكتور محمد شريف الصوَّاف ، من مواليد عام ١٩٧٠م بدمشق .

درس في كلية الدعوة الإسلامية ، وحصل على الماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة والقانون بجامعة أمّ درمان ، وحصل على شهادة الدكتوراة في الفقه المقارن من الجامعة نفسها .

وله نشاطات دعوية وتربوية في دمشق .

ومن مؤلَّفاته :

١ ـ المسائل الفقهية التي خالف فيها الشيعة الإمامية المذاهب الأربعة السنية .

٢ ـ معجم الأسر والأعلام الدمشقية .

٣ ـ المختصر في شرح بردة المديح : للإمام البوصيري .

٤ ـ سلسلة من أجواد الصحابة .

٥ ـ سلسلة من منظار الشريعة الإسلامية .

٦ ـ مشكلات في طريق النهوض .

٧ ـ فضل العلم وآداب العالم والمتعلّم .

٨ ـ المنهج الصوفي في فكر ودعوة الشيخ أحمد كفتارو .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله ، والصَّلاة والسلام على من أرسله الله هدايةً للخلق ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الكرام المبجَّلين . .

وبعد : فقد أنزل الله رسالة الهدى والحق ، والخير والعدل ، رسالةً عامّةً شاملةً كاملةً ، فيها الهُدى والنور تهدي إلى صراط العزيز الحكيم ، وتنير الدَّربَ للباحثين عن الحقِّ ، وتعهد الله بحفظها فهيأ لها العلماء العاملين ، في شتَّى مجالات علوم الشريعة ، واختصاصاتها ، فكان منهم الفقهاء ، والمحدِّثون ، والمفسِّرون ، والمربّون الروحيون الذين وضعوا مناهجَ للسَّير إلى الله ، وسلوك صراطه المستقيم ، وكان منهم مقلِّدون ، ومنهم من اختار منهجاً دون منهجٍ ، وآثر طريقةً في أوضاع خاصَّة على طريقةٍ ، وكان منهم من قنع بظواهر المناهج ، وأشكال الأعمال ، ولم يستطع الوصولُ إلى لبابها وجوهرها ، ومنهم من ابتدع ، واخترع على غير بيّنةٍ وهدىً ، فكان فيهم الأصلاء والدُّخلاء ولم يُعصم من الضَّلال إلا من اعتصم بحبل الله المتين وتمسَّك بهدي النبي الكريم ـ عليه الصلوات والتسليم ـ .

وقد بعث إلينا الأخُ العزيز الأستاذ العزيز محمد شريف عدنان الصَّوَّاف ـ حفظه المولى ونفع به ـ ببحثٍ قيِّم صالحٍ بعنوان : « منهج الشيخ أحمد كفتارو في تجديد التصوف » فرأيتُه يعرِّف بشخصية عرفتُها في أوائل الستينيات حيث زرتُ بلاد الشام لأول مرةٍ عام ١٩٥١ ، ونزلتُ عند سماحته ، فألفيتُه صاحب خُلقٍ نبيلٍ وعلمٍ جليلٍ ، وفضلٍ وصلاحٍ ، وكرمٍ وضيافةٍ وحفاوةٍ ، وهو من رجال الصوفية الذين

ينتمون إلى السلسلة النقشبندية العلية ، والذين لهم الفضل في نشر الإسلام والدعوة إلى الله عبر مسيرة حياته الطويلة بالحكمة والموعظة الحسنة ، مما يُشْكَر له ، ويُسَجَّل في صحائفه إن شاء الله .

وقد سرَّني هذا البحث الطيب الممتع عن منهج سماحته في تجديد التصوُّف وتنقيته ، فهو ليس تعريفاً محضاً بشخصيته ومنهجه ، بل فيه فصولٌ تنفع جميعَ القراء الذين يريدون معرفة التصوُّف ، ومناهجه وحقيقته وظواهره بشكلٍ سليمٍ صافٍ .

أدعو الله تعالى أن يتقبَّل هذا العمل ، ويجعله وسيلة للاستبصار في التصوُّف الصالح الأصيل واجتناب كلٍّ ما هو خطأ ودخيلٌ ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وكتبه

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مقدماتُه

لكتب في التاريخ الإسلامي

١ ـ مجتمع المدينة المنوّرة في عهد الرسول ﷺ : للدكتور محمد لقمان الأعظمي الندوي .

٢ ـ **الهند في العهد الإسلامي** : للعلامة عبد الحي الحسني .

٣ ـ **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السِّند والبَنْجاب (باكستان الحالية) في عهد العرب** : تأليف الدكتور عبد الله مبشِّر الطَّرازي .

مجتمع المدينة المنوّرة
في عهد الرسول ﷺ

تأليف

الدكتور محمد لقمان الأعظمي الندوي

دار الاعتصام
القاهرة

نبذة من ترجمة المؤلِّف

قال رحمه الله تعالى وغفر له : « وُلدت في قرية من قرى الهند تُسَمَّى : « أذرجان » ويقال إننا ننحدر من نسلٍ عربيٍّ يتصل نسبنا بعثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ومن نعم الله عليّ أنني نشأت وتربيت في أحضان العلم والعلماء في واحةٍ من واحات اللغة العربية في أعماق الهند في دار العلوم لندوة العلماء (بلكنو) ، ففيها تعلمتُ منذ نعومة أظفاري اللغة العربية والقراءة في كتب أستاذي أبي الحسن الندوي ، وكان يعقد جلساته بعد العصر في ساحة مبنى الضيافة وكانت أشبه بندوة مفتوحة لكل من أراد الاستفسار عن العلم والعلماء . درست الشريعة على الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي . ولقد حقَّق الله عزَّ وجلَّ لي أعز أمنية هي الرحلة إلى مصر حيث الأزهر ومنابع العلم والمعرفة ، وفي عام ١٩٥٨م قدمت إلى مصر ودرست في جامعة الأزهر وحصلت على درجة العالمية مع إجازة التدريس من الجامعة وعلى ليسانس وماجستير من جامعة القاهرة ، وكنت خلال إقامتي في مصر أتردد على بعض المشايخ مثل أستاذي الشيخ محمد الغزالي في شارع الأزهر ، والشيخ الفقيه محمد أبو زهرة في بيته في مصر الجديدة ، كما كنت أتردد على بعض مكتبات العلماء في ديار الكنانة مثل مكتبة الشيخ محمود شاكر وهي زاخرة بالمطبوعات والمخطوطات النادرة . وقد امتدت إقامتي في مصر من عام ١٩٥٨م إلى عام ١٩٦٦م ، وقد كنت أثناء هذه التسع سنوات أحضر مجالس الشيخ محمد الغزالي وتلميذه فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي ، وكانت من بعدها فيض النعمة الحسنى ؛ إذ منَّ الله ـ عز وجل ـ عليّ بنعمة الرحيل من مصر الكنانة إلى معقل العروبة والإسلام بلاد الحرمين والعقيدة الديار السعودية فكان الوصول إلى أعرق مدينة في ديار نجد وبين جبلين عريقين ، إنها مدينة حائل عروس الشمال وكان الذي تسبب لي في ذلك وذلَّل لي سبل التدريس في ديار الحرمين الشيخ محمد محود الصواف ، في عام ١٩٦٧م تقريباً حلت قدمي ضيفاً على أهل حائل فاستقبلني آنذاك وأكرمني بكرمه الشيخ عيسى سعد العلي ، رحمه الله ، والأستاذ المرحوم إبراهيم الخياط ، والأستاذ عبد الرحمن الملق ، فكان في استقبالهم استقبال الأجاويد للغريب الحبيب ، فعملت في معهد المعلمين الابتدائي ثم المتوسط ثم معهد المعلمين الثانوي ، ثم كان لي بعد ذلك شرف العمل في مكتبة حائل العامة . ثم اشتقت إلى التدريس فعدت إلى المعهد مرة أخرى ، وبعد سنوات تحولت إلى كلية المعلمين في حائل وأصبحت رئيساً لقسم الدراسات القرآنية قرابة خمسة عشر عاماً . ومن أجلِّ ما منَّ الله به عليّ خلال حياتي في مجال الدعوة أن

صدرت الموافقة السامية على اختياري مع أربعة وسبعين داعية للتوعية الإسلامية في موسم حج ١٣٩٣هـ ونشر هذا الخبر في العدد (٤٢٩) من مجلة الدعوة بتاريخ ١٣٩٣/١١/٩هـ تحت إشراف سماحة الشيخ المرحوم عبد العزيز بن باز ، رحمه الله ، وفضيلة الشيخ محمد العثيمين ، رحمه الله ، وكان من ضمن هذه التوعية الشيخ سليمان بن عامر العامر ، حفظه الله ، كما من الله عليّ أن ذهبت للدعوة إلى الله إلى جنوب إفريقيا لمدة شهرين ، أسأل الله أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه ، وأن يجعله في ميزان حسناتي . في عام ١٩٨٨م حصلت على الدكتوراه من جامعة القاهرة ، وكان عنوان الرسالة (مجتمع المدينة المنورة في عصر النبوة كما يصوره القرآن الكريم) وهذا مطبوع ومن مؤلفاتي التي ما زالت تدرس في الكلية (دراسات في الحديث النبوي) كتب حسب مفردات الكلية ودراسات تربوية في الأحاديث النبوية » .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ عام ١٤٢١هـ في مدينة الرياض .

تقديــم

بقلم : أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسلام على أشرف المُرْسَلين ، وخاتم النبيِّين محمَّد وعلى آله وصَحْبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد : فقد طَلب مني الأخُ العزيز محمد لقمان الأعظمي النَّدوي أن أكتب تقديماً لبحثه « مجتمع المدينة المنوَّرة في عهد الرسول ﷺ في ضوء القرآن الكريم » عددتُ ذلك شرفاً لكرامة الموضوع ، ولهذا الانتساب الشريف ، فقد اجتمع في هذا الموضوع شرفُ المكان والزمان ، وذاتُ الرسول ﷺ ، وصحبه البَرَرةُ الذين لم يشهد التاريخُ مجتمعاً أفضل من مجتمعهم . . وأكَّد هذا الشرف القرآن الكريم بقوله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

لقد وَصَف القرآنُ الكريم هذه الطليعةَ المؤمنة التي كانت تشكِّل مدرسةَ محمد ﷺ وصفاً تتجلَّى به صورةُ تلك المجموعة ، ويتَّضح من وصف القرآن التنقيح التدريجي لهذا المجتمع البشري إلى أن اكتمل جمالُه ، وتوافرت خِصالُه ، وترابطت وحداتُه .

إنَّ التآلف بين مختلف أفراد البشر اساسٌ للمجتمع . . ولا يتحقَّق هذا التآلفُ إلا بوجود جوهرٍ يجمع بين مختلف وحدات المجتمع التي تختلف في الطبائع والانفعال والإقدام ، والقبول والرفض ، والحُبّ والكراهية ، والانقياد والإباء . . وكان

العرب الذين كانوا يتميَّزون بروح الفردية والإباء والأنفة أبعدَ الأمم عن الانقياد والالتفاف حول شخصٍ إلا في إطارٍ محدودٍ كإطار القبيلة . . وفي إطار القبيلة كذلك كانت تنشأ النخْوَة والأنفة . . فكان أفراد القبيلة يخرجون من طاعة سيد القبيلة أحياناً .

ولذلك بقي العربُ إلى ظهور الإسلام وحداتٍ متناحرة ، وصار النفورُ طبيعة العرب ؛ التي اختصوا بها على الأمم الأخرى .

ومن يدرس تاريخَ العرب . . وهو مسجَّلٌ في دواوين الشعر الجاهلي ، وأخبار العرب وأيامهم لعرف : أنَّ أصعب الأمور بالنسبة للعرب هو التآلف بينهم . . ؛ لأن النفور والشموس كانت مِيزتَهم . ولم تكن القبائل المختلفة متحاربةً . . وإنما كانت الأُسَرُ موزَّعةً فيما بينها . . وقد أصبح شكوى بني الأعمام موضوعاً من موضوعات الشعر الجاهلي ، لا تخلو قصيدةٌ منه ، وتعدَّى هذا النفور إلى بني الأب الواحد كذلك .

كان هذا التنافرُ قائماً في (يثرب) التي عرفت بالحروب الطاحنة بين الأوس والخزرج ، وكان من أشدِّه في (مكة) و (الطائف) بين مختلف الأسر . . أمَّا العداء بين عدنان وقحطان ، وبين العرب والعجم فهو أمرٌ معروفٌ . . فقد كانت بينهم حواجزُ نفسيةٌ واجتماعيةٌ لا تزول . . بل تزداد عبرَ الأيام .

كان إيجاد مجتمعٍ يشمل على الوحدات البشرية ، أو الكُتَل البشرية من هؤلاء الأفراد بطرائق تذوب فيه الأواصرُ الأخوية ، والروابط بين الأب والابن ، والزوج والزوجة ، بالانتساب إلى عقيدةٍ ، والالتحاق بذات الرسول ﷺ معجزةً في ذاته . . معجزةً في تاريخ البشرية بكامله .

كان المجتمعُ الذي أنشأه محمَّدُ رسول الله ﷺ في المدينة المنوَّرة التي جعلها قاعدةً لدعوته ، ومركزاً لتربيته ، وإعداده للنفوس مجتمعاً إنسانياً عالمياً لا يُوجد له نظيرٌ إلى يومنا هذا . . وقد توفَّرت في هذا المجتمع جميعُ خصائص المجتمع المتحضّر من العقيدة والعلم ، وروح التكافل ، والتكامل ، وصلاحية التوسُّع والامتداد والتبادل . . وقد اعترف القرآن الكريم : أن هذا التآلف كان نتيجةً لموقف الرسول ﷺ وسلوكه ، فقال :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

كان من خصائص المجتمع الإسلامي الأول الذي نشأ في المدينة المنوَّرة الالتزام بعقيدةٍ واحدةٍ ، ونقل هذه العقيدة إلى سائر مجالات الحياة . . فكانت تقام الروابط في ضوء هذه العقيدة ، وكانت الميزةُ الثانيةُ الارتباط بذات الرسول ﷺ ، وإيثاره على غيره ، والخضوع التام له . . وكانت الميزة الثالثة هي المبادرة والسبق إلى أعمال الخير . . كالإيثار ، والتعاطف ، والنجدة ، والإسعاف ، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] .

كانت نتيجةُ هذا الإيثار ، والمساواة ، والمواساة أنْ خلا المجتمعُ المدني من التباغض والتحاسد الذي يقطع أواصرَ المجتمع ، ويقرض حبائل الصلات القائمة بين مختلف أفراده .

وكما يَدُلُّ عليه الحديث النبوي : « إن المؤمنَ للمؤمن كالبُنْيان يَشُدُّ بَعْضُه بعضاً »[1] وقد ظهرت هذه الخصائصُ في البأساء والسَّرَّاء ، وفيهما يمتحن الإنسان . . وقد وصف القرآن الكريم هذه الصفة الاجتماعية بقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وقال في سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ، برقم (٤٨١) .

لقد وُجِدَتْ في المجتمع المدني جميعُ خصائص المجتمع الراقي المثالي . . ولذلك كان المجتمعُ المدني مجتمعاً نامياً متوسِّعاً باستمرار . . والاستمرارية والتوسُّع هي خصائص الحياة الفردية ، أو القبلية . . ولم توجد مثل هذه الخصائص للنموِّ ، والتوسُّع ، والترابط ، والمساواة ، والعدالة في مجتمعٍ آخر . . سواء كان هذا المجتمع في فارس أو الرُّوْم ، أو العصر الحاضر الذي يُعَدُّ عصرَ الحياة الاجتماعية .

ويُمكن أن يُقاس هذا النُّموُّ والازدهار الذي كان في المدينة بفضل التكافل والتعاطف والتآخي في عدد أفراد هذا المجتمع بعد وصول الرسول ﷺ إلى المدينة المنوَّرة ، وفي عدد المسلمين في حِجَّة الوداع ، ومن خُلُوِّ هذا المجتمع من القضايا والمشاكل الاجتماعية التي تحدثُ في كل مجتمعٍ .

وهل يُوجَد مثالٌ في تاريخ الحضارات أن يقدِّم مُذْنِبٌ أو مجرم نفسَه للمحاكمة ، ويفرض على نفسه أقسى العقوبة ويحتملها ، ولا تنشأ في نفسه كراهية أو نقمة ، ويُواجِه كلَّ إغراءٍ وإثارةٍ ، كما تتضح في قصة كعب بن مالك عندما تخلَّف عن الاشتراك في غزوة تبوك ، وإخوته الذين ذكر القرآن الكريم قصتهم بتفصيل ، وموقف عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سَلُول إزاء والده عند قوله : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون : ٨] .

يقول علماءُ النفس : إنَّ حُبَّ المال والغلبة من غرائز الإنسان . . وإذا تعرَّض هذا الحب للخطر بدأ الصراع . . ولكن المجتمع المدني يقدِّم مثالًا مُدهِشاً لغلبة عنصر الإيمان ، والتعلُّق بذات الرسول ﷺ على هذه العناصر المادية التي تؤدِّي إلى الصراع ، وتشتُّتِ المجتمع .

المثال الأول : ما جاء في الحديث الشريف عن الأنصار الذين وجدوا شيئاً في أنفسهم لدى تقسيم المغانم ، وأخيراً رضوا بالقسمة ، وآثروا الرسول ﷺ .

والمثال الثاني : لدى خلافة سيّدنا أبي بكر ، رضي الله تعالى عنه . . فقد كان هذا التعيين للخليفة الذي كان من المهاجرين في بلد الأنصار ، وكان الأنصار يطمحون إلى الاشتراك في الحكم . . لكنهم قبلوا هذا الحكمَ ، وتجنَّبوا الصراعَ ،

وبقي المجتمع المدني موحَّداً ، ثم وافقوا على حكم الخليفة الأول للخروج من المدينة في جيش أسامة ، وحرب الردة ، رغم اختلافهم في الرأي ، وأبلوا في المعركتين بلاء حسناً .

لقد صوَّر المؤرِّخون المجتمع الإسلامي الأول تصويراً يختلف عن تصوير القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، بإبراز أحداث مشتتة . . ؛ لأنَّ الذين ألَّفوا هذه الكتب كانوا بعيدي الصلة عن المجتمع المدني ، وعن العهد الأول ، فعرضوا أحداثَ التاريخ الأول في ضوء ميولهم الفكرية ، وواقع حياتهم ، وكانت الحاجة ماسَّةٌ إلى عرض جَوِّ هذا العهد ، وهذا المجتمع في المنظور القرآني . . وقد أحسن أخونا العزيز الأستاذ محمد لقمان الأعظمي الندوي بعرض هذه الرؤية القرآنية للحياة في عهد الرسول ﷺ .

وقد قضى مدَّةً في دراسة القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وكُتُب السِّيَر ، ليأخذ صورةً حقيقيةً للمجتمع الإسلامي الأول الذي نشأ بتربية الرسول ﷺ ، وكانت له تجربة في مجال الدعوة والتوعية الإسلامية . . وقد وهبه الله عاطفةً دينيةً بفضل دراسته ونشأته ، وصلاته برجال الفكر الإسلامي . . فقد درس في « ندوة العلماء » ، ثم التحق بالأزهر ، ثم مارسَ مهنة التعليم . . فكان اختياره لهذا الموضوع خدمةً في مجال الدعوة الإسلامية . . ؛ لأنه أراد أن يقدِّم نموذجاً للمجتمع الإسلامي ، ليكون قدوةً للدعاة ، فجزاه الله خير الجزاء ، ونفع بكتابه ، وكثَّر أمثاله .

والله تعالى ولي التوفيق ، وهو يهدي السبيل .

في ٤ ربيع الأول ١٣٨٠هـ	**أبو الحسن علي الحسني الندوي**
١٢/٨/١٤٠٨هـ	ندوة العلماء
١ /٤/ ١٩٨٨م	لَكَنهؤ ـ الهند

الهند في العهد الإسلامي

للعلامة عبد الحي الحسني

دار عرفات
(الهند)

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو المحدِّث الفقيه ومؤرخ الهند الأكبر الشيخ عبد الحي بن فخر الدين الحسني ـ والد العلامة أبي الحسن الندوي ـ .

وُلِد في زاوية الشيخ عَلَم الله الحسني عام ١٢٨٦هـ ، ونشأ منذ نعومة أظفاره في طاعة الله ، وفطم نفسَه منذ حداثتها على تقواه ، تلقَّى دراسته الابتدائية ومبادىء اللغة الفارسية ، والعربية ، والإنكليزية على علماء وشيوخ بلده ، ثم قرأ الفقه ، والأصول ، والتفسير على كبار علماء مدينة (لكنؤ) ، واستفاد في الحديث وعلومه من محدِّث الهند الكبير العلامة الإمام عبد الحي اللَّكْنَوي ، ثم سَافرَ إلى بُوْفَالْ (وهي إذ ذاك محطُّ رجال العلم والطلاب) وقرأ الحديثَ على العلامة المحدِّث الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني ، وقرأ الطبَّ على أحد الأطبَّاء الحُذَّاق . وزار في الهند المراكزَ العلمية والدينية ، واجتمع بكبار العلماء والشيوخ واستفاد منهم .

تفرَّغ لخدمة « ندوة العلماء » وخدمة الإسلام والمسلمين بواسطتها ، ولم يزل يخدم « ندوة العلماء » تطوُّعاً واحتساباً حتى جُعل لها أميناً عاماً في سنة ١٣٣٣هـ ، واستمرَّ على ذلك إلى أن انتقل إلى جوار ربِّه في عام ١٣٤١هـ ، ودُفن في مقبرة « زاوية شاه علم الله » في رائي بَرِيلي .

من مؤلَّفاته العظيمة الخالدة :

في التاريخ :

١ ـ نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر : (طُبع حديثاً في ثلاث مجلَّدات ضخام ، في دار ابن حزم ـ بيروت) بعنوان : « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » .

٢ ـ الثقافة الإسلامية في الهند .

٣ ـ الهند في العهد الإسلامي .

٤ ـ تاريخ غُجرات (يادِ أيَّام) بالأردية .

٥ ـ الوردة الرشيقة (كل رعنا) بالأردية .

في الحديث :

٦ ـ تهذيب الأخلاق (وهو نفس « تلخيص الأخبار ») .

٧ ـ منتهى الأفكار في شرح تلخيص الأخبار .

في الفقه :

٨ ـ الغناء في الإسلام .

مقدِّمة الكتاب

بقلم : أبي الحسن علي الحسني الندوي

إذا صَح : أنَّ الوطن المألوف بمنزلة الأُم ، لها حقٌّ لا يُضاع ، وإليها حنينٌ لا يُنكَر[1] ، فقد سجَّل تاريخُ العلم ، والأدب ، والكتابة ، والتأليف أمثلةً رائعةً ، وآياتٍ باهرةً من هذا الوفاء الكريم ، والبِرِّ السَّامي النزيه لأبناء البلاد البَرَرَة لأمِّهم الحنون التي وَلدتهم وأَرضعتهم ، والتي قضوا في أحضانها أطيبَ أيام حياتهم وأصفاها ، وعاش فيها ودُفِن آباؤهم الذين يُحِبُّونهم ويُجِلُّونهم ، ولهم فيها آثارٌ وذكرياتٌ ، وتغنَّى بها الشعراءُ قديماً وحديثاً ، فقال ابنُ الرُّومي :

ولي وطنٌ آليتُ أن لا أبيعه ... وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرتُ به شرخَ الشباب منعَّماً ... بصحبة قومٍ أصبحوا في ظلالكا
وحُبِّب أوطانُ الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكَّرتهم ... عهود الصِّبا فيها فحَنُّوا لذلكا

وقال الآخرُ :

بلادٌ بها نِيْطَتْ عليَّ تمائمي ... وأول أرضٍ مَسَّ جسمي ترابَها

وقد كان المسلمون بفضل التعاليم الإنسانية الخُلُقية التي تلقَّوها في مدرسة الرسالة المحمَّدية مِن أوفى الأمم والشعوب للبلاد التي ولدتهم ، وأنشأتهم ، أو آوتهم ، واحتضنتهم ، ومن أبرِّ الأبناء لتلك الأمَّهات المعنوية ، ومن أحرص عباد الله على شكر النعمة ومعرفة الحَقِّ والفضل ، وأحرصهم على تسجيل الأخبار وتخليد الآثار ، وإثارة الدفائن وإيضاح المعالم ، والكشف عن المجاهل والبحث عن

---

(١) كلام مقتبسٌ من مقدّمة « جنة المشرق » لمؤلِّفها (العلاَّمة الندوي) .

الحقيقة ، وتحرِّي الصِّدق والدِّقَّة والأمانة في الحكاية والرواية ، ساعدهم في ذلك ذوقُهم التاريخي الذي رافقهم من أول رحلتهم وفجر نشأتهم ، وطبيعة التحقيق التي اقترنت بحياتهم وأخلاقهم منذ عنوا بفَنِّ الحديث والرواية ، ودوَّنوا علم الأصول وفَنّ أسماء الرجال ، فكانوا رائدَ البحث العلمي وحاملَ فَنِّ التاريخ الأمين في كثيرٍ من البلاد التي وردوا فيها .

وإذا أراد الله ببلدٍ خيراً ، وأراد أن يُخرجَه من الظلمات إلى النور ، ومن الخفاء إلى الظهور ، ومن حياة العزلة والخمول ، والقناعة بالنزر اليسير ، والانطواء على النفس إلى حياة الشهرة والاتصال ببقية الأسرة الإنسانية والعالم المترامي الواسع ، وركب الحياة السيَّار ، وأراد أن يسلِّط عليه أضواءً قويَّة من العلم والتحقيق ؛ ساق إليه المسلمين فاتخذوه وطناً وسكناً ومعاشاً ومَدْفناً ، ولم يعتبروه بقرةً حلوباً أو ناقةً ركوباً يحلبون ضرعها ويركبون ظهرها ، ويجزُّون صوفها ، ثم يتركونها هزيلةً عجفاء أو منتوفةً شوهاء ، ولا يعتبرون نفوسهم كالإسفنج يتشرَّب الثروة في مكانٍ ويصبها في مكانٍ[1] ، بل وهبوا هذه البلاد أفضل ما عندهم من عقيدةٍ ورسالةٍ ، وأخلاق وسجايا ، ومقدرةٍ وكفايةٍ ، وتنظيمٍ وإدارةٍ ، وأقبلوا عليها بالعقل النابغ ، والشعور الرقيق ، والذوق الرفيع ، والقلب الوَلوع ، واليد الحاذقة الصَّنَّاع ، فنقلوها من طور البداوة إلى طور الحضارة ، ومن عهد الطُّفولة إلى عهد الشباب الغَضِّ ، وأَمِنَتْ بعد خوفٍ ، واستقرتْ بعد اضطرابٍ ، وأخذت الأرضُ زخرفَها . وبلغت المدنيَّةُ أوجَها ، وتحوَّلت الصحارى المُوحِشة ، والأراضي القاحلة إلى مُدُنٍ زاخرةٍ وأراضٍ خصبةٍ ، وتحوَّلت الغاباتُ حدائقَ ذات بهجةٍ ، وأشجارُ البرية أشجاراً مثمرةً مدنيةً ، ونشأت علومٌ لا علم بها للأولين ، وفنونٌ وأساليب في الحضارة والحكم والفَنِّ لا عهدَ بها في الماضي ، وانتشرت التجارة ، وازدهرت الزراعة ، فكأنَّما وُلِدَتْ هذه البلادُ في العهد الإسلامي ميلاداً جديداً ، ولبست ثوباً قشيباً .

هذه قصةُ (إسبانية) التي سمَّاها المسلمون بلاد الأندلس ، فلم يكن العالمُ

---

(١) كما كان شأن الإنكليز في الهند ، وفرنسا في الجزائر والمغرب الأقصى ، وإيطاليا في طرابلس وبرقة (الندوي) .

يعرف عنها إلّا الشيء القليل الذي لا يشرح الصدرَ ، ولا يبعث الآمال ، فلما دخلت هذه البلادُ في ولاية العرب المسلمين ، وفي حضانة الإسلام بلفظٍ أصح ، انتقلت من الظلام إلى النور ، ولفظت الأرضُ خزائنها ، وصبت خيراتها ، فكانت أُمْنِيةَ الفاتحين ، وأُغْنِيةَ الشعراء والمتغزِّلين ، وموضوعَ المؤرِّخين والجغرافيِّين ، وكانت جَنةَ الدنيا وسوقَ العلم ومثابةَ العلماء ، ومنتجعَ الشعراء ، وكانت ذاتَ مدرسةٍ في الفقه والشعر والأدب ، والفلسفة والفَنّ المعماري ، وكانت فيها (مَرسِية) ، و (بَلَنْسِيَة) ، وَ (جيان) ، و (شَاطِبة) ، و (قُرْطُبة) ، و (إشْبِيْلِيَّة) ، و (غَرْناطة) ، وكانت فيها مدينة الزهراء ، وقصر الحمراء .

وهذه قصةُ مصر ، والشام ، والعراق ، وإيران ، وتركستان بعد الفتح الإسلامي ، فكانت كماءٍ راكدٍ قد أَسَن ، وكانت مطيَّةً للرومان والفرس ، ينعمون بثرواتها وحاصلاتها ، وبكدح عُمَّالها وفلاحيها ، ولم تكن هذه البلاد قبل فتح المسلمين ذات طابعٍ خاصٍّ في المدنيَّة والآداب والفَنِّ ، ولم ينبغ فيها علماءُ وشعراءُ ، وفقهاءُ ، ومشرّعون ، وحقوقيّون ، ومُبدِعون . وعَمالقة الفكر ، وعباقرة الفَنّ ، دوَّى اسمُهم في الآفاق ، وسارت بمصنَّفاتهم الرِّفاق ، وردَّد العالمُ صوتَهم من أقصاه إلى أقصاه ، وسُمِع صدى أفكارهم وتحقيقاتهم في الشرق والغرب ، حتى جاء الإسلامُ فكانت (البَصْرة) ، و (الكُوفة) ، و (المَوْصل) ، و (بغداد) في العراق .

و (دمشق) ، و (حلب) ، و (حِمْص) ، و (نَابُلُسْ) ، و (القُدْس) الإسلامي ، و (طرابُلُسْ) ، و (حَمَاة) في الشام .

و (الفَسْطَاط) ، و (القَطَائع) ، و (القاهرة) ، و (أسيوط) ، و (المنصورة) ، و (دِمْياط) في مصر .

و (سَمَرْقَنْد) ، و (بُخارى) ، و (الشَّاش)[1] ، و (خوارزم) في تركستان .

و (الرَّي) ، و (هَمْدان) ، و (نيسابور) ، و (شِيْراز) ، و (طُوْس) ، و (أصفهان) في إيران[2] .

---

(١) تسَمَّى الآن طاشْقَنْد .

(٢) وقد اقتصرنا على قليل من أسماء المُدُن التي لمعت في التاريخ الإسلامي على سبيل المثال ، =

وظهر فيها نوابع لا يحصيهم إلَّا مَن أحصى حصى البطحاء ، ورمالَ الدهناء .

وهذه قصةُ شمال إفريقية من ليبيا إلى مُرَّاكُش ، فلم تُعْرَف هذه البلاد إلَّا بالقسوة والفروسية وشدَّة الشَّكِيْمة واستعصاء أهلها على الفاتحين ، حتى ضُرب بأهلها البَرْبَر المثل في الوحشية والنَّخْوَة ، وتشاغلها بالحروب الداخلية وشِدَّة تمسُّكها بالعادات القديمة والتقاليد القبلية ، لا لغةٌ راقية ، ولا حضارةٌ رقيقة ، ولا دينٌ معقول ، ولا مدنيةٌ مشهورة ، حتى جاء الإسلامُ ، فكانت فيها مدينة (قَيْرَوَان) ، و (فاس) ، و (مِكْنَاس) ، و (مُرَّاكُش) ، و (باجه) ، و (سُوْسة) ، و (سَرَقسْطَة) ، و (بَجَاية) ، و (تِلْمِسَان) ، و (تونس) ، أنجبت أفذاذاً في الحديث والتفسير ، والفقه والتصوُّف ، والشعر والأدب ، والنقد ، والتاريخ ، والفلسفة ، يطول استقصاؤهم ، وكانت فيها مدارسُ كجامع القَرَوِيين وجامع زيتونة ، تخرَّج فيها وعلَّم أئمَّة في العلوم والفنون وخلفوا آثاراً باقيةً ما دامت اللغة العربية والعلوم الإسلامية .

وهذه قصةُ الهند ، فكانت تعيش في عُزْلَةٍ عن العالم ، يحجزها عن العالم المتمدِّن البحرُ في الجنوب والشرق ، وسلسلةُ الجبال ـ من أكثر جبال العالم ارتفاعاً وطولاً ـ في الشمال والغرب ، لا يتمثَّلها العالمُ المتمدِّنُ ولا يراها إلَّا في مرآة العقائد المتطرِّفة ، والأساطير الشائعة عن الرياضات المرهقة والزهد المتبتِّل وتعذيب الجسم ، والتغلُّب على مطالب النفس وقهرها ، والتمسُّك بفلسفة وحدة الوجود ، والبراعة في بعض العلوم الرياضية والفلك ، واتساع المساحة ، وخصب الأرض ، ووفور الخيرات .

ولا تفتح نافذةً ينظر منها العالم إلى هذه البلاد المطوية المغلقة إلَّا عن طريق بعض الفاتحين كالإسكندر المَقْدُوني ، أو عن طريق بعض المحقِّقين الباحثين كأبي الريحان البَيْرُوني[1] (م ٤٤٠هـ) ، وقد وقفت مدنيتها على ما كانت عليه قبل آلاف

= وإلا فهي أكثر من أن تستقصى (الندوي) .

(١) يُرجع إلى كتابه « تحقيق ما للهند » .

من السّنين ، ولم تشتغل اليدُ الحاذقة في زيادة الثروة وتسهيل الحياة وترقيق المدنية وتوسيع الثقافة كما اشتغلت في بلادٍ مجاورةٍ ، فبقيت على ما كانت عليه[1] من مدنيةٍ وفَنّ وزراعةٍ وأساليب للحياة ، حتى دخلها المسلمون فحملوا إليها أجملَ ما عندهم من مدنيةٍ رقّت حواشيها وطالت ذيولها ، وثقافةٍ شارك في توسيعها عقيدةُ توحيد ، ومساواة إنسانية ، وحقوق عامة لجميع الطبقات ، وتهذيبها عبقريات عِدَّة شعوب وتجارب عدة أممٍ ، وإدارة قد مارسوها وأتقنوها في ميادين شتَّى ، فدخل معهم الهواءُ الطَّرِيُّ النقيُّ ، ولُقَاح الأفكار المتباينة والفَنِّ الذي نَضُجَ واختَمَرَ ، وتنظيم البلاد وسياسة الحكم التي طالت تجربتهم فيها ، والتقت الفروسية التركية وقوّة الإرادة المغولية ، ، والنَّخْوَة الأفغانية مع الشريعة الإسلامية السمحة ، والتقى الطموحُ العسكري الإداري الذي لا يخضع لصعوبةٍ ولا يؤمن بخطرٍ ، مع طبيعة البلاد والشعوب التي اختلطوا بها ، تلك الطبيعة الرقيقة الوادعة التي تتدفَّق برسالة الحُبِّ والرفق والغناء المطرب والشعر الرقيق والكرم الأصيل ، وحُبّ التعمُّق في كل علمٍ وفَنٍّ ، التقى كلُّ ذلك في إنشاء حضارةٍ تستحق أن تُسَمَّى « الحضارة الهندية الإسلامية » ، وفي تجربةٍ سياسيةٍ إداريةٍ تجدر بأن تُسَمَّى « الحكم التركي الإسلامي الهندي » ، أو « الحكم المَغُولي الإسلامي الهندي » ، وفي تكوين فَنٍّ معماريٍّ يستحق أن يُسَمَّى « الفنّ الإسلامي الهندي » .

فإذا تجلَّت هذه العبقريةُ الممزوجةُ المركَّبةُ في أساليب الحكم والإدارة ، والتنظيم ، كانت عبقرية علاء الدين الخَلْجِي (م ٧١٦هـ) في قوانين التجارة والمعاملة والتسعير ورخص المواد الغذائية ، وصلاح أخلاق التجَّار وأهل الحِرَف .

وإذا كانت عبقريةٌ تجلَّت في الحُبِّ والحَنَان ، والأنغام والألحان ، كانت عبقرية

---

(١) اقرأ صفة الهند وما كانت عليه من مدنية وإنتاجٍ وصناعة وثمار وفواكهٍ ، وأدوات مدنية ومرافق الحياة في منتصف القرن العاشر الهجري ، بقلم الملك بابر التيْموري الرسّام المصوِّر في كتابه الخالد « تزك بابري » ، أو اقرأ ترجمته بالعربية في كتابنا « المسلمون في الهند » : طبع دار ابن كثير بدمشق . (الندوي) .

الأمير التركي الهندي الأمير خسرو[1] أمير شعراء الهند (م ٧٢٥هـ) ، فظهرت في شعره الرقيق الرائق ، الذي كاد يسيل رِقَّةً وعذوبةً ويضرب على أوتار القلب ، وظهرت في تفنُّنه في أغراض الشعر وضروبه واقتداره على عدَّة لغاتٍ .

وإذا كانت عبقريةٌ تجلَّت في الإنسانية السامية والأخلاق الفاضلة ، والحياة النافعة كانت عبقريَّةَ الشيخ نظام الدين محمد البَدَايُوْني الدِّهْلَوي (م ٧٢٥هـ) التي ظهرت في زهده وشفقته على الخَلْق وإيثارهم على النفس .

وإذا تجلَّت هذه العبقريةُ في طيب القلب وتأمين البلاد وخدمة العباد ، كانت عبقرية فَيْرُوز تُغْلَق (م ٧٩٩هـ) التي تجلَّت في الأمن المنقطع النظير الذي لم تعرفه البلادُ من قبل ، وفي كثرة الأنهار وتنظيم الري ، وتعايش أهل البلاد السِّلْمِي ، وارتفاع المظالم وقلَّة نسبة الجنايات .

وكانت عبقريةُ شَيْرشاه السُّوْري (م ٩٥٢هـ) في سَنِّ القوانين ، وضبط البلاد وترفيه السُّكَّان ، وتجلَّت في هذا الشارع الذي كان يبتدىء من ماء (نَيْلاب) في أقصى الشمال الغربي إلى (سِنَار كاؤن) في أقصى الشرق ، وبناء الخانات وتهيئة أسباب الراحة والحفاوة للقوافل والسابلة ، وفي وضع دستور الحكم العام الحكيم ، وتحقَّق كل ذلك في خمس سنوات .

وإنْ تجلَّت هذه العبقريةُ في الجمع بين الفضائل العلمية والعملية ، وبين السَّيف والقلم والقدرة الأدبية الشعرية في لغاتٍ متنوِّعةٍ ، كانت عبقريةَ الأمير عبد الرحيم خَانِخَانَان (م ١٠٠٥هـ) القائد العسكري الكبير ، ومن أركان الدولة المغولية الذي جمع بين قيادة الجيوش وصدارة الأدب والشعر ، وتربية الأدباء والشعراء ، ويعتبر من الشعراء المفلقين في اللغات التركية والفارسية والهندية الوطنية[2] .

---

(١) هو من أصلٍ تركيٍّ صميم وخوؤلته من الهند ، وُلد في « بتْيَالي » في الولاية الشمالية ، وكان إماماً في الشعر والموسيقى ، وله اختراعاتٌ واجتهاداتٌ فيهما .

(٢) هو عبد الرحيم ابن بيروم خان (أحد مؤسِّسي الدولة المغولية) من أصلٍ تركيٍّ أصيل وأمه هندية ، ويعتبر من أئمة الشعر الهندي (غير الأردية) ، كان يتلقَّب فيه بـ« رحيم » ويقر بفضله أدباء الهنادك ويعدّونه من شعرائها المعدودين الذين نبغوا في المسلمين (اقرأ ترجمته=

وإذا تجلَّت هذه العبقريةُ في الذوق الرقيق وحُسْن الاختيار وصفاء الحِسّ ورِقَّة الشعور ، كانت عبقرية جَهَانْكِيْر (م ١٠٣٧هـ) في ترقية الثمار والفواكه ، وفي تلقيح الأشجار ، والتفنُّن في المأكل والمشرب .

وإذا تجلَّت هذه العبقريةُ المزدوجة المركَّبة ، الرقيقة المهذَّبة ، في الفن المعماري والهندسة والبناء والآثار الجميلة الخالدة ، كانت عبقرية شَاهْجَهَان التي تجلت في (التاج محل) الدُّرَّة الفريدة المعمارية ، وفي جامع شاهجهان في « دهلي » ، والقلعة الحمراء .

وإذا تجلَّت هذه العبقريةُ في قُوَّة الإرادة وقدرة الإدارة وقيادة الجيوش ، وإخضاع البلاد لحكمٍ واحدٍ وقانونٍ واحد ، والإشراف عليها في وقتٍ واحدٍ ، تجلَّت في عبقرية « أَوْرَنْكَ زَيْب » في إخضاع جنوب الهند الذي تمرَّد على الفاتحين الأولين ، وبقي محافظاً على استقلاله وشخصيته أكثرَ الوقت ، وفي ديانته وتقواه وأخذه بالعزائم ، وظهرت في تدوين « الفتاوى الهندية » ، وفي إحياء السُّنَن النبوية ، وإزالة العادات والشعائر الجاهلية التي تمسك بها أجدادُه وعَضُّوا عليها بالنواجذ .

وإذا تجلَّت هذه العبقريةُ في ميدان العلم والفكر الإسلامي ، والغوص في مقاصد الشريعة وأسرار الكتاب والسُّنَّة ، وتمحيص الحقِّ والباطل والخالص والزائف ، تجلت في معارف الشيخ شرف الدين يحيى المُنِيْري (م ٧٨٦هـ) ، وحمية الشيخ أحمد بن عبد الأحد السَّرْهِنْدِي (م ١٠٣٤هـ) ، وحكمة الشيخ ولي الله الدِّهْلَوِي (م ١١٧٦هـ) .

فكانت الهند عالَماً مستقلاً لا بالمعنى القديم الذي كانت تعيش فيه قبل دخول الإسلام ، ولكن بالمعنى الجديد الذي وصلت إليه بعد الفتح الإسلامي من تفوُّقٍ في أساليب الحكم ، وبراعةٍ في كثير من العلوم الإسلامية ، وقيادةٍ لِعِدَّة حركاتٍ إصلاحيةٍ ، وإبداع في كثيرٍ من فنون الحضارة والاجتماع ، فكانت في حاجةٍ إلى

= الحافلة في « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » في الجزء الخامس) .

استعراضٍ تاريخيٍ شاملٍ دقيق ، ومقارنةٍ أمينةٍ بين الماضي والحاضر ، وما كان للهند من تراثٍ وبقايا ، وما حمل إليها المسلمون من طرف وهدايا ، وكانت في حاجةٍ إلى مؤرِّخٍ واسعِ الاطلاع ، دقيق الإحصاء ، واسعِ الصبر والأناة ، قد نقب في المكتبة الإسلامية ، وعاش فيها مدّةً طويلة لا يرى اللذّة إلَّا في إحياء مآثر السلف وإيتائهم ما يستحقون من الاعتراف والشكر .

وقد كان من سعادة (الأندلس) الإسلامية أن قُيِّض لها مؤرِّخٌ وصَّافٌ ، وأديبٌ رسَّامٌ مثل (محمد لسان الدين بن الخطيب) من وزراء دولة (غَرْنَاطة)[1] ، فألَّف كتابه الفريد : « الإحاطة في أخبار غرناطة » في ثلاثة أجزاء ، فكان موسوعةً صغيرةً فيما يتصل بعاصمة العرب المسلمين الأخيرة في الأندلس ، وقد طرق في هذا التاريخ باباً قلَّ من سبقه إليه من مؤرِّخي العرب ، وهو أنه افتتح الكتاب بقسمٍ جغرافيٍّ خطط فيه ولاية غرناطة ، وما يتبعها من القُرى والجَنَّات ، وذكر فيه عوائدَ أهلها ومعايشهم وأزياءهم وجندهم وسلاحهم وكثيراً ممَّا يتعلَّق بحالهم الاجتماعية لعهده[2] .

وقد فاق هذا الأثر العلمَ العلميَّ الخالد أثرٌ آخر لمؤلِّفٍ مغربيٍّ جاء بعده يجدر أن يتطاول به المغرب على بلاد الشرق الإسلامية ، الكتاب الطائر الصِّيت « نفح الطيب لغصن الأندلس الرطيب » للعلامة (أحمد المَقَّري) المغربي المالكي (م ١٠٤١ هـ)، وهو دائرة معارف ومعجم مستقل في كل ما يتعلَّق بالأندلس ، مشحونٌ بالتاريخ والأدب ، والشعر والمُلَح ، في أسلوبٍ أدبيٍّ وسجعٍ ، وفيه فوائدُ كثيرةٌ ، ومادةٌ غزيرةٌ ، وعلمٌ منثورٌ ، ونوادرٌ وحكاياتٌ ، ممزوجٌ بأخبار غير الأندلسيين ، وما لا صلةَ له بالموضوع ، بأدنى مناسبةٍ ، ولكنه لا يخلو من الفائدة ، وإن كان ينقصه التنقيح والتأليف المرتَّب على النسق الجديد . والكتاب في أربعة أجزاء كبار ، إلا أنَّ الجزء الثالث والرابع في ترجمة لسان الدين بن الخطيب وحده ، وقد أُوْلِع به هواة الأدب والإنشاء البليغ والنثر الفني قديماً وحديثاً ، واعتنوا به اعتناءً كبيراً .

---

(١) مات شهيداً ٧٠١ هـ .

(٢) العبارة مقتبسة من تقديم الكتاب للأستاذ رفيق العظم (الندوي) .

وكانت سعادةُ (مصر) من هذا الوصف والتصوير وتخليد الآثار وحفظ الأخبار أوفى وأوفر من كلّ قطرٍ زَهَا في العهد الإسلامي ، وذلك بفضل ابنها البارّ العلامة تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمَقْرِيزي (م ٨٤٥هـ)، فقد ألَّف كتابه العظيم « كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخِطَط والآثار » المشهور بـ « خِطَط مصر » (في جزأين كبيرين) ، وقد استقصى فيه الدقيق والجليل ، ولم يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها ، ذكر فيه المُدُنَ والمسالك ، والشوارع والحارات ، والدروب والأزقَّة ، والخوخ والرِّحَاب ، والدُّور والقصور ، والحمامات والمارستانات ، والقياسرة والخانات ، والفنادق والأسواق ، والقناطر والجسور ، والبِرَك والسُّجون ، والمساجد والمدارس ، والخانكاهات والرُّبَط ، والمشاهد والجواسق ، والمقابر والكنائس ، وذكر الأعياد والمواسم ، والدواوين ، ورتب الأمراء والخزائن ، ورتبة الوزارة وهيئة خلعهم ، ومقدار جاريهم ، وذكر فيه صلاةَ العيد وما يتعلَّق بها ، وذكر المناظر والمنتزهات ، والعوائد التي كانت بقصبة القاهرة ، والمكوس ، والصناعات ، والنظر في المظالم والجيوش والحَجَبَة ، وأحكام السياسة ، ومذاهب أهل مصر ونحلهم ، ولكنَّ الحديث أكثره منصرفٌ إلى (القاهرة) ودائر حولها ، وما كانت عليه القاهرة المعزّية في حياته من مدنيةٍ وعمارةٍ وعاداتٍ واجتماعٍ وطرازٍ للحياة وآثار باقية .

وقد مضى على وفاة المؤلِّف أكثر من خمسة قرون وما جاء بعده ـ على كثرة المؤلِّفين والمؤرِّخين في مصر ـ من يخلفه في تسجيل ما جدَّ وتغيَّر ، وفي وصل الحاضر بالغابر ، وعلى كلٍّ فالكتاب مأثرةٌ علميةٌ تأليفيةٌ تتباهى بها مصرُ ، وبرهانٌ ساطعٌ على وفاء علماء المسلمين ومؤلِّفيهم لأوطانهم ، وهمتهم السامية في التأليف والتدوين وتخليد الآثار .

أمَّا الشام فقد صنَّف ابنُ عساكر (م ٥٧١هـ) كتابه المشهور « تاريخ دمشق »[1]،

---

(١) قال العِمَاد عن أجزاء « تاريخ دمشق » : « وهو يحتوي على سبعمئة كراسة ، كل كراسةٍ عشرون ورقة ، وقال : إنَّه في خمسمئة وسبعين جزءاً ، والنسخة الجديدة في ثمانمئة جزء » (الندوي) .

الذي هو بمكتبةٍ أو بدائرة معارف أشبه منه بكتابٍ مفردٍ ، وأكثره تراجم رجال ، ثم مضت فترةٌ طويلةٌ لم يكتب فيها أحدٌ في صفة الشام ، وذكر أخباره وآثاره ومدنيّته وحضارته ، وما حَبَاه الله من جمالٍ وكمالٍ ، وسحرٍ وشعرٍ ، وما طرأ عليه من تطوّراتٍ ، وحكوماتٍ وعاداتٍ ، وصناعاتٍ وأوضاعٍ ، وتصويرَ ما عليه هذا البلد من حياةٍ واجتماعٍ ، وحاصلاتٍ ومعايشَ ، حتى قام أحدُ أبنائه الأوفياء وهو الأستاذ محمد كُرْد علي ـ رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق سابقاً ـ فألّف كتابه القيِّم « خطط الشام » فسدَّ هذه الثغرة ، وملأ هذا الفراغ ، واستحقّ شكر أبناء وطنه ، وكل مُعجَبٍ بالشام ، معترفٍ بفضله في تاريخ الإسلام .

وقد كانت للهند[1] الإسلامية شخصية إسلامية ممتازة ، ودور مستقل في توسيع الحضارة الإسلامية ، وتجارب الحكم ومجال العلوم الدينية ، والتي لم يكن لها دورٌ في إنشائها وتكوينها كما قدَّمنا في السطور الماضية ، وهي حلقةٌ ذهبيةٌ في سلسلة الذهب التي يتحلَّى بها جيدُ الإسلام ، ويتجمَّلُ بها تاريخُ المسلمين .

وقد نشطت حركةُ التأليف والتدوين منذ فجر الإسلام في هذه البلاد ، ونَبَغ فيها مؤلِّفون ومؤرِّخون يُعَدُّون بالمئات ، ولكن جُلَّ مؤلَّفاتهم وآثارهم العلمية إمَّا تدور حول البلاد وشخصيات الملوك ، وإمَّا تدور حول الزوايا ومن كان فيها من الشيوخ الكبار ، وأكبر هَمِّهم تدوين أخبار الفتوح وأخبار الشَّجاعة والكرم ، وتسجيل الخوارق والكرامات والمجاهدات والرياضات ، والقليل النادر منها ما يتحدَّث عن العلماء والأدباء ويسجِّل أخبارهم ، وهذا القليل النادر يتجرَّد عن ذكر التفاصيل التي تتكوَّن بها سِيَرهم الحقيقية ، وتتمثَّل بها صورتهم الواقعية .

أمَّا ما كانت عليه البلادُ في مختلف العهود من حضارةٍ ومدنيةٍ ورقيٍّ وتقدُّمٍ ، وما كانت عليه سياسةُ البلاد وأساليب الحكم والتنظيم الإداري ، وتحصيل المالية والجِبَايات ، وقيادة الجيوش ونظام الحروب ، وكيف كانت الحالةُ الاقتصادية ،

---

(١) إذا أطلقنا كلمة (الهند) فإنما تعني بها شبه القارة الهندية والقطر الهندي كلَّه قبل التقسيم (الندوي) .

وإلى أين وصلت مجابي البلاد ، ومواردها في حكوماتٍ مختلفةٍ وعهودٍ مختلفة ، وكيف كانت طريقةُ الملوك الإسلاميين في القضاء والعدل ، وفَصْل الخصومات ، وما هي عاداتُهم في الجلوس للناس والخروج في المُدُن والجولات في المملكة ، وما هي عاداتهم وسُنَنُهم في الأعياد والمواسم ، وما هي الأيام التي كانوا يحتفلون بها ، وكيف كانوا يُظهِرون سرورَهم في الأفراح ، وعطفَهم على الرعية ، وما هي الرُّتَبُ والمناصب الرئيسية في دور حكمهم ، وكيف كانوا يقلِّدونها أهلها ، وما هي جرايات أهل المناصب ومرتباتهم ، وما هي الحقوق والتكريمات التي كانوا يتمتَّعون بها ، ثم ما هي الأمور الخيرية التي وفّق لها الملوك المسلمون في عهدهم الطويل ، وما هي المآثر والمبرّات التي شادوها لترقية البلاد ، وترفيه العباد ، وإطعام الجائع وإغاثة الملهوف ، وتأمين السُّبُل ، وما هي سوابقهم وأولياتهم ، ومخترعاتهم في السياسة والحكم ، وتنظيم البلاد وتحصيل الخراج ، وترقية الزراعة والتجارة ، وما هو طِرَازُهم الخاص في الفن المعماري ، وما هي التحسينات التي أدخلوها على المدنيَّة ، إلى غير ذلك مما تهم معرفته ، فقد صوَّرهم بعضُ المؤرِّخين ـ المتحيّزين إلى فئة ، الخاضعين لأغراض سياسية أو طائفية ـ ملوكاً جَبَّارين ، غِلَاظاً شداداً ، قُساةً جُفَاةً ، لا يحملون إلَّا السَّيْفَ ، ولا يُحسِنون إلَّا صناعةَ الحرب ، ولا يعرفون إلَّا لغةَ الدَّم والدِّرْهم ، لا ذوقَ عندهم ولا ذكاءَ ، ولا أصالةَ في فَنِّهم ولا اختراع .

وكان الذي يُطالع مؤلَّفات مؤرِّخي الهند المسلمين ـ وجُلُّها بالفارسية ـ لا يستطيع أن يقدِّم لهذا العهد صورةً مشرقةً ، أو يهتدي إلى مآثرهم في ضوء هذه الكُتب ، فإمَّا أن يتجرَّد أكثرها من هذه المواد تجرُّداً يمكِّن المؤرِّخين المتشائمين المغرضين من تاييد دعواهم ، وإمَّا أن يجدها القارىء ، مبعثرةً في هذه الكُتب الكبيرة الضَّخْمة ، مطمورةً تحت رُكام أخبار الحروب والفتوح ، وقصص السَّطْوة والقَسْوة ، والصلات ا لسنية السخية ، والجوائز المشدهة للعقول .

وكان القارىء يشعر في أثناء قراءته بأنه يمشي في نفقٍ مظلمٍ لا ضوءَ فيه ولا هواء ، فلا يتبيَّن من يمرُّ به في هذه الرحلة ، ولا يرى الأزياء ، ولا يعرف النقود التي كانوا يتعاملون بها ، والقواعدَ التي يلتزمونها ، وأُسُسَ الحكم التي يسيرون عليها ،

إلَّا بعضَ اللمْعَات أو الأضواء التي يراها في تاريخ « فَيْرُوْز شاهي » لضياء الدين البَرْنِي (مات بعد ٧٥٨هـ) ، و « تحفة فيروز شاهي » لسِراج عفيف ، و « تاريخ كُلْزَار إبراهيمي » المعروف بـ « تاريخ فَرِشْتَهْ » لمحمد قاسم البَيْجَابُوْري[١] .

فكانت الهندُ في حاجةٍ إلى مؤرِّخٍ للرجال كـ « ابن خَلِّكان » (م ٦٨١هـ) ، ومستعرض للتاريخ العلمي كـ « حاجي خليفة جلبي زَادَهْ » ، ووصَّاف كالمقريزي (م ٨٤٥هـ) ، حتى تُوفِّىٰ هذه البلاد ـ التي كَثُر فيها الرجال وازدهر فيها العلم واتّسعت فيها المدنية ـ حَقَّها من التاريخ والتسجيل والتصوير .

وقد وفَّق الله العلاَّمة السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني (م ١٣٤١هـ) ، ليمثِّل هؤلاء الثلاثة العظماء فيما يختص بالهند ، ترجمةً وتاريخاً ، واستعراضاً وتصويراً .

وطالما سَمَتْ هِمَّةُ أصحاب النفوس الكبيرة إلى تمثيل أشخاص مختلفين ، وإلى القيام بعمل ينوء بالعصبة أولي القوَّة ، وقد أنتج بعضُ الأفراد في تاريخ الإسلام العلمي قديماً وحديثاً ما قد تعجز عنه المجامعُ العلمية في هذا الزمان ، كـ « تاريخ دمشق » عملُ رجلٍ[٢] واحدٍ ، و « لسان العرب »[٣] ، إنتاجُ رجلٍ واحدٍ ، و « فتح الباري » في شرح صحيح البخاري[٤] أثرُ رجلٍ واحدٍ ، و « تاج العروس في شرح القاموس » ، و « إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين » تأليفُ رجلٍ واحدٍ[٥] ، و « معجم المصنِّفين » مأثرةُ رجلٍ واحدٍ[٦] .

---

(١) ويستثنى من ذلك كتاب « آئين أكبريى » ، و « أكبر نامة » لأبي الفضل النَّاكُوْري ، وما أُلِّف من الكتب بعدهما عن الملوك التيموريين كـ « بادشاه نامة » ، و « مآثر عالمكيري » ، إلا أنَّها كلِّها مختصةٌ بشخصياتٍ معيَّنةٍ وعهود خاصة .

(٢) هو ابن عساكر (م ٥٧١ هـ) .

(٣) لابن منظور (م ٧١٤ هـ) ، وكتابه « لسان العرب » في ٢٠ جزءاً .

(٤) للمحدِّث الكبير ابن حجر العسقلاني (م ٨٥٣ هـ) وهو في ١٣ جزءاً .

(٥) هو العلاَّمة السيد مرتضى بن محمد الزُّبيدي البَلْكَرَامي (م ١٢٠٥ هـ) ، وكتابه « تاج العروس » يقع في عشرة مجلَّدات كبار، و« إتحاف السادة المتقين » يقع في عشرين مجلَّداً.

(٦) للعلاَّمة محمود حسن خان الطُّونْكي (م ١٣٦٦ هـ) ، وكتابه يقع في ستين مجلَّداً و ٢٠ ألف=

ولقد أَلَّف أولًا[1] كتابه « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » ـ في تراجم أعيان الهند ـ من القرن الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري[2] ، في ثمانية أجزاء ، تشتمل على أكثر من أربعة آلاف وخمسمئة ترجمة ، وقد اقتدى فيه بابن خَلِّكان في الدِّقَّة والاقتصاد ، ووضع الرجال في منازلهم[3] ، وألَّف كتابه « معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف » ، وهو دليلٌ شاملٌ لمؤلَّفات علماء الهند ، مع تاريخ دخول العلوم الإسلامية في هذا القطر وتطوُّرها ، وتاريخ مناهج الدرس فيه ، والمراحل التي مرَّت بها .

ثم أقبل على هذا الموضوع الذي هو من أشدِّ الموضوعات العلمية في هذه البلاد غموضاً وخمولًا ، ومواده كما قدَّمنا إمَّا منثورةٌ مبعثرةٌ في ثنايا السطور في الأسفار الكبيرة ، وهي إشاراتٌ لا تفي بالغرض ، ولا تُسْمِن ولا تُغني من جوعٍ ، وإمَّا مطمورةٌ مغمورةٌ ، تحتاج إلى نفضّ أتربةٍ وإزالة أنقاضٍ ، ثم إن كثيراً منها يُوجَد في غير مَظَانّها فلا يهتدي إليها ، ولا يتفطَّن بها إلَّا من عاش بين الكتب ـ بين مطبوعٍ ومخطوطٍ ـ مدَّة طويلةً ، وأرهق عينَه وأضنى نفسه في مطالبة كل ما أُلِّف في التاريخ والأخبار والتصوُّف ، وما لا يتصل بالتاريخ من قريبٍ وبعيدٍ ، ويكون كالنحلة تدور بين الأشجار ، وتجلس على الرياحين والأزهار ، فتمتصُّ منها الرحيقَ فتحوِّله إلى عسلٍ مُصَفًّى ، فيه شفاءٌ للناس ، ويُرزق صبرَ النحلة وحرصها وتلطُّفها وحكمتها في قضاء وَطْرها ، وإخلاصها في عملها ، وإيثارها في نفع غيرها .

فألَّف هذا الكتاب الذي أتشرَّف بتقديمه والذي أسْماه « جَنَّة المشرق ومطلع النور المشرق » فذكر فيه جغرافية البلاد وموقعها من الأرض وما يتعلَّق بها ، ثم ذكر

= صفحة ، وتحتوي على تراجم أربعين ألفاً من المصنفين .

(١) قامت دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ـ دكن ـ الهند بطبع هذه السلسلة ، وقد ظهر الجزء الأخير ، وهو الجزء الثامن في ١٩٧٠م . وصدرت الطبعة الثانية .

(٢) طُبع هذا الكتاب باسم « الثقافة الإسلامية في الهند » في دمشق ، طبعة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٥٨ م . وظهرت له الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤ هـ .

(٣) أي : العلامة عبد الحي .

حاصلات الهند (وهو بابٌ يكاد هذا الكتاب ينفرد به في اللغة العربية) ، وقد ساعدته على إكماله وتحقيقه صناعتُه الطِّبِّية ، فذكر حاصلاتها ، بين أشجار وفواكه وأزهار ورياحين وحشائش وعقاقير وأصناف النبات ، ثم ذكر معادنَ البلاد وما تهم معرفته من أحوال الهند ، من دياناتٍ ولغاتٍ وغير ذلك ، ثم تناول الجغرافية بالتفصيل ، وأهم ما جاء فيه ذكر كور الهند ، وأشهر مُدُنها وقُرَاها في الدولة الإسلامية ، وتوصَّل بذلك إلى ذكر ما كانت عليه الهند في العهد الإنكليزي ، ثم استعرض تاريخَ الحكومات الإسلامية في الهند ، المركزية منها والإقليمية (ملوك الطوائف) في إجمالٍ واختصارٍ ، ولكن في تحقيقٍ ودِقَّةٍ إلى آخر ملوك الهند في (دِهْلِي) ، وذكر الثورة الهندية الشهيرة وقيام الإمارات الإسلامية ، وقد ألحقنا به تذييلاً وتكميلاً بقلم نجله الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني ، مع بعض الزيادات بقلمنا ، إكمالاً للفائدة ، كي يكون هذا الكتابُ مطابقاً للأحداث الأخيرة .

ويلي كلَّ ذلك القسمُ الذي هو قيمة هذا الكتاب العلمية والتاريخية وميزته بين الكتب ، وهو الفَنُّ الثالث في الخِطَط والآثار ، فيرى فيه القارىء صورةً واضحةَ القسمات ، ظاهرةَ الملامح للعهد الإسلامي الزاهر ، الذي كان هدفاً للظلم والقَسْوة من كثيرٍ من المؤرِّخين الأوروبيِّين والهنادك ، وموضع الغفلة والاستهانة من كثير من مؤرِّخي المسلمين والمشتغلين بالعلم والدراسات في الجامعات والمجامع العلمية ، واشتمل هذا الفَنُّ على خِطَط الملوك في الأحكام السياسية ونظام المملكة ، وعاداتهم في الجباية وفي العدل والقضاء ، ومآثرهم الإنسانية وآثارهم في الأمور النافعة ، وذكر العساكر وترتيبها ونظامها ، وقد نجح المؤلِّفُ في تقديم كمية العساكر الإسلامية والقوَّة البحرية ، وذكر صفة القتال ، وذِكر المناصب وأهلها وفيها تفاصيل دقيقة ، ثم ذَكَرَ ما أحدثه الملوك المختلفون في عهدهم في السياسة وفي الخروج للناس ، إلى غير ذلك ، وتحدَّث عن الأعياد والمواسم والأيام المشهودة وآداب التحية .

ويلي ذلك فصلٌ من أهمِّ فصول الكتاب وأكثرها قيمةً علميةً ، وهو فصلٌ في ذكر السنين والشهور والساعات ، وطريقة المسلمين في الهند في التأريخ ، والنقود

والموازين وتقسيم الأرض بحسب المساحة وأصنافها ، وأحكام العُشْر والخراج ، ومالية الدولة الإسلامية . ولا يقدِّر قيمةَ هذا الفصل وما جاء فيه من معلومات قيمة ، ومدى نجاح المؤلِّف في جمعها إلَّا من اضْطُرَّ إلى البحث في هذا الموضوع ، وطَالَع آلافاً من الصفحات .

ثم انتقل إلى الفصل الأخير ، وهو المؤسَّسات الخيرية والأمور النافعة التي قام بها الملوك المسلمون ، والآثار المعمارية والتُّحَف التي خلفوها وراءهم وزينوا بها هذه البلاد ، مِن شوارع عامة ، وتنظيم البريد ، وحياض وأنهار ، وحدائق وبساتين ، وجوامع ، ومدارس ـ وقد استقصى منها استقصاءً كبيراً ـ ومارستانات (مستشفيات) وملاجىء للفقراء والعجزة (بلغور خانه) ، واستطرد إلى ذكر المقابر العظيمة والمشاهد ، وختم الكتابَ بذكر نوادر ما صَنع المسلمون في عهد حكمهم ونبوغهم ونشاطهم العقلي وحريتهم السياسية ، وهي عصارةُ دراسةٍ طويلةٍ ، ومكتبةٍ ضخمةٍ .

لقد نزل مستوى الدراسة العلمية والبحث العلمي نزولاً كبيراً في هذا العصر ، حتى قلَّت قيمتها وهانت منزلتها ، ففي كل شهرٍ يُطالِعنا كتابٌ له اسمٌ هائلٌ وموضوعٌ ضخمٌ ، وقد جُمِعت فيه معلوماتٌ والتقطت على عجلٍ ، ومن غير تمحيصٍ وهضمٍ من بعض كتب المتقدِّمين ، ورُصِّفت ترصيفاً على طراز المؤلِّفين الأوروبيِّين ، ولكن تنقصها الأصالةُ العلميةُ والرسوخُ في الموضوع والفقه العميق له ، أما هذا الكتاب ـ الذي لم يتبجَّح به مؤلِّفه ، ولم تقم له دعايةٌ في سوق العلم ، بل بقي مغموراً ثُلُثَ قرنٍ تقريباً بين ما خلَّفه المؤلف من مخطوطات وأوراق ـ فإن فصلاً واحداً منه يتضمن ما انتشر في مكتبةٍ ، وإنَّ صفحةً واحدةً منه تقوم بكتابٍ كبيرٍ ، وهكذا أعمال السلف المخلصين التي أُريد بها وجهُ الله ، ورضا الضمير ، وخدمة العلم ، وتحلّت بالإخلاص والتطوُّع وروح الاحتساب ، وتميَّزت بالخفاء ، والتواضع ، والخمول ، حتى قدَّر الله ظهورها في أوانها ، وبعد أن مضى على وفاة المؤلِّف عقود من السنين .

وقد كانت لهذا الكتاب قصةٌ : فقد تعرَّض للتلف مرَّتين ، مرَّةً في سنة (١٩٢٣م) ، لما أخذه أستاذنا العلاَّمة السيد سليمان الندوي ـ وهو تلميذ المؤلِّف ـ

لينشره من دار المصنِّفين بأعظم كره (الهند) التي كان يرأسها ويديرها ، فقدَّمه لمطبعة في (دهلي) ، وكانت الحروف العربية نادرةٌ في الهند ، فبقي الكتاب في ركام من الأوراق ، حتى وصلت إليه الأرضة وخرمته ، وقد طُبع من الكتاب ٢٩٢ صفحة ، ولمَّا اطَّلع على ذلك ابنُ المؤلِّف الدكتور عبد العلي الحسني ، أَنقذه من هذا العدو الفاتك، وأخذه من هذه المطبعة الغافلة ، وصحَّح هذا الكتاب وملأ فراغَه في ضوء ملَّفات المؤلِّف ومصادر الكتاب ، حتى أكمل هذه النسخةَ ، ولـم تتهيَّأ الأسباب لنشره ، فهجم عليه السُّوْسُ مرةً ثانيةً وتلفت بعضَ صفحاته ، فجاهدنا فيه مرة ثانية وبحثنا عن النسخ الأخرى ، فوجدنا نسخةً للجزء المطبوع بمكتبة دار المصنِّفين ، فأكملنا به الناقصَ وصححنا به الغلط وجهَّزنا الكتاب للطباعة والنشر في شكلٍ نهائيٍّ لا نقدر على أحسن منه ، وقد شاهدنا تيسير الله تبارك وتعالى ونصرته في حفظ هذا التراث الثمين ، واستخراج هذا الكنز الدفين ، إنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين .

وكان هذا الأثرُ العلميُّ أمانةً عند ورثة المؤلف وأفراد الأسرة ، وأمانةُ الأفراد عند الأفراد ، والمخطوطات عُرْضَةً للحوادث والإهمال والتلف ، يشهد بذلك تاريخ المكتبات الفردية والذخائر العلمية التي خلفها الآباء للأبناء ، لذلك عزمت أسرةُ المؤلِّف على أن تتخلَّى عن مسؤوليتها في أقرب زمان فيكون هذا الكتابُ مِلْكاً للأمة التي كُتب لها ، وزينةً لمكتبات العالم ، فتبحث عن أفضل وسائل نشر هذا الكتاب وإخراجه للناس ، والله الميسِّر والمعين ، إنه لا يضيع عملَ العاملين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

موسوعة
التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
لبلاد السِّند والبَنْجاب (باكستان الحالية)
في عهد العرب

تأليف

الدكتور عبد الله مبشِّر الطَّرازي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم : العلامة أبي الحسن علي الندوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

أمَّا بعد : فقد مَنَّ الله على أرض السِّنْد ، إذ جعلها الموطن الأول للفتح الإسلامي المبارك في هذا الجزء من العالم الذي تتكون منه باكستان حالياً ، والذي كان جزءاً من شبه القارة الهندية قبل انقسامها إلى بلاد الهند ، وبلاد باكستان .

فقد عاشَ هذا الجزءُ لأوَّل مرةٍ في تاريخها الطويل عصراً كان كلُّه خيراً وبركةً على البلاد والعباد ، حين شاءت إرادةُ الله سبحانه وتعالى أن تدخل هذه البقعةُ في حضانة الإسلام على أيدي العرب الفاتحين في أواخر القرن الأول الهجري ، فعرفت ما لم تكن تعرف من عقيدة سمحةٍ ، ورسالةٍ عالميةٍ ، وأُسُسٍ للأخلاق والسَّجايا الإنسانية الحميدة وكفاءاتٍ عاليةٍ لإدارة النُّظُم الحكومية .

لم يكن العربُ المسلمون من طراز أولئك الغُزَاة الذين إذا دخلوا أرضاً أفسدوها ، واعتبروها بقرةً حلوباً ، أو ناقةً ركوباً ، يحلبون ضَرْعَها ويركبون ظهرَها ، ويجزون صوفَها ، ثم يتركونها هزيلةً عجفاءَ ، ولا يعتبرون أنفسهم إلا كالإسفنج يتشرَّب الثروةَ من مكان ، ويصبها في مكانٍ آخر ، كما كان شأنُ الإنكليز في الهند ، وفرنسا في الجزائر والمغرب الأقصى ، وإيطاليا في طرابلس وبرقة ، وهولندا في أندونيسيا ، بل وهب العربُ البلاد التي فتحوها أفضل ما عندهم من عقيدةٍ ورسالةٍ ، وأخلاقٍ وسجايا ، ومقدرةٍ وكفايةٍ ، وتنظيمٍ وإدارةٍ ، أقبلوا عليها بالعقل النابغ ، والشعور الرقيق ، والذوق الرفيع ، والقلب الولوع ، واليد الحاذقة الصنّاع ، فنقلوها من طور البداوة إلى طور الحضارة ، ومن عهد الطفولة إلى عهد

الشباب الغضِّ ، فأَمنَتْ بعد خوفٍ ، واستقرَّتْ بعد اضطرابٍ ، وأخذت الأرضُ زخرفُها ، وبلغت المدنيةُ أوجَها ، وتحولت الصحارى الموحشة والأراضي القاحلة إلى مُدُنٍ زاخرةٍ وأراضي خصبةٍ ، وتحوَّلت الغاباتُ إلى حدائقَ ذات بهجةٍ ، والأشجارُ البريةُ إلى أشجار مثمرةٍ مدنيةٍ ، ونشأت علومُ لا عِلمَ بها للأولين ، وفنونٌ وأساليبُ في الحضارة لا عهد لهم بها في الماضي ، وانتشرت التجارةُ ، وازدهرت الزراعةُ ، فكأنما ولدت هذه البلادُ في العهد الإسلامي ميلاداً جديداً ، ولبست ثوباً قشيباً .

وقصة بلاد السِّنْد والبَنْجاب لم تكن تختلف عن البلدان التي كانت متأخِّرةً حضارياً وأدبياً ، فحولها العرب المسلمون من طور الجاهلية إلى طور الإنسانية ، ومن دور التأخُّر إلى دور التقدُّم .

كانت هذه البقعةُ من الأرض وما جاورها من البُلدان تعيش في عزلةٍ من العالم ، يحكمها ولاةٌ يعتبرون أنفسهم آلهةً على الأرض ، والناس كانوا يكفرون بين أيديهم ، ويقدِّسونهم كتقديس العبد لربِّه ، وكانت الأرضُ وخيراتُها ملكاً لهم ، والناس عبيداً عندهم ، يفعلون ما شاؤوا ويحكمون بما أرادوا ، الرقابُ تحت سيوفهم ، والأعراض رهينةُ شهواتهم ، الضعيف المكافح كان أذلَّ من الحيوان ، ولم يكن الشرفُ إلا بالوراثة ، أمَّا من ناحية العقيدة ، فلم تكن هناك ديانةٌ واحدةٌ ، بل دياناتٌ متفرّقةٌ ، ليس فيما بينها رابطٌ جامعٌ ، وكلُّ ما في الأمر : أنهم كانوا يعتزّون بطقوسٍ وتقاليدَ ورثوها من آبائهم وتمسكوا بها جهلاً وغروراً .

إنَّ دخول الإسلام إلى بلاد الهند ، كان فاتحةَ عصرٍ جديدٍ ، عصرُ علمٍ ونورٍ ، وحضارةٍ وثقافةٍ ، كانت هذه البقعةُ من العالم تستحقّ عنايةَ الباحثين والمؤرِّخين ، ولكنَّ للأسف أهملها المؤرِّخون باستثناء والدي المغفور له العلامة الشريف عبد الحي الحسني رحمه الله ، الذي أفرد مؤلَّفاً من مؤلَّفاته في عرض مآثر المسلمين في شبه القارة الهندية بما فيها بلاد السِّنْد والبَنْجاب ، فذكر أسماءَ المدارس الإسلامية والمستشفيات والمؤسَّسات الخيرية ، والشوارع العظيمة والحدائق العامة ، وما سعوا إليه من أساليب التنظيم المَدني والإدارة الحازمة العادلة ، غير أنه

لم يركِّز اهتمامه على بلاد السند والبنجاب ، بل مسح شبه القارة كلَّها مسحاً علمياً وتاريخياً ، في كتاب « الهند في العهد الإسلامي » ، الذي يعتبر موسوعةً فيما يتصل ببلاد الهند جغرافياً وتاريخياً وحضارياً ، وقد ترجم إلى الإنكليزية والأردية .

أمَّا أخونا الفاضل الباحث سعادة الدكتور عبد الله مبشِّر الطَّرازي الحسيني في كتابه القيِّم « موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب » فقد قام بدراسةٍ شاملةٍ لهذه المنطقة بالذات في شبه القارة الهندية ، وما كانت عليها في صدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي في عهد العرب ، وهو في بحثه أمينٌ ، وفي دراسته موفَّقٌ ، فقد اطَّلع على أكثر المصادر والمراجع لإكمال هذا التحقيق ، واستعرض ما كتبه المستشرقون والمسلمون ، وغيرهم من المواطنين الهنود ، قارَنَ بما لديه من الأخبار الصحيحة تلك الآراء التي تبنَّاها أعداء الإسلام والمسلمين لتضليل الناس ، وإخفاء معالم الإسلام وخدمات المسلمين نحو الإنسانية جمعاء .

وإذا كان للبَيْرُوني فضلٌ في تعريف بلاد الهند من ناحية العقيدة والتقاليد ، وصاحب « نزهة الخواطر » في ذكر تراجم علماء الهند ؛ فقد قيَّض اللهُ صاحبَنا الدكتور عبد الله ـ مؤلِّف هذا البحث الشامل ـ للإبانة عمَّا كان مطموراً في ثنايا الأسفار ، وثنايا التاريخ في أمجاد المسلمين العرب في صدر الإسلام والعصرين : الأموي ، والعباسي ، وخدماتهم التي أدَّوها للإسلام والإنسانية في بلاد السند والبنجاب وهي بلاد باكستان الحالية .

ويسعدني أن أنوِّه بالمؤلِّف الفاضل الذي تربطني به صلة الصداقة والتقدير ، وأُبدي إعجابي بجهده العلمي الرائع ، وإخراج بحثه على مستوىً عالٍ من التحقيق ، وقد كنت كثير التردُّدِ إلى والده المجاهد العظيم سماحة الشيخ مبشِّر الطرازي الحسيني رحمه الله في القاهرة سنة ١٩٥١م ، وكان يعطف عليّ عطفَ الكبير على الصغير والغريب على الغريب .

وقد بحث المؤلِّف أيضاً الجوانب الاجتماعية التي كانت عليها بلاد السند وعدم استقرار السلام فيها قبل دخول العرب المسلمين ، والفصلان الأول والثاني من الباب السابع لهذا الكتاب يصوِّران تصويراً دقيقاً للظروف والملابسات الاجتماعية والخُلُقية

والعقائدية التي كانت تلك المنطقةُ ترزح تحت وطأتها ، وما آلت إليه من نظامٍ وعدلٍ وسلامٍ بعد دخول الإسلام فيها .

وإنِّي لمعجبٌ بتنسيق البحث تنسيقاً علمياً ، فقد بدأ المؤلِّف بحثَه بتاريخ تلك المنطقة وجغرافيتها وصلاتها بجيرانها ، وأوضاعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وتحدَّث عن فتح تلك البلاد ، وانتشار الإسلام ، والعلوم الإسلامية فيها ، ثم أتى بإشادةِ مآثر المسلمين ، ومن نَبَغ منهم من الشعراء ، والأدباء ، والمؤلفين ، كما أفرد فصولاً في ذكر أسماء الولاة العرب الذي تتابعوا على الحكم من قبل الخلفاء الأمويين ، والعباسيين مع حفظ تاريخهم ، ومُدّة حكمهم ، والإصلاحات التي تناولوها في عصورهم .

جزى اللهُ المؤلِّفَ الباحث عن العلم والعلماء خيراً ، فإنه أغنى المكتبة الإسلامية بمؤلَّف يستحقّ كل تقدير وإعجاب .

لكهنؤ ـ الهند ١٥/ ١١/ ١٤٠٢هـ

الموافق ٤ / ٩ / ١٩٨٢م

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مقدماتُه

للكتب الدعويّة والفكريّة والإصلاحيّة

١ ـ فضائل الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة ، للعلامة المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

٢ ـ أسباب سعادة المسلمين وشقائهم في ضوء الكتاب والسنة ، تأليف : العلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

٣ ـ مذكِّرات الدعوة والداعية ، للإمام الشهيد حسن البَنا .

٤ ـ الإسلام الممتحن ويليه كتابان (تناقضٌ تحارُ فيه العيون ، وتطابقٌ يُسرُّ به المؤمنون) و (المنهج الإسلامي السليم) ، بقلم : الأستاذ محمد الحسني .

٥ ـ تناقضٌ تحارُ فيه العيون ، و « تطابق » يُسرُّ به المؤمنون ـ مقالات وأبحاث ـ ، بقلم : الأستاذ محمد الحسني النَّدوي .

٦ ـ المنهج الإسلامي السليم ، بقلم : الأستاذ محمد الحسني الندوي .

٧ ـ قيمة الأمة الإسلامية منجزاتها وواقعها المعاصر ، تأليف : محمد الرابع الحسني الندوي

فضائل
الدعوة إلى الله
في ضوء الكتاب والسنة

للعلامة المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي
(١٣١٥ ـ ١٤٠٣ هـ)

دار وحي القلم
دمشق

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو الشيخ المحدِّث الكبير العلامة محمد زكريا بن الشيخ محمد يحيى الكَانْدَهْلَوي ، وُلد عام ١٣١٥هـ في أسرةٍ عريقةٍ في العلم والدِّين .

ونشأ في تصوُّنٍ تامٍّ وتربيةٍ دقيقةٍ حكيمةٍ وأدْرَكَ الشيخ الإمام الربَّاني العلامة رشيد أحمد الكَنْكُوْهي ، وسَعِدَ بحنانِه وعطفه الأبوي ، لما بينه وبين والده من اختصاصٍ ، وكان والده أشدّ اعتناء بالتربية منه بالتعليم .

حَفِظَ القرآن الكريمَ في هذه السنة السابعة ، وأخَذَ مبادىء اللُّغة العربية والفارسية من عمِّه الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوي ، ثم انْتَقَل مع والده إلى « سَهارَنْفُوْر » سنة ١٣٢٨هـ ، للالتحاق بمدرسة « مَظَاهر العلوم » وأَقْبَلَ على العلم إقبالاً عظيماً بالقلب والقالب ، واشتَغَلَ به بهمَّةٍ عاليةٍ وقلبٍ متفرغ .

بَدَا درسَ الحديث الشريف على والده الشيخ محمَّد يحيى الكاندهلوي ، وقرأ الصحاح على والده (غير سُنن ابن ماجه) الَّذي كان يُلقي دروس الحديث في هذه المدرسة ، خلال دراسته للحديث في مدرسة مظاهر العلوم اتّصل بالعالم الجليل والمربِّي الكبير الشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري ، ثم قرأ عليه « صحيح البخاري » و « جامع الترمذي » سنة ١٣٣٤هـ ، وحفل وطاب بما تلقَّاه منه في الحديث .

عُيِّن الشيخُ مدرِّساً في « جامعة مظاهر العلوم » سنة ١٣٣٥هـ ، وهو مِن أصْغَر الأساتذة سِناً ، وأسند إليه تدريسُ أمَّات كتبٍ للحديث لا تُسند عادةً إلى أمثاله في العمر وفي أول التدريس .

توفي بالمدينة المنورة في آخر شهر رجب عام ١٤٠٢هـ . ودُفِنَ بجوار شيخه المحدِّث الكبير خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري في حظيرة أهل البيت الكرام .

من أشهر مؤلَّفاته :

١ ـ أوجز المسالك شرح موطأ الإمام مالك .

٢ ـ لامع الدُّرَاري على جامع البخاري .

٣ ـ الأبواب والتراجم .

٤ ـ الكواكب الدُّرِّي على جامع الترمذي .

٥ ـ حِجَّة الوداع وعمرات النبي ﷺ[1] .

---

(١) انظر ترجمته الكاملة في « أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري » للسيد عبد الماجد الغوري ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

تقديم الكتاب

بقلم : العلامة السيِّد أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسلام على سيِّد المُرْسَلين محمَّدٍ ، وآله وصَحْبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ ، إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإنَّ عِماد حياة الأمَّة الإسلامية ، والقطب الذي يدور حوله نشاطُها وحياتها ، وجدُّها وكفاحها ، هو الدعوة إلى الله وتبليغ أحكامه ورسالاته ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومكان هذا العمل بين أعمال هذه الأمَّة وأخلاقها وسِماتها ـ وهي كثيرةٌ ومهمَّةٌ ـ هو المكان الرئيسيُّ والأساسيُّ ، فهي الغاية التي خُلِقت لأجلِها ، وبُعثت لمصلحتها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقد فَتحت هذه الآية الكريمةُ نافذةً عظيمةً مُنيرة كانت مسدودةً في معرفة طبائع الأمم ، والاطِّلاع على مزية هذه الأمة من بين شعوب العالم ، وأثارت علماً دفيناً ، وكنزاً مطموراً ، وأحدثت انقلاباً في النظرة إلى هذه الأمة ، ومركزها ، وقيمتها ، وهو أن ظهور هذه الأمة على مِنصَّة العالم ، ومسرح التاريخ والأمم لم يكن مجرد ظهور مجموعةٍ بشريةٍ ، أو كتلةٍ إنسانيَّة ، ولم تكن موجةً من موجات البشرية الكثيرة ، ولا مع فقاقيع الماء التي تظهر وتختفي ، وتتكوَّن وتندحر ، إنه ليس خروجاً كخروج سائر الأمم ، إنما هو إخراجٌ تُسيطر عليه الحكمةُ الإلهيةُ ، وتمُدُّه إرادةُ الله القاهرة ، إنما هو تغيير لم يستخدم إلا في قضايا الأنبياء المكرمين ، وعباد الله المرسلين ، وإن كان يفسَّر بشيءٍ فإنه يفسِّر بلفظ الإرسال ، والبعثة .

وقد جاء الحديثُ الصحيحُ يفسِّره ، فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال مخاطباً لأصحابه : « إنما بعثتم مُبشرين ، ولَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِيْنَ »[1] ، ولم يكن أحدٌ أعرف من رسول الله ﷺ بخطر هذا التعبير وقيمته ، واختصاصه بالأنبياء والمرسلين ، وقد ورد في القرآن في شأن الأنبياء في مواضع كثيرةٍ يصعب استقصاؤُها ، ولم يكن رسولُ الله ﷺ يتكلَّم جُزافاً ، ويرسل الكلام على عواهِنه ، إنما كان يزن الكلام وزناً ، وقد كان كلامه فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير ، ولا إطراء ، ولا مبالغة ، فدلَّ كلُّ ذلك على أن هذه الأمَّة هي مقصودةٌ مهيَّأةٌ ، مأمورةٌ منبعثةٌ ، وقد طاب لذلك وساغ لأحد رُسُل المسلمين الذي اختاره الصحابيُّ الجليلُ سعدُ بن أبي وقَّاص ليكون ترجماناً للإسلام والمسلمين أن يقول في مجلس ملك الفُرس : « الله ابتعثنا لنُخرج من شاء مِن عبادة الناس إلى عبادة الله وحده ، ومن ضِيق الدُّنيا إلى سَعة الدنيا والآخرة . ومِن جَوْر الأديان إلى عدلِ الإسلام »[2] .

وذلك كلُّه ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى قلَّدَ هذه الأمَّةَ نيابةَ نبيِّها الخاتم في تبليغ آخر الأديان ، وخاتمة الرِّسالات ، وهكذا ربَطَ مصير الإنسانية بها ، وإلى ذلك يُشير قولُ النبيِّ ﷺ في إحدى خُطبه التي خطبها في حجَّة الوداع : « إنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي ، ولَا أُمَّةَ بَعْدَكُمْ »[3] ، ولذلك ساغ له أن يقول في ساحة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب قول النبي ﷺ : « يسِّروا ولا تعسِّروا » برقم (٦١٢٨) ، وأبو داود في كتاب الطهارة ، باب الأرض يصيبها البولُ ، برقم (٣٨٠) ، والترمذي في أبواب الطهارة ، باب ما جاء في البول يصيب الأرضَ ، برقم (١٤٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند (٢/ ٢٣٩) ، برقم (٧٢٥٤) ، وأبو يعلى في المسند (١٠/ ٢٧٨) ، برقم (٥٨٧٥) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

(٢) راجع « البداية والنهاية » لابن كثير (٧/ ٤) . وهو من كلام رِبْعي بن عامر رضي الله عنه لرُستم ملك الفرس آنذاك .

(٣) أخرجه ابن حبان في الصحيح (١٥/ ١٩٥) ، برقم (٦٧٨٨) من حديث قيس ابن فاطمة ، وأحمد في المسند (٥/ ٢٧٨) ، والطبراني في الكبير (٨/ ١١٥) ، برقم (٧٥٣٥) ، و (٨/ ١٣٦) ، برقم (٧٦١٧) ، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦٣) : رواه الطبراني ورجال أحد الطريقين ثقات ، وفي بعضهم ضعفٌ .

بدر : « اللهُمَّ إنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ لَنْ تُعْبَدَ »[1] .

فبقاءُ الإنسانية ببقاء هذه الأمَّة ، وبقاء هذه الأمَّة ببقاء هذه الصفة الدعوية والمركز الإبلاغي ، وبمحافظتها على فريضتها الأساسية ، ونشاطها في مجال الدَّعوة إلى الله ، وتبليغ رسالاته التي حملتها عن نبيِّها ، فإذا فقدت هذه الصِّفةَ ، أو أصبحت مغمورةً مطمورةً ؛ ضاعت هذه الأمَّة ، أو تحللت ، وذابت في خضم الأمم ولجَّة الغايات ، والفلسفات ، ومناهج الحياة ، وأشرفت الدنيا كلُّها على خطرٍ ، وتعرَّضت الإنسانية للتلف ، وأصبحت المدنية كلُّها جسماً بلا روح ، ولفظاً بلا معنى .

وقد استقامت هذه الأمَّةُ ، وسارت سَيْرَها الطبيعيَّ ، واستقامت الأمور ، وسلمت البشرية ما دامت هذه الأمَّةُ محافظةً على غايتها ورسالاتها ، قويةً نشيطةً في أمر الدعوة إلى الله ، والحسبة على الناس ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان إخلالها بهذا الواجب وتقويضها لهذا الركن الركين ثورةً على طبيعتها ، وانحرافاً عن جادتها ، وجنايةً على البشرية جمعاء ، تبعتها أمراضٌ ، وعِللٌ ، واختلالاتٌ ، واضطراباتٌ يشاهدها الإنسانُ ، ويذوق سمومَها في كلِّ مجالٍ من مجالات الحياة ، وفي كلِّ مجتمعٍ من المجتمعات البشرية ، ولا سبيلَ إلى إعادة الأمور إلى نصابها ودخول البيوت من أبوابها إلَّا بعودة هذه الأمَّة إلى أداء واجبها ، وإلى سيرتها الأولى في أمر الدعوة إلى الله ، وتبليغ رسالات الله ، والقيام بالقسط ، والشهادة لله ، والحسبة على الأخلاق والأعمال ، والتعاون على البرِّ والتقوى والتواصي بالحقِّ والصبر .

وقد قيَّضَ الله لهذه الأمةِ في كلِّ دورٍ من أدوار حياتها ، وفي كلِّ رقعةٍ من رُقاع العالم الإسلامي رجالًا يدعون إلى إحياء هذه الدَّعوة ، والتمسُّك بهذه الفريضة ،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، برقم (١٧٦٣) ، والترمذي في أبواب تفسير القرآن ، من تفسير سورة الأنفال ، برقم (٣٠٨١) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٧٥) ، برقم (٢٩٥٨٣) ، و (٧/ ٢٥٧) ، برقم (٣٦٦٨٤) ، وأحمد في المسند (١/ ٢٢ ـ ٣٠) من حديث عبد الله بن عباس بن الخطاب رضي الله عنهما .

وعودة هذه الأمة إلى نشاطها السابق ، وكِفاحها الأول ؛ تذكُرُ بفضلهم هذه الأمَّةُ درسَها المنسيَّ ، وتعود إلى عملها المهجور ، وتدُبُّ فيها حياةٌ جديدةٌ ، ونشاطٌ جديدٌ .

وكان من هؤلاء الرجال الأفذاذ والمصلحين النوابغ ؛ الدَّاعي إلى الله : مولاها محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكَانْدَهْلَويُّ[1] (ت ١٣٦٣هـ) الذي تُنْسَبُ إليه (التبليغ) ، التي طارَ صِيتُها في الشرق والغرب ، وذرع أتباعُها الأرضَ في قارات آسية ، وأفريقية ، وأوروبة ، وأمريكة ، ووصلوا الشرق بالغرب ، والشمال بالجنوب ، وقد جدد الله به أمرَ الدعوة إلى الله ، فحببت إلى النفوس ، وهانت عليها الرحلات في سبيلها ، وركوب البحار ، والتحليق في الأجواء ، وتجشُّم المصاعب وكثرتها ، والإنفاق في مصلحتها ، وكان للدَّعوة نَفاق ، ورواجٌ ، وذيوعٌ ، وشيوعٌ لم يُشاهَد من عهدٍ بعيدٍ .

ولما كانت هذه الدعوةُ تقوم على الإيمان والاحتساب في طمع في الأجر والثواب ، والحرص على اتباع الأنبياء والمرسلين ، وتقليد الصحابة والتابعين وأتباعهم ، واتِّباع أتباعهم بإحسانٍ ويقينٍ ؛ اشتدَّت الحاجةُ إلى كتابٍ يجمع بين ما ورد في فضل الدعوة إلى الله في القرآن والحديث ، ووُعِد عليه من جزيل الثواب وعظيم الأجر ، وما نقل عن الصَّحابة والتابعين ، والسَّلف الصَّالحين ، والعلماء الربَّانيين ، والرِّجال الموفقين من تنافسٍ وتسابقٍ ، وعلوِّ همَّةٍ ، وقوَّة نفسٍ ، وبُعْد نظرٍ في إقامة هذا الركن ، وإحياء هذه السنَّة .

أشار الداعيةُ الكبيرُ على ابن أخيه الأبَرِّ ، ومحدِّث العصر الأكبر : مولانا الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوي أن يؤلِّف في هذا الموضوع كتاباً متوسِّطاً يميل إلى الاختصار ، يعتمد عليه ويلجأ إليه في إثارة الشعور الإيماني وإعلاء الهمَّة في سبيل الدعوة ، وتحمل مشاقها ، وتجرع مرائرها ، والتذوُّق لحلاوتها مع ما لها من شروطٍ ، وآداب ، وملاحظاتٍ ، واحتياطاتٍ ،

---

(١) قد سبقت ترجمتُه في الجزء الأول .

فألَّف هذا الكتابَ الذي نسعد بتقديمه ، وقد حظي من القبول ما لم يحظه كثيرٌ من الكتب المؤلَّفة في هذا الموضوع ، وأُعِيدَت طبعاتُه مراراً يصعب إحصاؤها ، وتناولته الأيدي ، وتلقفته الألسنُ ، وردَّده الخطباء ، وحفظه المتحفِّظون .

ولمَّا انتشرت هذه الدعوةُ في الأقطار العربية ، وأصبحت في غدوٍّ ورواحٍ ، وذهابٍ وإيابٍ ، شعر مَعْنِيُّون بأمر هذه الدعوة بالحاجة إلى نقل هذه الكتب التي تسمَّى « كُتب الفضائل » إلى اللغة العربية ، وقد كانت الكتب العربية من تفسيرٍ ، وحديثٍ ، وسيرةٍ ، وتاريخ مادةَ هذه الكتب ، ومصدرها ، ولكنها اختيارُ مختارٍ ، وجمعُ جامعٍ ، وشرحُ شارحٍ ، والجامع أحدُ المؤلِّفين كما يعرفه المشتغلون بالتأليف .

وقد وفَّقَ الله عدداً من فضلاء ندوة العلماء وأبنائها وأساتذتها لهذا العمل النافع ، فنقل الأستاذُ سعيد الأعظمي النَّدْويُّ « أسباب سعادة المسلمين وشقائهم »[1] ، والأستاذ واضح رشيد الندوي « فضائل القرآن » ، والأستاذ محمد الحسني « مكانة الصَّلاة في الإسلام وأهميتها في حياة المسلم » .

وها هو رابعُهم الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ، أحد كبار أساتذة الأدب العربي في ندوة العلماء ، ومُنشيء صحيفة « الرائد » يقدِّم إلى القرَّاء ترجمة كتاب (فضائل تبليغ) باسم « فضائل الدعوة إلى الخير ، والتبليغ لدين الله »[2] في العربية ، وهو كاتبٌ مجيدٌ ، ومترجِمٌ قديرٌ ، قد ظهر له كتابُ « بين التصوُّف والحياة » نقلاً عن أصلِه الأردوي للأستاذ الكبير الشيخ عبد الباري النَّدويِّ[3] ، نشرته دار الفتح في دمشق ، وتُلقِّي بالقبول ، وتُرجم إلى اللغة التركية ، والأمل وطيدٌ في أن ينال هذا الكتابُ حظَّه من القبول والعناية ، فذلك العهد بجميع مؤلَّفات

---

(١) صدرت طبعة جديدة ، مصححة ، ومنقحة عن دار وحي القلم في بيروت . توزيع مكتبة دار وحي القلم بدمشق .

(٢) الذي نقدّمه الآن محققاً بعنوان « فضائل الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة » .

(٣) هو العلامة الأستاذ الشيخ عبد الباري الندوي ، أحد رُوَّاد الفلسفة الحديثة في عصرنا الحاضر ، انظر ترجمته في أوّل مقدمة كتابه » .

المحدِّث الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، وتراجمها ، ونسأل الله مخلصين أن ينفع بهذا الكتاب وأن يحقِّق به غرضه المطلوب .

٢٠ ربيع الثاني ١٣٩٣ هـ

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دار عرفات

أسباب
سعادة المسلمين وشقائهم
في ضوء الكتاب والسنة

تأليف

العلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي

قرأه وخرج أحاديثه وعلَّق عليه

عبد القادر الأرناؤوط

نقله إلى العربية

الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

قدم له

سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم : سماحة الشيخ أبي الحسن النَّدوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرْسَلين ، محمَّد وآله وصَحْبه الطاهرين ، الطيِّبين ، ومن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد : فقد كَثُرَ التساؤلُ عن واقع المسلمين الحاضر وأسبابه ، وحارت العقولُ في فهمه وتعليله ، وكَثُرَ الضجيجُ والعَويلُ ، مما يدهم المسلمين من مصائب وحوادث ونكباتٍ بين حينٍ وآخر ، والشَّقاء الذي قد لَزِمَهم ولَجَّ بهم ، حتَّى أصبح بعضُ الناس يعتقدون أنَّ بين المسلمين وبين هذه الكوارث والمُلِمَّات ، وبينهم وبين الشقاء والبلاء نسباً قريباً ، ورحماً ماسَّةً ، وتَمثَّل بعضُهم ببيتٍ للشاعر الإيراني المشهور بأَنْورِي ، كأنه يُنشِد بلسان حال المسلمين : « إنَّ البلاء إذا نزل من السَّماء بدأ بالسؤال عن بيت الأنوري ومَقَرِّه لينزل عليه » .

واعتقد بعضُ الناس : أنَّ الكوارث والنكبات إنما هي خَبْطُ عشواء ، ورميةٌ في ظلام وعماء ، وتمثَّلوا ببيت زُهَيْر بن أبي سُلْمَى :

رَأيتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىءْ يُعَمَّر فَيَهْرمِ

ورأى بعضُ الناس في ذلك تناقُضاً مع ما استفاض وتواتَرَ ونطق به القرآنُ ، ووردت به السُّنَّةُ من إيثار الله لهذه الأمَّة على الأمم ، واختيارها لحمل كتابه ، وإعزاز دينه ، والانتساب إلى نبيه ، ـ فهي الأُمَّةُ الأخيرةُ ، وهي الأمةُ المرحومةُ ، وهي الأمةُ المختارةُ ـ وما وَعَد الله لها بالنصر ، والعِزَّة ، والغلبة على الأعداء ،

وظهور الدين على الأديانَ كلِّها . هذا ؛ وقد أصبح المسلمون ـ خصوصاً في هذا العصر ـ دريئةَ المصائب ، وغرَضَ السِّهام ، وهدف الآلام ، وأَضْيَع من الأيتام في مأدبة اللِّئام »[1] .

وما نشأ هذا التساؤلُ المستمرُّ ، وهذه الحيرةُ المدهشةُ إلا عن جهلٍ لقانون المجازاة الدقيق الحكيم ، الذي اشتمل عليه القرآنُ وزخرت به دواوينُ السُّنَّةِ وكتبُ الحديث ، والغفلةُ عن الصلة الخفية المتينة الدائمة بين الأسباب والمُسبِّبات ، والنتائج والمقدمات ، وبين الأعمال والأخلاق والآثار ، والنتائج في حياة الأفراد وفي حياة الأمم ، وذلك عِلمٌ نطقت به الكتبُ السماويةُ ، واختص به الكتابُ الأخيرُ ؛ الذي أكرم الله به محمَّداً ﷺ وأمَّتَه ، حتى أصبح علماً مُدَوَّناً واضحَ المعالم بين الملامح ، ليس فيه التباسٌ ولا غُموضٌ ، حتى استحق بذلك أن يُسمَّى الطِّبَّ القرآنيَّ ، أو الطِّبَّ النبويَّ ، يوازي طِبَّ الأجسام التي توارثته الأجيال ، وتناقلته الأممُ ، وتعامل به الأطباءُ والحكماءُ ، فلكلِّ عقيدةٍ تأثيرٌ ، ولكل عملٍ نتيجةٌ ، ولكل خُلُقٍ ردُّ فعل ، عَلمَهُ من عَلِمَ وَجهلَهُ من جَهِل ، سعِدَتْ بعلمه أقوامٌ ، وشقيت بجهله أقوامٌ ، ونجت بالأخذ به أممٌ في سالف الدَّهر ، وهلكت بتركه ، والثورةِ عليه أممٌ حكى القرآنُ قِصَّتَها في وضوحٍ وتفصيلٍ .

وهذه الخواصُّ والتأثيراتُ التي أودعها الله العقائدَ والأعمالَ والأخلاقَ دائمةٌ بدوامها ، خالدةٌ بخلودها ، كدوام الخواص والتأثيرات في الأدوية والأغذية ، والحشائش والعقاقير ، والنباتات والمعادن ، بل أشَدُّ وأقوى ؛ إذ هي شريعةُ الله وسُنَّته في وقتٍ واحدٍ : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾ [فاطر : ٤٣] .

فمَن عرفَ هذا القانون الإلهيَّ الخالدَ ، ومن اطَّلع على ما وَرَد في الأحاديث الصحيحة من خواصِّ الأعمال والأخلاق ، وما يكافىء الله به على صالحاتها وطيِّباتها من جزاءٍ وجائزةٍ ، ورحمةٍ وبركةٍ ، وسلامةٍ وعافيةٍ ، وما يُعاقِب الله به على

(١) كلمةٌ مقتبسةٌ من خطبة طارق بن زيادَ في الأندلس .

الأعمال والأخلاق الفاسدة ، من عقوباتٍ متجانسةٍ وغير متجانسةٍ ، وما خَصَّ بعضَ أنواع المعاصي والذنوب والآثام ، ببعض العقوبات والبلايا والأمراض ، وما بين هذه الأعمال والأخلاق وبين هذه العقُوبات والآفات من مناسباتٍ دقيقةٍ ؛ خضع لهذه الإرادة الإلهية القاهرة ، والحكمة الربَّانية الباهرة ، ووقف أمامها خاشعاً ، ولم يأخذه العَجَبُ فيما يشاهده في أُمَّته وفي عصره ، وآمن بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [يونس : ٤٤] .

وبقوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] .

وأيقن : أنَّ ما يشاهده قليلٌ من كثيرٍ ، وأنَّ الرحمة الإلهية ، واللُّطف الربَّاني لا يزال مع هذه الأمَّة ، وأنَّ ذلك ثمرةُ دعوات النَّبي ﷺ ، التي دعا بها لهذه الأمة ألا يعمّها الله بعذابٍ ، ولا يستأصل شأفتَها ؛ لأنها تحمل الأمانةَ الأخيرةَ ، والرسالةَ الأخيرةَ ؛ ولأنها أَمَلَ الإنسانيةِ الأخيرِ .

إنَّ هذا السؤال الذي كان ؛ ولا يزال يُساوِر النفوسَ الكثيرةَ من المسلمين ، ويجول في خواطرهم ، وقد تفيض به ألسنةُ الخطباء ، وأقلام الكُتاب يستحق أن يستمع إليه ، ويتلقَّى في رفقٍ وحكمةٍ ، وفي وعيٍ وفقهٍ ، ولكن في شجاعةٍ وصرامةٍ ، وكان في حاجةٍ إلى تحليلٍ علميٍّ ، واستعراضٍ أمينٍ لنصوص الكتاب والسُّنَّة ، حتَّى يكون الجوابُ مُقنِعاً شافياً لكلِّ من يؤمن بالكتاب والسُّنَّة ، ويخضع لأحكامهما ، ولا يقدر على ذلك إلَّا من اتَّسع نظره في دواوين السُّنَّة ، وطال اشتغاله بها دراسةً وتدريساً ، وشرحاً وإيضاحاً ، وتأمُّلاً وتعمُّقاً ، وتضلَّع من علوم الكِتاب والسُّنَّة ، وتذوقها تذوُّقاً ، فأصبحت له علماً ونظراً ، وعملاً وعقيدةً .

وقد قَيَّضَ اللهُ لشيخنا المُحَدِّث الكبير العلاَّمة محمَّد زكريا الكَانْدَهْلَوِي ، صاحب « أوجز المسالك » و « لامع الدَّرَاري » من يوجِّه هذا السؤالُ ، ويطلب منه الجوابُ العلميَّ الشافيَ ، في ضِمن أسئلةٍ وَجهها إليه ، تدور حول واقع المسلمين واختلافهم في سياسة البلاد ، وتنازُعِهم في بعض الشخصيات ، فبدأ يكتب في هذا الموضوع ، ويجيب عن هذه الأسئلة واحداً بعد واحدٍ ، حتى أصبح ما كتبه كتاباً مفرداً سمَّاه « الاعتدال في مراتب الرجال » نشره ؛ لما اشتمل من فوائدَ كثيرةٍ ، ولما

جاء فيه من مادةٍ غزيرةٍ تَهُمُّ المسلمين جميعاً ، وقد نال هذا الكتابُ قبولاً عظيماً كسائر كتبه ، وأعيد طبعه مراراً في عددٍ ضخم ، ونال حَظْوَةً كبيرةً عند رائدي الحقِّ والصوابِ ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ ﴾ [الزمر : ١٨] .

وإنَّ من أَهَمِّ فصول هذا الكتاب ما يدور حول هذا السؤال والجواب عنه ، وهو التفكيرُ الذي قد أصبح الشُّغْلَ الشاغلَ في الأوساط الدينية والشعبية ، ولعلَّ ما جاء في هذا الكتاب في هذا الموضوع هو أَوْسَعُ بحثٍ ، وقد جاء فيه من الاستشهاد بالآيات ، والأحاديث ما لم نجده في مقالٍ آخر : ﴿ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا ﴾ [يوسف : ٨١] .

وجزى الله زميلنا العزيز الأستاذ سعيد الأعظمي النَّدوي[١] (أستاذ دار العلوم لندوة العلماء ، ومنشىء مجلَّة « البعث الإسلامي ») إذ نَقَله هو إلى العربية بقلمه البليغ السَّيَّال ، فأحسن إلى المسلمين جميعاً ، وأضاف إلى المكتبة الإسلامية كتاباً له قيمته الدينية التربوية ، ينتفع به المسلمون عامةً ، وتنتفع به حلقاتُ التعليم ، وجماعاتُ التبليغ بصفةٍ خاصَّةٍ .

تقبَّل الله تعالى سَعْيَ المؤلِّفِ ، وجزاه أحسن الجزاء .

أبو الحسن علي الحسني الندوي
ندوة العلماء لكهنؤ ـ الهند ـ

---

(١) انظر ترجمته في أول مقدِّمة كتابه « شعراء الرسول . . » .

مذكّرات
الدعوة والداعية

للإمام الشهيد الشيخ حسن البَنَّا

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو الرجلُ القرآني ، والمعلِّم الرَّباني ، الذي جسَّد بدعوته شمول الإسلام ، وتوازنه ، وربانيته وواقعيته ، فربط الفكر بالحركة ، ومزج العلم بالعمل ، وجمع بين التربية والجهاد ، كما جمع بين نقاء العقيدة السلفية ، وروحانية الصوفية السنِّية . ودعا إلى الإسلام عقيدة ونظاماً ، ديناً ودولة ، عبادة وقيادة ، مصحفاً وسيفاً . وحارب الفساد والظلم في الداخل ، والاستعمار والصهيونية في الخارج ، وربى على الإسلام جيلاً جعل الله غايته والرسول أسوته ، والقرآن شرعته ، والجهاد وسيلته ، والموت في سبيل الله أسمى أمانيه . إنه مؤسِّس كبرى الحركات الإسلامية الحديثة في العالم : الإمام الشهيد حسن البنا ، واضعُ أُسُس العمل الإسلامي الجماعي ، الذي انتشرت رسائله وتلاميذه ، وتلاميذ تلاميذه في العالم كله انتشار أنوار الفجر . وشاء الله أن تكون المحن المتتابعة التي صُبَّت على إخوانه وتلاميذ مدرسته سبباً في هجرتهم بدعوتهم ، وتفرقهم في أقطار الشرق والغرب ، فتنتشر بهم الدعوة والصحوة في كل مكان » .

وُلد حسن البنا في سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) في المحمودية (قُرْبَ الإسكندرية) ، في أسرة مؤمنة ذات جو إسلامي خالص ، فأبوه عالم فاضل له كُتُبٌ متعددة في التفسير ، والحديث ، وكان يعملُ بيده ليكسب ؛ إذ كان يصلح الساعات ، وقد تعلم نجلُه منه علمه ، وعمله معاً ، فدرس على يده كُتب الدين والتاريخ ، وألمَّ بصنْعته العملية ليُساعدهُ في رزقه ، والتحق بالمدرسة الأولية ، فمدرسة المعلمين ، ثم انتقل به والده إلى القاهرة ، ليلتحق بدار العلوم ، وفي القاهرة عرف بُعدَ الناس عن تعاليم الإسلام ، فصمَّم على أن يكون ذا رسالةٍ دينية ، تردُّ الشاردين إلى جنَّة الإسلام ، وحين عُيِّن مدرساً بالإسماعيلية بدأ بإنشاء جمعية الإخوان ، في حقبة قال عنها الأستاذ المرشد .

« كانت مصر يوم نبتت هذه الدعوة المحدَّدة لا تملك من أمر نفسها قليلاً ، أو كثيراً ، يحكمها الغاصبون ، ويشيد بأمرها المستعمرون ، ولم يخلُ الجوُّ من منازعات حربيّة ، وحزازاتٍ سياسية ، فلم يشأ الإخوان أن يزجوا بأنفسهم في هذا الميدان فيزيدُوا الخلاف ، فانصرفُوا إلى ميدان مثمر هو ميدان تربية الأمة ، وتنبيه الشعب ، وتغيير العُرف العام ، وإذاعة مبادىء الحق والجهاد والعمل والفضيلة بين الناس ، وأعتقد أنهم نجحوا إلى مدى يُحمدون عليه » .

وقد انجذب الناس إلى دعوة الإخوان لصراحتها ، واستقائها من نبع القرآن في وضوحٍ

لا يحتمل الشك ، وكان الأستاذ يتخذ من السهولة الميسرة في الخطاب ما يجذب السامع المسلم إلى دعوته ، لأنه ليس بعيداً عنها ، وهي من صميم قرآنه ، فهو يوجز مثلاً مبادىء الجمعية في قوله : « نحن نعتقدُ : أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملةٌ ، تنظم شؤون الناس في الدنيا والآخرة ، وأنّ الذين يظنون : أن هذه التعاليم إنما تتناول العبادات مخطئون ، فالإسلامُ عقيدةٌ وعبادة ، ووطن وجنسيّة ، ودينٌ ودولة ، وروحانية وعمل ، ومصحفٌ وسيف ، والقرآن الكريم ينطق بذلك كله » .

ثم يأتي بالحق الصريح في دعوته إلى الحكم الإسلامي دون مواربة فيقول : « الإسلامُ الذي يؤمن به الإخوان المسلمون ، يجعلُ الحكومة ركناً من أركانه ، ويعتمدُ على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد ، وقد قال الخليفة الثالث : (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) وقد جعل النبي ﷺ الحكم عُروةً من عُري الإسلام ، والحكمُ معدودٌ في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول ، لا من الفروع ، فالإسلام حكمٌ وتنفيذ ، كما هو تشريع وتعليم ، كما هُو قانونٌ وقضاء ، لا ينفكُّ واحد منها عن الآخر ، والمصلحُ الإسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يُقرّر الأحكام ، ويرتّل التعاليم ، وترك أهلَ التنفيذ يشرّعون للأمة ما لم يأذن به الله ، ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفه أمره ، فسيكونُ صوتُ هذا المصلح صرخةً في واد ، ونفخة في رماد » .

وفي هذه السطور القليلة تحدّدت رسالة الإخوان بما يجعلُها واضحةً للعيان ، كما أنها جاهرت بأن الحكم الإسلاميّ وفق الكتاب والسنة أمرٌ محتوم لا خفاء به ولا التواء ، أما طريقة الوصول إلى هذا المأرب فقد وضحها المرشد العام في خطبه ورسائله ومقالاته ، فعرفها الموافق والمخالف ، وأصبحت ذات محجّةٍ بيضاء .

وطبيعيٌ أن تتعرض الدعوة لحربٍ ضروس من الإنكليز ، والأحزاب ، وأن يُواصل الإمام مسعاهُ ، حتى يكون صاحب القوة العملية في محاربة الإنكليز بالقناة ، وفي كفاح اليهود بإسرائيل ، ولو صدقت النّياتُ لكان ذلك النضال موضع التقدير والإعجاب ! ولكنّه اتُّخذ وسيلة للبطش بالجماعة ، ثم لاغتيال الإمام الشهيد عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) في القاهرة .

لم يكن الإمامُ حسن البنّا مكثراً في التأليف والكتابة ، شأن المؤلّفين الذين قد تحدَّثنا ، وسنتحدَّث عنهم ، ولكنَّه كتب وألَّف رسائلَ وكتباً في مناسباتٍ مختلفةٍ ، وفتراتٍ متقطِّعة في التوجيه والوعي . والفكر الإسلامي تُعتَبَرُ في قمّة الكتب الفكرية والدعوية والتوجيهية ، وكان ـ رحمه الله ـ كاتباً بليغاً ، سهل اللفظ ، غزير المعاني ، حسن الديباجة ، لا يتكلف فيما يكتب ، ولا يتنمّق ، ويجد القارىء في كتاباته ورسائله منابع قوته ومصادر عظمته ، وأسباب نجاحه ، واستحواذه على النفوس ، وهي : سلامة الفطرة ، وصفاء النفس ، وإشراق الروح ، والغيرة على الدين ، والتحرّق للإسلام ، والتوجّع من استشراء الفساد ، والاتصال الوثيق بالله تعالى ،

والحرص على العبادة وشحن « بطارية القلب » بالذكر ، والدعاء ، والاستغفار ، والخلوة في الأسحار ، والاتصال المباشر بالشعب وعامة الناس في مواضع اجتماعهم ومراكز شغلهم وهواياتهم ، والتدرج ومراعاة الحكمة في الدعوة والتربية ، والنشاط الدائم والعمل الدائب .

وهذه الخلال كلها هي أركان دعوة إسلامية ربانية ، وحركة دينية تهدف إلى أن تحدث في المجتمع ثورة إصلاحية بنّاءة ، وتغير مجرى الحوادث والتاريخ ، لذلك كان أصحاب دعوة الإسلام وحملة أمانتها ؛ بل والعاملون في مختلف حقول الإصلاح بحاجة دائمة إلى هذا الكتاب (مذكرات الدعوة والداعية) وإعادة التأمل العميق فيه الفَينة بعد الفينة .

إنَّ كلّ من يقرأ كتاباته ورسائله ؛ وهو سليمُ الصدر ، مجرّد الفكرة ، بعيدٌ عن العصبية والمكابرة يقتنع بأنه رجل موهوب مهيَّأٌ ليس من سوانح الرجال ، ولا صنيعة بيئة أو مدرسة ، ولا صنيعة تاريخ أو تقليد ، ولا صنيعة اجتهاد أو محاولة وتكلّف ، ولا صنيعة تجربة وممارسة ، وإنما هو من صنائع التوفيق والحكمة الإلهية والعناية بهذا الدين وبهذه الأمة ، وبالغرس الكريم الذي يهيأ لأمر عظيم ، ولعمل عظيم في زمن تشتد إليه حاجته ، وفي بيئة تعظم فيها قيمته[1] .

(١) مراجع هذه الترجمة : « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » للعلامة الندوي ، و « النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين » للدكتور رجب البيومي ، الجزء الثاني ، و « الإسلام الممتحن » للأستاذ محمد الحسني .

مقدمة الكتاب

الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى .

يُسْعِد كاتبَ هذه السطور ، ويشرّفه أن يَكْتُبَ تصديراً أو مقدِّمةً لكتاب « مذكِّرات الدَّعوة والدَّاعية » للإمام الشهيد حسن البنَّا ، رحمه الله ، ويَعتبر ذلك من الأعمال التي يتقرَّب بها إلى الله ، ويُحْسِن بها إلى نفسه قبل أن يُحْسِن بها إلى غيره ، فهو كتابٌ ليس ككلِّ كتابٍ ، ومؤلِّفه ليس كالمؤلِّفين ، وموضوعُه ليس كالموضوعات التي يُعالِجها الكُتابُ ، ويتناولها المؤلِّفون ، والمُحترفون في كلِّ حينٍ ، وفي كلِّ مكانٍ ، ويتهيَّب رجلٌ مثلي في قِلَّةِ بضاعته في العلم والعمل ، وفي تخلُّفه في ميدان الإصلاح والكفاح ، وفي مجال التربية والإخراج ، وفي حَلْبَةِ التَّضحية ، والمِحْنَة ، أن يتقدَّم للكتابة والتعليق على هذا الكتاب ومؤلِّفه العظيم ، ولذلك تأخَّرتْ كتابةُ هذه السطور مدَّةً استطالتْ حتى بَلَغَ حرجُ النفس كل مبلغٍ ، وحتى غدوتُ أخشى وِزْرَ احتمالِ مزيدٍ من التأخير ، ومن حِرْمان الشبابِ المسلِم ، وجنودِ الدَّعوة ، ورُوَّادِ الإصلاح من خيرٍ وافرٍ غزيرٍ .

كَفَى برهاناً على خُلود الإسلام ، وعلى أنَّه دِيْنُ الله المختار الذي صُنع ليعيش إلى آخر الزَّمن ، وعلى خلود هذه الأمَّةِ ، وعلى أنَّها هي الأمَّة الأخيرة ، وعلى أنَّها مُنْجِبَةٌ مُنْتِجَةٌ ، مُوْرِقَةٌ مُزْهِرَةٌ ، وعلى أنَّها كِنانةُ الله التي لا تنفذ سِهَامُها ، ولا تخطىء مرماها .

كفى برهاناً على كلِّ ذلك وجودُ هؤلاء المُصلحين ، والمُجاهدين ، والعَباقرة ، والنَّوابغ ، والموهوبين ، والمؤيَّدين ، والمربِّين ، وقادةِ الإصلاح الموفَّقين ؛ الذين ظهروا ، ونبغوا في أحوالٍ غير مساعدةٍ ، وفي أجواءٍ غير موافقةٍ ، بل في أزمنةٍ مظلمةٍ حالكةٍ ، وفي بيئاتٍ قاتلةٍ ، وفي شعبٍ أُصيب بشَلَل الفكر ، وخَوَاءِ الرُّوح ،

وخمودِ العاطفة ، وضَعْفِ الإرادة ، وخَوَرِ العزيمة ، وسُقوط الهمَّة ، ورَخَاوَةِ الجسم ، ورِقَّةِ العيش ، وفسادِ الأخلاق ، والإخلادِ إلى الرَّاحة ، والخضوع للقُوَّةِ ، واليأسِ من الإصلاح ، وأصبح الجِيْلُ المعاصِرُ كلُّه كأنَّه طبعةٌ واحدةٌ من كتابٍ واحدٍ خَرَجَتْ من مطبعةٍ مُتقنةٍ لا تختلف نُسَخُها ، وصحائفُها ، فحسبك أن تقرأ كتاباً ، وتقيس عليه الباقيَ ، فلا تنوُّعَ ، ولا اختلافَ ، ولا طُموحَ ، ولا استشرافَ ، ولا قَلَقَ ، ولا اضطرابَ ، ولا تفرُّدَ ، ولا شذوذَ ، ولا جِدَّةَ ، ولا طَرَافةَ ، ولا شيءَ غيرُ المعتاد ، ولا شيءَ فوق المستوى ، وأصبحت الحياةُ قطاراً موحَّداً تَجُرُّه قاطِرةٌ واحدةٌ ، هي قاطرة المادةِ والمِعْدَةِ ، أو قاطرةُ الغَرَضِ والمصلحةِ ، أو قاطرةِ اللَّذَّةِ والمَنْفَعَةِ ، أو قاطرةِ القوَّةِ والغلبةِ ، ويَدُلُّ كلُّ شيءٍ : أنَّ هذه الحياةَ قِصَّةٌ واحدةٌ ، أو مسرحيةٌ قد أُحْكِم وَضْعُها ، وإخراجُها ، ويُعاد تمثيلُها على مسرح الإنسانية ، أو على مسرح التاريخ الإسلاميِّ ، ويَلْعَبُ كلُّ بطلٍ من أبطال هذه الرواية دَوْرَه الخاصَّ الذي أُسْنِدَ إليه بكلِّ مهارةٍ ولَباقةٍ ، ثم تنتهي هذه القصَّةُ في تصفيق المُعْجَبين ودموع المتألِّمين .

وبينما يُواصِل هذا الرَّكْبُ سَيْرَه ، وهذا القطارُ سَفَرَه في غاياتٍ محدودةٍ ، ومنازلَ معروفةٍ ، وأصواتٍ مألوفةٍ ، ونغماتٍ مكرَّرةٍ ؛ إذا بشخصيةٍ تقفز من وراء الأستار ، أو من رُكَام الأنقاض ، والآثار ، وتُفاجِىء هذا الرَّكْبَ الهادىءَ الوادعَ الذي لا يَعْرِفُ غيرَ الوصول إلى غايته المرسومة المحدودة ، ولا يَهتمُّ إلا بقُوْتِ اليوم ، وزَادِ الطريق ، وأمنِ السَّبيل ، وراحةِ الأبدان تُفاجئه بالدَّعوةِ إلى الإصلاح ، والحاجة إلى استئناف النَّظر ، والتفكير في الأوضاع العامة ، ومصير الإنسانية ، ومسؤوليةِ الأمَّة التي أُخْرِجَتْ للناس ، والثورةِ على الأوضاع الفاسدة ، والأخلاقِ الرذيلةِ ، والعقائدِ الضَّالَّةِ ، والعاداتِ الجاهليَّةِ ، وعبادةِ البُطون والشَّهواتِ ، وعبوديةِ القُوَّةِ والسُّلطاتِ ، ويدعو إلى حياةٍ كريمةٍ فاضلةٍ ، وإلى مدنيَّةٍ سليمةٍ صالحةٍ ، وإلى مجتمع رشيدٍ عادلٍ ، وإلى إيمانٍ عميقٍ جديدٍ ، وإلى إسلام قويٍّ حاكمٍ ، ويرفع بكُلِّ ذلك صوتاً مَدْوِّياً عالياً ، يَضطرب به الرَّكْبُ ، وتهتزُّ به مشاعرُه ، وعواطفُه ، وقِيَمُه ، ومفاهيمُه ، ولا يستطيع أن يتغافل عنه ، أو يتجاهله ، أو يستخف به ، ويستمرُّ في سيره غير مُقبلٍ عليه ، أو مُلتفتٍ إليه ، بل

يخضع له عددٌ كبيرٌ من أعضائه ، فينشقُّون عنه ، ويلتحقون بهذا الدَّاعيةِ ، فيجعل منهم ركباً جَديداً ، يثق بنصر الله ، ويسير على بركة الله .

إنَّ لهؤلاء الثائرين والدُّعاة المصلحين قائمةٌ مشرقةٌ مشرِّفةٌ ، يتجمَّل بها تاريخُ الإصلاح والدَّعوة ، ولا يَخْلُو منهم زمانٌ ومكانٌ ، وقد كان صاحبُ هذا الكتابِ الذي أتشرَّف بتقديمه من هذه الشخصيات التي هَيَّأتْها القدرةُ الإلهيةُ ، وصنعتها التربيةُ الربَّانيةُ ، وأبْرَزَتْها في أوانها ومكانها ، وأنَّ كلَّ من يقرأ هذا الكتابَ سليمَ الصدر ، مجرَّدَ الفكرة ، بعيداً عن العصبية والمكابرة ، يقتنع بأنه رجلٌ موهوبٌ مهيَّأٌ ، وليس مِن سوانح الرِّجال ، ولا صنيعةِ بيئةٍ ومدرسةٍ ، ولا صنيعةِ تاريخٍ ، أو تقليدٍ ، ولا صنيعةِ اجتهادٍ ، ومحاولةٍ ، وتكلُّفٍ ، ولا صنيعةِ تجربةٍ وممارسةٍ ، إنما هو من صنائعِ التوفيق والحكمة الإلهية ، والعنايةِ بهذا الدِّين ، وبهذه الأمَّةِ ، والغرسِ الكريمِ الذي يُهَيَّأُ لأمرٍ عظيمٍ ، ولعملٍ عظيمٍ في زمنٍ تشتدُّ إليه حاجتُه ، وفي بيئةٍ تَعْظُمُ فيها قيمتُه .

إنَّ الذي عَرَف الشرقَ العربيَّ الإسلاميَّ في فجر القرن العشرين ، وعرف (مصرَ) بصفةٍ خاصَّةٍ ، وعَرَف ما أُصيب به هذا الجزءُ الحسَّاسُ الرئيسيُّ من جسم العالم الإسلاميِّ من ضَعْفٍ في العقيدة والعاطفة ، والأخلاقِ والاجتماعِ ، والإرادةِ والعَزْمِ ، والقلب والجسم .

وعَرَف الرَّواسبَ التي تركها حكمُ المماليك ، وحكمُ الأتراك ، وحكمُ الأسرة الخُدَيْوِيةِ ، وما زاد إليها الحكمُ الأجنبيُّ الإنكليزيُّ ، وما جلبته المدنيَّةُ الإفرنجيةُ المادِّيةُ ، والتعليمُ العصريُّ اللاَّ دينيُّ ، والسياسةُ الحزبيةُ النفعيةُ ، وما زاد هذا الطِّيْنَ بِلَّةً من ضَعْفِ العلماء ، وخُضوعِهم للمادَّة والسُّلْطَة ، وتنازُلِ أكثرهم عن منصب الإمامة ، والتوجيه ، وانسحابِهم عن ميدان الدَّعوة ، والإرشاد ، والكفاح والجهاد ، واستسلامهم « للأمر الواقع » ، وخفوتِ صوت الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر ، زِدْ إلى ذلك كلِّه نشاطَ دعاةِ الفساد والهَدَم ، والخَلاَعةِ والمُجُونِ ، والإلحادِ والزَّنْدقَةِ ، وتزعُّم الصُّحُفِ والمجلاَّتِ الواسعةِ الانتشارِ ، القويةِ التأثير للدَّعوات المُفْسِدةِ ، والحركاتِ الهَدَّامةِ ، والاستخفافِ بالدِّين ، وقيَمِه ، والأخلاق

وأُسُسِها ، وما آلَ إليه الأمرُ ، ووصلت إليه الأقطارُ العربيةُ بصفةٍ عامَّةٍ ، والقُطُرُ المصريِّ بصفةٍ خاصَّةٍ من التبذُّلِ ، والإسفافِ ، والضَّعْفِ والانحطاطِ ، والثورةِ والفوضى ، والانهيار الخُلُقِيِّ والرُّوحِيِّ في الثُّلُثِ الأَوَّلِ من هذا القرن الميلادي .

ورأى كلَّ ذلك مُجَسَّماً مُصَوَّراً في أعداد « الأهرام » و « المقطّم » و « الهلال » و « المصوَّر » وفي كتبٍ كان يُصْدِرها أدباءُ مصر ، وكتَّابُها المفضَّلون المُحَبَّبون عند الشباب .

ورأى ذلك مجسَّماً مصوَّراً في أعياد مصر ، ومهرجاناتها ، وحفلاتها ، وسهراتها ، واستمع إلى الشباب الجامعيِّ في نواديهم ، ومجالسهم .

وزار الإسكندريةَ وشواطئها ، ومصائفها ، ورافق فِرَقَ الكشَّافةِ والرياضةِ والمباراة .

ودخل دُورَ السينما ، ورأى الأفلامَ الأجنبيةَ والمحلية ، واطَّلع على الرِّوايات التي تُصْدِرها المكتبةُ العربيةُ في مصر بين حينٍ وآخر ، ويتهافت عليها الشبابُ بنهامةٍ وجَشَعٍ .

وعاش متَّصلاً بالحياة والشعب وتتبَّعِ الحوادث ، ولم يَعِشْ في بُرْجٍ عاجيٍّ ، وفي عالم الأحلام والأوهام .

وعَرَفَ رزيةَ الإسلام والمسلمين ، ونكبةَ الدَّعوة الإسلامية في الجزء الذي كان يجب أن يكون زعيماً للعالمِ العربيِّ كلِّه ، وزعيماً للعالم الإسلاميِّ عن طريقه ، وقد بقي قرناً كنانةَ الإسلام ، ومصدرَ العلم والعرفان ، وأسعف العالمَ العربيَّ ، وأنجده ، بل أنقذه في فتراتٍ دقيقةٍ عصيبةٍ في التاريخِ الإسلاميِّ ، ولا يزال يحتضن (الأزهرَ الشريفَ) أكبرَ مركزٍ ثقافيٍّ إسلاميٍّ وأقدمه .

إنَّ كلَّ من عرف ذلك عن كثبٍ لا عن كُتُبٍ ، وعاش متَّصلاً به ؛ عرف فَضْلَ هذه الشخصيةِ التي قفزت إلى الوجود ، وفاجأت (مصرَ) ، ثم العالمَ العربيَّ الإسلاميَّ كلَّه بدعوتها ، وتربيتِها ، وجهادِها ، وقُوَّتِها الفذَّةِ التي جمع الله فيها مواهبَ وطاقاتٍ قد تبدو متناقضةً في عين كثيرٍ من علماء النفس والأخلاق ، ومن المؤرِّخين

والناقدين : هي العقلُ الهائلُ النيِّرُ ، والفهمُ المشرقُ الواسعُ ، والعاطفةُ القويَّةُ الجيَّاشةُ ، والقلبُ المباركُ الفيَّاضُ ، والرُّوحُ المشبوبةُ النَّضِرَةُ ، واللِّسانُ الذَّرِبُ البليغُ ، والزُّهْدُ والقناعةُ ـ دون عنتٍ ـ في الحياةِ الفردية ، والحِرْصُ وبُعْدُ الهمَّة ـ في سبيل نشر الدَّعوة والمبدأ ، والنفسُ الوَلوعةُ الطَّموحُ ، والهمةُ السامقةُ الوثَّابةُ ، والنظرُ النافذُ البعيدُ ، والإباءُ والغيرةُ على الدَّعوة ، والتواضُعُ في كلِّ ما يَخُصُّ النفسَ . . . تواضُعاً يكاد يجمع على الشهادة عارفوه ، حتى لكأنَّه ـ كما حدَّثنا كثيرٌ منهم ـ مثل رفيف الضياء : لا ثقلَ ، ولا ظلَّ ، ولا غشاوةَ .

وقد تعاونت هذه الصفاتُ والمواهبُ في تكوين قيادةٍ دينيةٍ اجتماعيةٍ ، لم يعرف العالمُ العربيُّ وما وراءه قيادةً دينيةً سياسيةً أقوى ، وأعمقَ تأثيراً ، وأكثر إنتاجاً منها منذ قرونٍ ، وفي تكوين حركةٍ إسلاميةٍ يندر أن تجد ـ في دنيا العرب خاصَّةً ـ حركةً أوسع نطاقاً ، وأعظم نشاطاً ، وأكبر نفوذاً ، وأعظم تغَلْغُلاً في أحشاء المجتمع ، وأكثر استحواذاً على النفوس منها .

وقد تجلَّت عبقريةُ الدَّاعي مع كثرة جوانب هذه العبقرية ومجالاتها في ناحيتين خاصَّتين ، لا يُشارِكه فيهما إلا القليل[1] النادرُ من الدُّعاة والمربِّين ، والزعماء والمُصلِحين .

أولاهما شَغْفُه بدعوته ، وإيمانُه ، واقتناعِه بها ، وتفانيه فيها ، وانقطاعه إليها بجميع مواهبه ، وطاقاته ، ووسائله ، وذلك هو الشرطُ الأساسيُّ ، والسِّمةُ الرئيسيةُ للدُّعاة ، والقادةِ الذين يُجري الله على يديهم الخيرَ الكثيرَ .

والناحيةُ الثانيةُ تأثيرُه العميق في نفوس أصحابه ، وتلاميذه ، ونجاحُه المُدهِش في التربية والإنتاج ، فقد كان منشىءَ جيلٍ ، ومربِّيَ شعبٍ ، وصاحبَ مدرسةٍ علميَّةٍ فكريَّةٍ خلقيَّةٍ ، وقد أثَّر في ميول من اتصل به من المتعلِّمين والعاملين ، وفي

---

(١) وكان من هذا القليل النادر الشيخُ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوِي (منشىء « دعوة التبليغ » وحركتها في الهند) ، ونجلُه وخليفته الشيخ محمد يوسف المتوفى ١٩٦٥ م ، رضي الله عنهما وأرضاهما ، فقد كانا مثالَين فذَّين في هاتين الناحيتين كلتيهما (الندوي) .

أذواقهم ، وفي مناهج تفكيرهم ، وأساليب بيانهم ، ولغتهم ، وخطابتهم ؛ تأثيراً بقي على مرِّ السنين والأحداث ، ولا يزال شعاراً وسِمَةً يعرفون بها على اختلاف المكان والزمان .

لقد فاتني أن أَسْعَدَ بلقائه في مصر ، وفي غير مصر ، فقد كان العام الأول الذي كتب الله لي فيه الحجَّ والزيارة ، وخرجتُ من الهند لأول مرةٍ وهو عام ١٩٤٧م هو العام الذي تغيَّب فيه الشهيدُ عن الحجاز ، ولم يُغادِر مصرَ ، وقد كان يحضر الموسمَ في غالب الأعوام ، ويحرص على نشر دعوته ، والحديث إلى وفود بيت الله الحرام ، وعلى السعي المجهد الحثيث في توثيق الصِّلات ، والعهود مع الوافدين من أنحاء عالم الإسلام كلِّه .

بَيْدَ أني قابلتُ بعض تلاميذه ودعاته ، فلمستُ فيهم آثارَ القائد العظيم ، والمربِّي الجليل ، فلمَّا قُدِّر لي أن أزور مصرَ سنة ١٩٥١م كانت رحمة الله قد استأثرتْ به ، ولمْ يجاوز عمرُه بعد الثانية والأربعين إثر حادثٍ استشهاده الذي أدمى نفوسَ ملايين المسلمين ، وحَرَم العالمَ الإسلاميَّ هذه الشخصيةَ التاريخيةَ الفريدةَ ، ولا أزال أتحسَّرُ على هذه الخسارة التي كُتبت لي ، ولكنِّي اتصلتُ بتلاميذه اتصالاً وثيقاً ، وعشتُ فيهم كعُضوٍ من أعضاء أسرةٍ واحدةٍ ، وزرتُ والدَه العظيم رحمه الله ، واستقيتُ منه معلوماتٍ ،وأخباراً سجَّلتُها في مذكِّراتي[1] ، وقابلتُ زملاءه وأبناءه ، واجتمع لنفسي من كلِّ هذه الآثار والأخبار ملامحُ الصورة العظيمة لصاحب هذه الدَّعوة ، ومؤسِّسِ هذه المدرسة ، أنا واثقٌ بأنَّها صورةٌ صادقةٌ مطابقةٌ .

وفي تلك الرحلة وقع إليَّ هذا الكتاب « مذكِّرات الدعوة والداعية » فألفيتُه كتاباً أساسيَّاً ، ومفتاحاً رئيسياً ، لفَهْمِ دعوته ، وشخصيتِه ، وفيه يجد القارىء منابعَ قُوَّتِه ، ومصادرَ عَظَمتِه ، وأسبابَ نجاحِه ، واستحواذِه على النفوس : وهي سلامةُ الفطرة ، وصفاءُ النفس ، وإشراقُ الرُّوح ، والغيرةُ على الدين ، والتحرُّقُ للإسلام ، والتوجُّعُ من استشراء الفساد ، والاتصالُ الوثيقُ بالله تعالى ، والحرصُ على العبادة

---

(١) أي « مذكرات سائح في الشرق العربي » والتي قد صدرت عن دار ابن كثير بدمشق .

وشحن « بطارية القلب » بالذِّكر ، والدُّعاء ، والاستغفار ، والخَلْوَةُ في الأسحار ، والاتصالُ المباشرُ بالشعب ، وعامة الناس في مواضع اجتماعهم ، ومراكز شغلهم ، وهواياتهم ، والتدرُّج ، ومراعاةُ الحكمة في الدَّعوة والتربية ، والنشاطُ الدَّائمُ ، والعملُ الدائبُ .

وهذه الخِلَالُ كلُّها هي أركان دعوةٍ إسلاميةٍ ربَّانيةٍ ، وحركةٍ دينيَّةٍ تهدف إلى أن تُحْدِثَ في المجتمع ثورةً إصلاحيةً بَناءةً ، وتغيِّر مجرى الحوادث والتاريخ ، لذلك كان أصحابُ دعوة الإسلام ، وحَمَلَةِ أمانتها ، بل والعاملون في مختلف حقول الإصلاح بحاجةٍ دائمةٍ إلى دراسة هذا الكتاب ، وإعادةِ التأمُّلِ العميق فيه الفَيْنَة بعد الفَيْنَة ، فلا عَجَبَ أن ينعقد العزمُ على تجديد طبعه ، ونشرِه في الناس ، بل العجبُ أن تخلو منه مكتبةٌ من مكتبات المسلمين .

أمَّا بعد : فقد كانت محاولةُ القضاء على آثار هذه الدَّعوةِ التي أعادت إلى الجِيْلِ الجديدِ في العالم العربي الثقةَ بصلاحية الإسلام، وخلودِ رسالته، وأنشأت في نفوسه وقلوبه إيماناً جديداً، وقاومت «مُرَكَّبَ النَّقْصِ» في نفوسهم، والهزيمة الداخلية التي لا هزيمةَ أشْنَعُ منها، وأكبر خطراً، والميوعة وضَعْف النفوس والانسياق تحت رِبْقَة الشَّهوات والطُّغيان، وخلقت ـ كما يقول شاعرُ الإسلام الدكتور محمد إقبال : « في جسم الحَمَام الرَّخو الرقيق قلب الصقور والأسود » حتى استطاع هذا الجيلُ أن يصنع عجائبَ في الشجاعة ، والبسالة ، والاستقامة ، والثبات .

لقد كانت محاولةُ القضاء على آثار هذه الحركةِ ، وطمسِ معالمها ، وتعذيبِ جنودها ، وتشريدِ رجالها جريمةً لا يغتفرها التاريخُ الإسلاميُّ ، ومأساةً لا ينساها العالمُ الإسلاميُّ ، وإساءةً إلى العالِم العربيِّ لا تعدلها إساءةٌ ، ولا تكفِّر عنها أيُّ خدمةٍ للبلاد ، وأيُّ اعتبارٍ من الاعتباراتِ السياسيةِ ، إنَّها جريمةٌ لا يُوجَد لها نظيرٌ إلا في تاريخ التَّتار الوحوش ، وفي تاريخ الاضطهاد الدينيِّ ومحاكم التفتيش في العالم المسيحيِّ القديم ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله !

أبو الحسن علي الحسني الندوي

الإسلام الممتحن

ويليه كتابان

(تناقضٌ تحارُ فيه العيون ، وتطابق يُسرُّ به المؤمنون)

و (المنهج الإسلامي السليم)

بقلم

الأستاذ محمد الحسني

ترتيب وتقديم

العلامة الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي

دار ابن كثير

دمشق ـ بيروت

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو الكاتبُ المؤمن حقاً ، والمجاهد العظيم قولاً وفعلاً ، والمحرِّر البليغ الفَذُّ ، والمفكِّر الرشيد صاحب الرأي السديد ، والمؤلِّف الإسلامي العبقري ، صاحب الأسلوب المحرِّك للمشاعر ، والمُنبِّه لضمائر المؤمنين ، والحافز لعزائم المُخلِصِين : الأستاذ محمد الحسني ، الذي كان عَلماً من أعلام الصحافة الإسلامية لمدَّةٍ تزيد على عشرين عاماً ، ومجاهداً حُرّاً في ميدان الكلمة الشريفة والإعلام الإسلامي ، ومدافعاً شريفاً عن حقوق إخوته المسلمين في كلِّ مكانٍ ، ومناضلاً بارزاً من أجل وحدة المسلمين ، وضم صفوفهم ، ودعوتهم للوقوف ضد كل الأخطار المحيطة بهم ، والمُتَمثِّلة في قُوى الفكر ، والإلحاد ، والصليبية الاستعمارية ، والصهيونية العالمية .

وُلِدَ الأستاذ محمد الحسني بن عبد العلي الحسني سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) في مدينة لَكْهَنَؤ ، في بيتٍ يؤمن بأنَّ الإسلام هو رسالة الله الأخيرة الخالدة . . . وبأنَّ الإسلام وحدةٌ لا تتجزَّأ ، ومنهجٌ كاملٌ للحياة عقيدةٌ ، وأخلاقاً ، وسياسةً ، وعلماً ، وعقلاً ، وعاطفةً ، وحضارةً ، وثقافةً .

بدأ الأستاذ دراستَه في البيت فقرأ القرآنَ الكريم ، واللغة الأردية قراءةً وكتابةً ، والفارسيةَ نثراً وشعراً ، وبدأ دراستَه للعربية عند والده[1] ، ألف له عمُّه ـ الداعية الحكيم المفكر الكبير العلاَّمة أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ـ سلسلةَ « قصص النبيِّين للأطفال » ، كان له شغفٌ زائدٌ بمطالعة كلِّ ما يقع إليه من كتبٍ في اللغتين : العربية والأردية ، وعكف على مطالعة الأدب الإخواني الصادر من مصر ، وما كان كتبه ويكتبه عمُّه ـ الشيخ أبو الحسن الندوي ـ فكان يقرأ كل ذلك بنهامة ، ويتشرَّبه ، ويعيه وهو لم يتجاوز العقد الأول من عمره . بَدأ يكتب بالعربية في الثالثة عشرة من عمره ، ولم يعرف ذلك أحدٌ من أهل البيت ، وعرض مقالاً له بالعربية على عمِّه للتصحيح ، والإصلاح مرَّةً فكان ذلك مفاجأةً له ، واكتشافاً لقدرته على الكتابة ، وإنشاء المقالات في هذه السنِّ المبكرة .

---

(١) هو العالم الكبير الطبيب الحاذق الدكتور عبد العلي الحسني (المتوفى سنة ١٣٨٠هـ) .

كانت تنشر له مجلَّةُ « المسلمون » الشهيرة مقالاتٍ وهو لم يبلغ بعد سنَّ العشرين ، يتصوَّرُ كثيرٌ من قرائها أنَّ صاحبها من الكتَّاب الذين تقدَّمَت سِنُّهم ، ونضج فكرُهم .

أصدر مجلَّةَ « البعث الإسلامي » في سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) وله من العمر عشرين سنة ، والتي كانت ذلك النبراسَ المضيء ، والصوت المجلجل في الحقّ ، والمَعين الصافي ، الذي غذَّى الفكرَ العربي الإسلامي في أوقات نضبت فيه جلّ مصادر التوجيه للشباب المسلم في البلدان العربية والإسلامية كلِّها ، في الفترة من منتصف الستينيات الميلادية ، ولا تزال حتى الآن طافحةً بكل مفيدٍ ، ونقلت نتائجَ الفكر الهندي الإسلامي إلى أبناء العروبة والإسلام في كل مكانٍ .

تُوفِّي في ١٧ رجب سنة ١٣٩٩هـ في لكهنؤ ، عن سنٍّ لا تزيد على ٤٤ سنة ، رحم الله الفقيد ، وأسكنه فسيح جنانه .

لقد عاش الأستاذُ محمد الحسني ـ رحمه الله ـ في ظلال تاريخ الدعوة الإسلامية وملحمة بطولاتها ومعجزاتها ، يحبُّ اللغة العربية وأهلها ، ويحبُّ الإسلام والمسلمين ، ويهتمُّ بشؤون العالم الإسلامي بوعيٍ ، ونضجٍ ، وصدقٍ ، حتى أثرى الفكر الإسلامي بالعديد من المؤلَّفات يعبِّر فيها عن شعورٍ فيَّاضٍ ، ويُدافِع عن الفكرة التي آمَنَ بها ، واحتضنها ، وأحبَّها ، ويذكِّر المسلمين برسالة الإسلام الأصيلة الخالدة ، وفضلها ، وقيمتها ، وحاجة الإنسانية إليها .

تدعو مؤلَّفات وكتابات الأستاذ محمد الحسني إلى التأمل العميق ، وتغذي الفكرة ، وتفتح آفاقاً جديدة للفكر الإسلامي ، وتزوِّد العاملين في مجال الدعوة والفكرة الإسلامية ببعض معلوماتٍ جديدة ، ووثائق وحقائق عن الحضارات الغربية والفلسفات المادية ، ومدى إفلاس الغرب وحيرته وسآمته وخوائه الروحي ، وما يعانيه من أزمات ، وعقد ، ومشكلات ، فإنَّ الكاتب يعيش في بلد قد اكتوى بنار الغرب ، وخاض المعركة الفكرية الحضارية السياسية التي قامت وحميت في شبه القارة الهندية ، ثم خرج منها الشعب المسلم محتفظاً بجزء كبير من شخصيته ، معتزاً بحضارته وقيمه ، خبيراً بمواضع الضعف في الغرب ومساويه ، وقصة فشله وإخفاقه في حل القضايا المعاصرة ، فأكسبه كل ذلك ثقة بدعوته ، وقوة في كتاباته ، وقيمة لما يقول ، ويدعو إليه .

في ضوء قصة البيئة والتربية والأحداث والتجارب ، والميول والعواطف والأهداف والمُثُل ، وصدق النية وحسن القصد ، ينبغي أن تُقرأ هذه المقالات التي كُتبت في أوقاتٍ شتى تحت عناوين مختلفة تجمع بينها وحدة هي وحدة (منهج الفكر الإسلامي السليم) والدعوة إلى الحق وإلى الصراط المستقيم .

كتبه ومؤلفاته :

١ ـ الإسلام الممتحن .

٢ ـ المنهج الإسلامي السليم .

٣ ـ تناقضٌ تحار فيه العيون ، وتطابق يُسَرُّ به المؤمنون .

٤ ـ إلى القيادة العالمية .

٥ ـ مصر تتنفَّس[١] .

---

(١) من « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ص : ٣٤٢ .

تقديم الكتاب

بقلم : العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسولِ الله .

أمَّا بعد : فقد بقيتُ فترةً من الزمن أَتهيَّبُ تقديمَ هذه المجموعةِ من مقالات ابن أخي محمَّد الحسني ، التي أسماها : « الإسلام الممتحن » وما كان تقديمُ الكتبِ والمؤلَّفاتِ لمشاهير الكتَّاب والمغمورين منهم بِدْعاً من الأمر بالنسبة إليَّ ، حتى خِفْتُ أن يطغى التقديمُ على التأليف ، وأُتَّهَمُ بالتوسُّع والسَّخاء في تقديم الكتب وتصديرها . وما ذلك إلا لأنَّ الصلة بيني وبين صاحبَ هذا الكتابِ صلةُ الأب بالابن ، والأستاذُ بالتلميذ ، وكنتُ أشعر ـ وأنا أُحدِّث نفسي بكتابة هذا التقديم ـ بأنِّي أقدِّم لكتابٍ من كتبي ، وأتورَّط بذلك أحياناً في الاعتراف لنفسي بالإجادة والتوفيق ، والتهنئة والتقريظ ، وذلك ممَّا لم تستحسنه الشرائعُ ، وعلمُ الأخلاقِ ، والآدابُ السليمةُ ، وتحاشيتُ عنه بقدر الإمكان .

ثم حاسبتُ نفسي على هذا الشعور محاسبةً أمينةً محايدةً ، وحَلَّلْتُه تحليلاً نفسياً ، فوجدتُ : أنَّ نصيبَ العاطفةِ فيه أكبرُ من نصيبِ العقل ، وأنَّ الخوفَ من قالة الناس وحديثهم قد غَذَّى هذا الشعورَ ، وأفاضَ عليه لوناً خُلُقِيّاً ، ورأيتُ أنَّني إذا استسلمتُ لهذا الشعورِ ؛ فقد فَرَّطْتُ في تأدية أمانةٍ ، والقيام بشهادةٍ ، والشهادةُ للأقربين ليست أقلَّ وجوباً من الشهادة على الأقربين ، فإنَّ الله تعالى حين يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء : ١٣٥] فإنه يقول كذلك : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] .

ثمَّ إنَّ قِصَّةَ البيئة التي نشأ فيها الكاتبُ ، والعواملَ التي كَوَّنَتْ هذه العقلية التي صدرتْ عنها هذه الفكرةُ ، والدوافعُ التي دفعته إلى كتابة هذه المقالات ، والتركيبِ النفسيِّ ، والمزيج الثقافيِّ الحضاريِّ الذي وَرِثَه عن آبائه ، وتلقَّاه من مجتمعه ، والأحداثُ الجسيمةُ الأليمةُ التي وقعت في الوطن الإسلاميِّ الكبيرِ ، فعاصَرَها ، وعاشَها ، واكتوى بنارِها ، وساهَم في عارِها ، لا يُحْسِنُ حكايتَها إلا من شَهِدَ فصولَها ، وخاضَ معركتَها ، وسايَرَ رَكْبها ، وقد كان في بعض الأحيان شاهدَ عيانٍ ، والسابقَ إلى الميدان .

إنَّ صاحبَ هذه المجموعةِ نشأ في بيئةٍ آمنتْ بأنَّ الإسلام هو رسالةُ الله الأخيرة الخالدةِ ، وأنَّه هو الحقُّ الذي ليس بعده إلا الضَّلالُ ، والسعادةُ التي ليس وراءها إلا الشَّقاوةُ ، وأنَّه للإنسانية كسفينة نوحٍ ، لا ينجو إلا من رَكِبَها ، وأوى إليها ، وأنَّ نهاية كلِّ من استغنى عنها ، واعتصم بجبلٍ ؛ نهايةُ ولده الشارد المارد الذي قال : ﴿ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ [هود : ٤٣] . وكان جواب نوح : ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [هود : ٤٣] وكان عاقبتُه أنْ حال بينهما الموجُ فكان من المُغرقين .

وآمنَتْ بأنَّ محمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي العربي ﷺ خاتَمَ الرُّسُل ، وإمامَ الكلِّ ، ومُنِيْرَ السُّبُلِ لكل عصرٍ ، ولكل جيلٍ ، وأنَّ الله قد رَبَط مصيرَ العرب بمصير الإسلام ، وعَقَد ناصيتَهم به ، فلا عِزَّ لهم ، ولا سعادةَ ، ولا نهوضَ لهم ، ولا قيادةَ إلا بالانضواء إلى رايته والانصهار في بَوْتَقَةِ تعاليمه ، والتفاني في سبيله ، وإنَّ أعدى عَدُوٍّ لهم من ينادي بالجاهلية ، ويَهْتِفُ بالقومية ، والعنصرية ، أو الوطنية ، والاشتراكية ، أو فلسفةٍ من الفلسفات المُلْحِدَة ، فيحاولُ أن يحول بينهم وبين الإسلام .

وآمَنَتْ بأنَّ الإسلام وحدةٌ لا تتجزَّأ ، ومنهجٌ للحياة كاملٌ شاملٌ ، وأنَّه عقيدةٌ وأخلاقٌ ، وسياسةٌ وعِلْمٌ ، وعقلٌ وعاطفةٌ ، وحضارةٌ وثقافةٌ ، وله موازينُه الخاصَّةُ ، وقيَمُه المُعَيَّنَةُ ، ومقاديرُه المحدودةُ ، ومقاييسُه المعروفةُ ، ولا يحتاج إلى تلفيقٍ أو تطعيمٍ ، أو مساومةٍ ، أو تنازُلٍ .

إنَّه قد عاشَ في ظلال تاريخ الدَّعوة الإسلامية ، وقِصَّةِ بطولاتها ، ومعجزاتها ، وصنائعها ، وعجائبها . تُتلى في بيته وأسرتِه المَلاحِم الإسلامية التي نَظَمها بعضُ أفراد أسرته المتقدِّمين في الشعر الأرديِّ القويِّ المُثيرِ مقتبسةً من « فتوح الشام » للواقديِّ ، والأغاني الشعريةُ الخاصةُ بالسِّيرة النبوية ، وأخبارُ الصَّحابة ، وفَضْلُ الحضارةِ الإسلاميةِ ، ودَوْرُ العربِ في بناء العالم الجديد . وإنقاذِ الإنسانية من أعدائها . فامتزج كلُّه بلَحْمِه ودَمِه ، وتكوَّنت به عقليّتُه ، ونفسيتُه . وأحبَّ الرسولَ وأصحابَه والعربَ حُبّاً لا يمكن تجريدُه منه في مرحلةٍ من مراحل الثقافة ، وفي فترةٍ من فترات الحياة ، وفي بيئةٍ من البيئات . وأصبح هذا الحُبُّ ، وهذه العاطفةُ ، تُلْهِبُ شعورَه ، وتُدفِّق قريحته ، وتُجري قلمَه ، وأصبحت له مصدرَ الإلهامِ ، ومَنْبَعَ الإيمانِ والحنانِ .

إنَّه وُلِدَ في أسرةٍ كان شعارُها منذ زمنٍ طويلٍ الجَمْعَ بين العقيدةِ السلفيةِ النقيَّةِ ، وبين الربَّانيةِ الصحيحةِ الصافيةِ ، وبين الزهادة والعبادةِ ، وبين بَذْلِ الجهد لإعلان كلمة الله ورفع راية الجهاد حيناً بعد حينٍ ، والسَّعْيِ الحثيثِ في الجمع بين إشراق القلب ، وصفاءِ الرُّوح ، وقُوَّةِ العاطفة ، وبين التفنُّنِ في العلوم ، والذَّوقِ الأصيلِ للأدب والشعر . وأَوْرَث كلُّ ذلك من تراثٍ وتاريخٍ ودمٍ وعرقٍ تقديره لإكسير الحبِّ وقُوةِ العاطفة ، وسَلِمَ بذلك من الجفاف الرُّوحيِّ والاستخفاف بالعاطفة ، والحاجةِ إلى تزكية النفس ، والشحنةِ الإيمانيةِ الرُّوحيةِ . . . الاستخفاف الذي أصبح شعارُ الكُتَّابِ والدعاةِ في عصره ، الذين نشؤوا بعيدين عن هذه البيئة الجامعة والتربية المُزْدَوجَة .

إنه نشأ ، وتَرَعْرَعَ في عصرٍ تغنَّى بشعر إقبال ، وكانت له فيه دولةٌ وصَوْلَةٌ ، وهو شِعْرُ الحُبِّ والطُّموح ، وشعرُ الإيمانِ والحنانِ ، وشعرُ الثقةِ بصلاحية الإسلام ، والإيمانِ بخلوده ، فأساغه عقلُه المتفتِّح ، وذوقُه الناشىء ، وجعله جزءاً من أجزاء ثقافته ، وأساساً من أُسُس تفكيره .

إنَّه نشأ في حِجْرِ والدٍ مُؤمنٍ ، جَمَع بين سلامة العقيدة ، وقُوَّةِ الإيمان ، والقلبِ المتفتِّحِ ، والعقل النيِّر الواسعِ ، والعلمِ الحديثِ الأحدثِ ، وحُبِّ الواقعيةِ والجِدِّ ،

لا يرى تناقُضاً بين العلم والدين ، والقديم والحديث ، وقد اقتبس من الثقافَتين : القديمة والحديثة ، والغربية والشرقية أفضل عناصرهما ، وأجملها ، فَمَزَج بينهما مَزْجاً جميلاً ، فأصبح بَرْزَخاً بين بَحْرَيْن لا يبغيان ، شديدُ الحُبِّ لله ، ولرسوله ، ولعشيرته وقومِه ، وللغته وبلاده ، شديدُ البغض شديدُ البراءة مِنْ كلِّ ما يخالف الدينَ الحنيفَ من عقائدَ ، وأعمالٍ ، وفلسفاتٍ ، واتجاهاتٍ . عميقُ الفهم للإسلام ، ووثيقُ الصلة بمنابعه الأصيلة الصافية ، شديدُ الغيرة على الإسلام ، عظيمُ الحُبِّ لمركزه ومقدَّساته ، متقشِّفاً في الحياة الفردية ، متوسِّعاً في فهم القضايا العلمية والإسلامية ، شديداً في الحدود والنصوص ، مَرِناً في المباحات والاستفادة بالحكمة والتجارب .

ذلكم أخي وأستاذي ومربِّي عقلي وثقافتي ، ذلكم والد هذا الكاتب العزيز : الدكتور عبد العلي بن العلامة عبد الحيِّ الحسنيِّ .

نشأ هذا الشابُّ تحت ظلال هذه التربيةِ ، وفي حِجْرِ هذه البيئةِ ، ثم لمَّا عَقَلَ ، وثَقُفَ ، وعاصَرَ الأحداثَ ؛ فَتَح عَيْنَيْه على مجتمع إسلاميٍّ حائرٍ بين الإسلام والجاهلية ، والدينِ والعلمانية ، قادةُ الفكر فيه مُذَبْذبون ، وأولياء الأمور فيه مُضْطَرِبُون ، وأكثرهم مُنافِقون ، يتخذون الدينَ حيلةً ووسيلةً للوصول إلى أغراضهم ، والهُتَافَ بالإسلام سِلْماً للوصول إلى كراسي الحكم ، وقَنْطَرةً للعبور إلى شاطىء السيادة والقيادة ، والرُّكوب على أعناق الشعوب المسلمة الساذجة التي لا تفهم إلَّا لغةَ القرآن ، والحبِّ ، والحنان ، ولا تتحرَّك ولا تتحمَّس إلا بحكايات الصحابة ، وأبطال الإسلام ، وفضائل الجهاد والشهادة .

إنه أَحَبَّ اللغةَ العربيةَ من صِباه ـ وحُبُّ الصِّبا شديدٌ ـ وأَحَبَّ أبناءَها وكلَّ ما يَمُتُّ إليها بصلةٍ ، وكان يتمثَّل العربَ في قَصَصِ الرَّعيل الأول للإسلام ، وطليعةِ الدعاة والمجاهدين ؛ الذين سمع حكاياتِ بطولاتهم وفدائهم في قصائد المَلْحَمَةِ الإسلاميةِ . فآمَنَ بأنهم لا يزالون سائرين على دَرْبِهم ، لا يَعدِلون بمحمَّدٍ ﷺ إنساناً ، وقائداً ، وإماماً ، ولا يَعْدِلون بالإسلام دِيْناً ، ومنهجاً ، وبالقومية الإسلامية قوميةً . فلمَّا صار يعي ، ويشدو ، ويقرأ ، ويكتب ؛ فَتَح عينيه على

كتاباتٍ للعرب ، لو كُتِبَتْ تحتها أسماءُ الكُتَّابِ الأوروبيين ، والمؤلِّفين المستشرقين ، والدعاة المنحرفين لم يكن بعيداً ، ولما كان بين هذه الكتابات وبين شهرة هؤلاء الكُتَّابِ ودعوتهم فجوةٌ ومنافاةٌ ؛ رأى : أنَّ كثيراً من هؤلاء الكُتَّابِ العربِ ينظرون إلى الإسلام كدينٍ أدَّى دَوْرَه ، وبَطَّاريةٍ قد نفدت شِحْنَتُها ، فليس من العقل والكِيَاسة التشبُّثُ به ، والدَّعوةُ إليه ، ومواجهةُ الواقع والعصر الراقي بحُلوله وأحكامه . وخيرُهم من ينظر إلى الإسلام كدينٍ من الأديان الكثيرة ومنهجٍ للحياة من مناهجها المتنوِّعة ، وخيرُ أحواله أن يسمح له بالبقاء في دائرةٍ ضيقةٍ محدودةٍ ، وفي حياةٍ فرديةٍ سليمةٍ .

وكان كلُّ ذلك مفاجأةً أليمةً ، لم يكن يتوقَّعْها ، بل لم يكن يتصوَّرْها في بيئته التي صَوَّرَتْ له الإسلامَ كدينٍ حيٍّ خالدٍ ، خليقٍ به ليقود ويسود ، والعرب كرائدٍ أوَّلٍ ، وقائدٍ أفضل لهذه الدعوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، وكانت صدمةً عنيفةً لعقله وقلبه .

ثم جاءت الفترةُ الحالكةُ التي هَبَّتْ فيها عاصفةُ القوميةُ العربيةُ الهَوْجاءُ في الخمسينيات الأولى ، وَقَع أكثرُ أبناء العرب وشبابهم وكثيرٌ من كهولهم وعلمائهم تحت تأثير قيادةٍ ترى التخلُّصَ من أثر الإسلام في النفوس والعقول والحياة الاجتماعية والسياسية أَهَمُّ ، وأقوى من محاربة الصهيونية ، واستعادة المقدَّسات الإسلامية ، وترى إزالةَ هذه الأنقاض أو الرُّكام ـ على حدِّ تعبيرها ـ شرطاً لبناء المجتمع الجديد ، وإزالة آثار العُدْوان الأجنبي ، وتَحِلُّ القومية العربيةُ والاشتراكيةُ العلميةُ مَحَلَّ العقيدةِ الإسلاميةِ ، والدَّعوة الإسلاميةِ ، لها كلُّ ما للدِّين من إيمانٍ وحَمَاسٍ ، وعصبيةٍ وحميةٍ ، وتعتمد على الهُتافاتِ والدِّعاياتِ والدعاوى الفارغة ، ما لا تعتمد على السِّلاح والقوَّة الحربية ، والرُّوح المعنويةِ ، والإيمانِ الراسخِ ، وكانت فتنةً عمياءَ ، أعْمَتْ ، وأصَمَّتْ ، وسحرت العقولَ والنفوسَ ، وقلبت الحقائقَ ، وأنكرت البديهيات ، وكانت موجةً عارمةً في الشرق العربي ، اكتسحت الصحافة ، والأدب ، ودُوْرَ العلم ، ومراكزَ النشر ، وما صمد في وجهها إلا أفرادٌ قلائلُ ، يعدُّون على رؤوس الأصابع . وكانت مجابهتها ونقدها العلميُّ مثل « كلمةُ

حقٍّ عند سلطان جائرٍ » فقد تجاوب معها الشبابُ المتحمِّسُ الطموحُ ، والصحافةُ القويةُ التي سُمِّيَتْ في الغرب بـ « صاحبة الجلالة » .

في كلِّ هذه الظروفِ والملابساتِ الدَّقيقةِ المُثيرةِ ، وفي هذه البيئةِ الحساسةِ المُكَهْرَبة ، أمسك الكاتبُ الناشىءُ صاحبُ هذه المجموعةِ الذي كان لا يزال في شَـرْخِ الشبابِ قلمَه ليخطَّ مقالاتٍ افتتاحيةٍ لمجلَّة « البعث الإسلامي » التي كان يرأس تحريرَهـا على حداثة سِنِّه ، ليعبِّـر عن شعورِه الجريحِ الفيَّاضِ ، وقلبهِ المَكْلُومِ المتألِّمِ ، ويُدافِع عن الفكرة الإسلامية ، التي آمَـنَ بها واحتضنها ، وأَحَبَّها ، ويذكِّر العربَ بصفةٍ خاصَّةٍ برسالتهم ، وبتاريخهم ، وبمركزهم في العالم ، وميزاتهم بين الأُمَمِ ، وبالدَّوْرِ الذي يستطيع الإسلامُ أن يمثِّله في هذه المعركةِ الحاميةِ ، والسَّاعةِ الدقيقةِ الحاسمةِ ، والدورِ الذي يجب أن يمثِّله العربُ على المسرح العالمي ؛ الذي أصبح مركزاً للمسرحياتِ الهازلةِ ، والتمثيلياتِ السَّخِيفةِ ، وكانت الأُمَمُ والبلادُ كُرةً دائرةً ، ودمىً متحرِّكةً فيها ، لا تملك إرادةً ، ويذكِّر المسلمين برسالة الإسلام الأصيلة الخالدة ، وفَضْلِها ، وقيمتِها ، والعناصرِ التي تركَّبت منها ، وحاجةَ الإنسانية إليها ، وينقل إليهم هَمَساتِها ، ودَقَّاتِ قلبها ، حين تراهم قد تخلَّوا عن مركزهم في القيادة ، وجرَوا وراء القيادات الزائفة ، وتطفَّلوا على مائدتها ، ويدعو إلى الإسلام الكامل الذي يعطي كل ذي حقٍّ حقَّه ، ويُنير العقولَ ، ويشعل مجامرَ القلوبِ ، ويهذِّب الأخلاقَ ، ويَنْظِم الحياةَ ، ويَضْبط الأمم ، ويقود المدنيةَ ، ويشعل المواهبَ ، ويُنشىء الرِّجالَ ، ويربِّي القادةَ والعباقرةَ ، لا هو جافٍ خشيبٍ ، ولا هو رقيقٌ مائعٌ ، ولا هو رهبانيةٌ وهجرٌ للدُّنيا ، ولا هو ماديَّةٌ ونهامةٌ للحياة ، إنما هو الدِّينُ الذي جاء به محمَّدٌ ﷺ ، ونَطَق به القرآنُ ، وتمثَّل في حياة الصحابة ، والقرونُ المشهودُ لها بالخير ، والتابعين لهم بإحسانٍ ، من الجامِعين بين العقل والقلب ، والعقيدةِ والعملِ ، والجهادِ والربَّانيـةِ .

وكان متأثِّراً في كلِّ ذلك بطبيعة الحال بالبيئة التي نشأ فيها ، ودعوةِ المجدِّدِ الكبيرِ ، والمجاهد العظيم السيِّد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، الذي كان من سَلَفِه

وعظماءِ أسرتِه في الماضي القريب[1] وبفكرة « الإخوان المسلمون » ورائدهم الإمام الشهيد حسن البنَّا الذي تَعَرَّفَ به ، وأَحَبَّه عن طريق عمِّه كاتبِ هذه السطور ، الذي كانت له صلاتٌ وثيقةٌ بأصحاب هذه الدَّعوة ، وزملاء الفقيدِ الشهيدِ ، وتلاميذِه النُّجباء ، فتجلَّى تأثيرُ كلِّ هذه العوامل القوية والدراسات العصرية ومطالعة الكتابات الإسلامية التي أنتجتها هاتان الحركتان القويتان ، في المقالات التي كَتَبها بين آونةٍ وأخرى ، وتتكوَّن بها هذه المجموعةُ .

وأَحْدَثَتْ هذه الجوانبُ المتناقضةُ ـ جانب تربيته ، ودراسته الإسلامية ، وجانب الواقع المرير ، والمشاهد القاسية ـ صِراعاً في نفسه حوَّل قلمَه إلى شلالٍ يتدفَّق بقُوَّةٍ ، وينحدر بقُوَّةٍ ، فصدرت هذه المقالاتُ في أسلوبٍ قويٍّ مُلتهبٍ ، هو نتيجةُ كلِّ صراعٍ نفسيٍّ رافقته قدرةٌ بيانيَّةٌ ، وقلمٌ سيَّالٌ رشيقٌ ، وثروةٌ لغويَّةٌ ، وهذا الأسلوبُ له قيمةٌ في إيقاظ الشعور ، وفي تحريك النفوس والعقول ، ومحاربة « مُرَكَّبِ النَّقْصِ » ، وإعادة الثقة بصلاحية الرسالة والأمَّة ، والاعتزاز بالقِيَمِ والمفاهيم ، خصوصاً إذا كان مُدْعَماً بالدلائل والوثائق ، ومُسَلَّحاً بالشواهد والتجارُب ، وهي طليعةُ كلِّ إصلاحٍ وانقلابٍ ، ورائدُ كلِّ نهضةٍ وتقدُّمٍ ، وهو الأسلوبُ الذي استعان به الخطباءُ ، والكُتَّابُ في العصرِ الإسلاميِّ الأولِ ، واستعان به السيِّدُ جمال الدين الأفغاني وصاحبُه الشيخ محمد عبده في مقالات « العُرْوَة الوُثْقى » التي أشعلت العالَم الإسلاميَّ حماساً ، وحميَّةً ، وحملت الحكوماتِ الغربيةِ الاستعماريةِ على منع دخولها في الأقطار التي كانت تحكمها ، ولعبتْ دوراً لا يُسْتَهان بقيمته في إيقاظ الشعور الإسلاميِّ ، وإيجاد الوعي السياسيِّ .

مع هذه السِّمَةِ البارزةِ لهذه المقالات فإنها تدعو إلى التأمُّل العميقِ ، وتغذِّي الفكرة ، وتفتح آفاقاً جديدةً للفكر الإسلاميِّ ، وتزوِّد العاملين في مجال الدعوة والفكرة الإسلاميةِ ببعض معلوماتٍ جديدةٍ ، ووثائقَ وحقائقَ عن الحضارة الغربية ، والفلسفاتِ المادية ، ومدى إفلاسِ الغرب ، واحتيارِه ، وسآمتِه ، وخوائه

---

(١) يراجع للتفصيل كتاب « إذا هَبَّتْ ريح الإيمان » للعلامة أبي الحسن الندوي ، طبع دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت .

الرُّوحيِّ ، وما يُعانيه من أَزْمَاتٍ ، وعُقَدٍ ، ومشكلاتٍ ، فإنَّ الكاتب يعيش في بلدٍ قد اكتوى بنار الغرب ، وخاض المعركةَ الفكريةَ الحضاريةَ السياسيةَ التي قامتْ وحَمِيَتْ في شبه القارة الهندية ، ثم خرج منها الشعبُ المسلمُ محتفظاً بجزءٍ كثيرٍ من شخصيته ، مُعْتَزّاً بحضارتِه وقيَمِهِ ، خبيراً بمواضع الضَّعْفِ في الغرب ومساويه ، وقصة فشله وإخفاقه في حلِّ القضايا المعاصرة ، فأكسبه كلُّ ذلك ثقةً بدعوته ، وقُوَّةً في كتاباته ، وقيمةً لِمَا يقول ، ويدعو إليه .

في ضوء قِصَّةِ هذه البيئةِ والتربيةِ والأحداثِ والتجارُبِ ، والميولِ والعواطفِ ، والأهدافِ والمُثُلِ ، وصِدْقِ النِّيَّةِ وحُسْنِ القَصْدِ ، ينبغي أن تُقرأ هذه المقالاتُ ، التي كُتبت في أوقاتٍ شتَّى تحت عناوينَ مختلفةٍ ، تَجْمَعُ بينها وحدةٌ هي وحدةُ « منهج الفكر الإسلامي السليم » والدَّعوة إلى الحقِّ ، وإلى الصراط المستقيم .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

تناقضٌ تحارُ فيه العيون
و « تطابق » يُسرُّ به المؤمنون
مقالات وأبحاث

بقلم
الأستاذ محمد الحسني النَّدوي

تقديم وترتيب
العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

دار ابن كثير
دمشق ـ بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

بقلم : أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الحمد لله والصَّلاة والسلام على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وصَحْبِه وسَلم .

أمَّا بعد ! فتحلَّى هذا الكُتيِّبُ بأربع مقالاتٍ أخيرةٍ دَبَّجها يَرَاعُ الكاتب الإسلامي النابغةُ محمَّد الحسني (رئيس تحرير مجلَّة « البعث الإسلامي » ومؤلِّف كتاب « الإسلام الممتحن ») الذي استأثرتْ به رحمةُ الله في الشهر الماضي (١٨ من رجب ١٣٩٩هـ ، المصادف ١٣ يوليو ١٩٧٩م) وهو في الرابعة والأربعين من سِنِّه ، وفي أَوْجِ نشاطه الدَّعوي وتدفُّقه الإنشائي ، وحماسِه الدِّيني ، وعلى قِمَّة شهرتِه ـ في أوساط الدَّعوة ، والفكرة الإسلامية ـ التي نالها من افتتاحياته القوية الملتهبة في مجلَّة « البعث الإسلامي » . وكتابه المُدَوِّي « الإسلام الممتحن » تَرْنو إليه العيونُ ، وتَصْبو إليه النفوسُ في مجال الدعوة والفكرة الإسلامية ، فكان جندياً قد سقط شهيداً في المعركة الحامية اليومَ في العالم الإسلامي ، معركةُ النِّضال بين الحقِّ والباطلِ ، والصِّراعُ بين الفكرة الإسلاميَّة والفكرة الغربية ، والكِفاح بين الإيمان والمادية ، بأوسع معانيهما .

مقالُه الأوَّلُ ظهر في العدد العاشر الممتاز من مجلَّة « البعث الإسلامي » الصادر في رجب ١٣٩٩هـ ـ يوليو ١٩٧٩م ـ بعنوان « سؤالٌ حائرُ يحتاج إلى جوابٍ » وقد صَوَّر فيه بريشته البارعة التناقُضَ العجيبَ الذي تعيشه الدُّوَلُ والمجتمعاتُ الإسلاميةُ ، وفي مقدِّمتها البلد الذي ثار على التناقض ، وعلى النِّفاق ـ بجميع ألوانه

وأنواعه ـ لأوَّلِ مرَّةٍ في التاريخ ، وقادَ العالمَ الحائرَ المضطربَ التي تتوزَّعه الغاياتُ ، وتمزِّقه التناقضاتُ ، إلى حياةٍ لا نفاقَ فيها ، ولا تناقُضَ ، وقد تدفَّقَتْ قَرِيْحَتُه في هذا المقال ، وفاضَ قلمُه بالبيانِ العَذْبِ السَّلْسَال ، فكان آيةً في دِقَّةِ التصوير ، وبراعةِ التعبير ، وقُوةِ التأثير ، وتألُّمِ القلب والضَّمير ، لا يَسَعُ القارىءَ إذا قرأ هذا المقالَ إلَّا أن يُؤمِن بصِدْقِه ، وإخلاصه ، ويتمثَّل الواقعَ المُؤلِم ـ الذي تحدَّث عنه هذا المقالُ ـ بعينيه ، ويُؤمِن بفكرته ودعوته .

وما ذلك إلَّا نتيجةَ التفاعُلِ النفسيِّ الذي نشأ ، وتَرَعْرَعَ عليه ، وهنا يطيب لي أن أَنْقُلَ ما قلتُه في تقديم كتابه « الإسلام الممتحن » بعدما ذكرتُ خصائصَ التربية المنزلية ، ومزايا البيئة الدينية المؤمنة ؛ التي تربَّى فيها :

« نشأ هذا الشابُّ تحت ظلال هذه التربية ، وفي حِجْرِ هذه البيئةِ ، ثم لمَّا عَقَل وثَقُفَ ، وعاصَرَ الأحداثَ ، فَتَح عَينَيْه على مجتمعٍ إسلاميٍّ حائرٍ بين الإسلام والجاهلية ، والدِّين والعلمانيةِ ، قادةُ الفكر فيه مُذَبْذَبُون ، وأولياء الأمور فيه مُضْطَرِبُون ، وأكثرهم مُنافِقون ، يتخذون الدِّينَ حيلةً ، ووسيلةً للوصول إلى أغراضهم ، والهُتَافَ بالإسلام سُلَّماً للوصول إلى كراسي الحكم ، وقَنْطَرةً للعبور إلى شاطىء السيادة والقيادة ، والرُّكوب على أعناق الشعوب المسلمة الساذجة ؛ التي لا تفهم إلَّا لغةَ القرآن والحبِّ والحنان ، ولا تتحرك ولا تتحمَّس إلا بحكاية الصحابة وأبطال الإسلام ، وفضائل الجهاد والشهادة .

وأحْدَثَتْ هذه الجوانبُ المتناقضةُ ـ جانب تربيته ودراسته الإسلامية ، وجانب الواقع المرير والمُشاهد القاسي ـ صراعاً في نفسه ، حوَّل قلبَه إلى شَلَّالٍ يتدفق بقوَّةٍ ، وينحدر بقوَّةٍ ، فصدرت هذه المقالاتُ في أسلوبٍ قويٍّ ملتهبٍ ، هو نتيجةُ كلِّ صراعٍ نفسيٍّ رافقته قدرةٌ بيانيةٌ ، وقلمٌ سيالٌ رشيقٌ ، وثروةٌ لُغَوِيَّةٌ ، وهذا الأسلوبُ له قيمتُه في إيقاظ الشعور ، وفي تحريك النفوس والعقول »[1] .

وهذا المقالُ هو صَدَىً لهدير هذا الشَّلَّالِ ، وفيضٌ من قلبه الرشيقِ السَّيَّالِ ،

---

(١) « الإسلام الممتحن » تقديم الكتاب ص : (١٣ و ١٦) .

وشاء اللهُ ـ لحكمةٍ يعلمها ـ ألا أَطَّلِع على هذا المقالِ في حياة صاحِبه ، مع تتبُّعي لِمَا ينشر في مجلتنا « البعث الإسلامي » ، وحِرْصي على قراءة افتتاحياته القوية البليغة ، وحَدَث حادثُ وفاتِه وأنا في السفر ، فما استرعى انتباهي إلى هذا المقال إلَّا ثناء الزميل الفاضل فضيلة الشيخ محمد منظور النُّعْمَاني رئيس تحرير مجلة « الفرقان » الذي أُعْجِبَ به كلَّ الإعجاب ، واقترح على صاحبه نَقْلَه إلى الأردية لينشره في مجلَّته ، فلم تُمْهِلْه المَنِيَّةُ المفاجئةُ(١) ، ولمَّا قرأتُه تحسَّرتُ على عدم اطلاعي عليه في حينه ، وقلتُ لبعض إخواني : لو كنتُ قرأتُه في حياة صاحبه لقبَّلْتُ يدَه وما بين عينيه ، وإنْ لم تَجْرِ العادةُ في بلادنا أن يُقَبِّلَ الآباءُ أيدي أبنائهم(٢) ، والأساتذةُ أيدي تلاميذهم في هذه السِّنِّ ، وهَنَّأْتُه ، وباركتُه على هذه الصراحة ، وعلى هذه البلاغة .

إنْ فاتني هذا فلا يفوتني أن أَنْشُرَه على إثر وفاته في رسالةٍ مستقلَّةٍ ، توسيعاً للنِّطاق ، وتعميماً للفائدة ، فيكون خيرَ ذكرى له ، واعترافاً لنبوغه ، وإجادته ، وها هو بين يدي القرَّاء .

ورأيتُ أن أَضُمَّ إلى هذا المقالِ ثلاثةَ مقالاتٍ :

أَوَّلُها : « مجتمع التنافس ومسؤولية الدعاة » نُشر في عدد جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ من مجلَّة « البعث الإسلامي » .

وثانيها : « سلامة العقيدة في حاجة سلامة الحضارة » المنشور في عدد صفر ١٣٩٩هـ (يناير ١٩٧٩م) .

ثالثها : بعنوان « جامعة البعث الإسلامي » وهو آخرُ ما سطره بالعربية نُشر في

---

(١) قام بهذه الترجمة نجلُ فضيلة الأستاذ الشيخ الفقيد عبد الله الحسني الندوي ، ونشرت في مجلة « الفرقان » عدد رمضان سنة ١٣٩٩ هـ .

(٢) كان الفقيدُ رحمه الله ابنَ شقيق هذا الكاتب ، فهو محمَّد بن الدكتور السيد عبد العلي الحسني (أمين ندوة العلماء العام) ابن العلامة السيد عبد الحي الحسني مؤلف العربية الكبير ، وصاحب كتاب « نزهة الخواطر » (الندوي) .

صحيفة « الرَّائد » وفي مجلَّة « البعث » في عدد رجب على إثر وفاتِه مباشرةً .

ننشر الأخيرَ بعنوان « تطابُقٌ يُسَرُّ به المؤمنون » وبذلك تَكْمُل الرسالةُ ، ويستقيم الميزانُ ، ويتضح الطريقُ ، فلا نريد إلا أن تنتقل الدُّوَلُ والمجتمعات الإسلامية من الحَيْرةِ المُرْدِيَةِ ، إلى الطُّمأنينة المُرْضِيَة ، ومن التناقُضِ الذي تَحَارُ فيه العيونُ ، إلى التطابُق الذي يُسَرُّ به المؤمنون ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم : ٤ ـ ٥] .

رَحِمَ اللهُ الفقيدَ العزيز ، وتغمَّده برحمته ، ورضوانه ، وأسكنه فسيحَ جِنَانه .

في ٤/ ٩/ ١٣٩٩هـ
٢٩/ ٧/ ١٩٧٩م

العَمُّ المفجوع المُحتسِبُ
أبو الحسن علي الحسني الندوي
دار عرفات ، دارة الشيخ علم الله رحمة الله عليه
راي بريلي (الهند)

المنهج الإسلامي السليم

بقلم

الأستاذ محمد الحسني الندوي

تقديم

العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

دار ابن كثير

دمشق ـ بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم : أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرْسَلين ، وخاتم النبيِّين محمَّدٍ وآله وصَحْبِه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وبعد : فقد كان مما قَدَّر الله وقضى ـ ولا رادَّ لقضائه ، وليس لنا إلا أن نَرضى بما حَكَمَ وقَدَّر ـ أن أقدِّم كتاباتِ العزيز محمَّد الحسني ـ عليه رحمة الله ـ ، وهو بمثابة ابني ، وفِلْذَة كبدي ، وقد نشأ تحت سَمْعِي وبَصَري ، وذلك بعد وفاته ، وكانت القرائنُ والآثارُ تَدُلُّ على أنه سيقدِّم كتاباتي ، ويعلِّق عليها ، ويعنى بنشر آثاري ، ويسجِّل حوادثَ حياتي ، ويؤرِّخها ، كما جرت العادةُ ، وشهدت المقاييسُ الظاهرةُ بدَوْرِ الأبناء في تخليد آثار آبائهم ، وعُمومتهم ، وأساتذتهم ، ومربِّيهم ، وقد كان من أقرب أبناء البيت ، ، وأحبِّهم إليَّ ، وألصقِهم بي ، وأعرفِهم بشؤوني وأخباري .

ولكن كانت القضيةُ بالعكس ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] فقد ماتَ في رَيْعان شبابه ، وقَوْسُه مُوْتِرةٌ ، وفَرَسُه مُسْرَجَةٌ في حَلْبَةِ الكتابة ، ومِضْمَار العمل الإسلامي ، فاضطررتُ إلى أن أقدِّم له كتابه « تناقُضٌ تحار فيه العيونُ » ، وتطابُقٌ يُسَرُّ به المؤمنون » وذلك على إثر وفاته في ١٧ من رجب سنة ١٣٩٩هـ ، والكتابُ من أقوى ما دبَّجه يراعُه ، وأكثره صراحة ووضوحاً ، ثم قدِّر لي أن أقدِّم له كتاباً ثانياً ، وهو مجموعُ مقالاتٍ وأبحاثٍ ،

أسماه : « العالم الإسلامي بين التبعية والذاتية » وأن أكتب حياتَه في سطورٍ ، وها أنذا أكتبُ تقديماً لمجموعة مقالاتٍ أخرى ظهرت في أعدادٍ مختلفةٍ لمجلّة « البعث الإسلامي » التي كان يرأس تحريرَها ، تجمع بينها وحدةٌ فكريةٌ مبدئيةٌ ، وشعورٌ نفسيٌّ عميقٌ ، ودراسةٌ شاملةٌ أمينةٌ لواقع الأمَّةِ الإسلاميَّةِ ، وجماعاتها ، ومدارسها الفكرية ، ومناهجها العملية ، وما أوْحَى هذا الواقعُ وأملاه على صاحب هذه المقالات ، من إبداء مشاعر نحو هذا الواقع ، وملاحظاتٍ وآراء لتوجيهها توجيهاً سليماً هادفاً ، تتفق مع طبيعة الإسلام ، البعيدة عن شوائب الانحراف والتحريف ، والخُضوع لعوامل طارئةٍ ، وفلسفاتٍ دخيلةٍ وتأثيراتٍ أجنبيةٍ ، يُمكن أن نسمِّي هذه المجموعة بـ « المنهج الإسلامي السليم » .

لقد قلتُ في تقديم كتابه الأول « الإسلام الممتحن » ـ الذي كان له دَوِيٌّ وصَدَىً في الأوساط الإسلامية الدَّعوية والفكرية ، بعد ما ذكرتُ الظروفَ والملابساتِ الدقيقةَ ، والأحداثَ المتناقضةَ المُثيرةَ التي عاشها وعاصَرَها ـ :

« أَحْدَثَتْ هذه الجوانبُ المتناقضةُ ـ جانب تربيته ودراسته الإسلامية ، وجانب الواقع المَرير المشاهد القاسي ـ صراعاً في نفسه ، حوَّل قلمَه إلى شَلّالٍ يتدفَّق بقُوَّةٍ ، وينحدر بقُوَّةٍ ، فصدرت هذه المقالاتُ في أسلوبٍ قويٍّ ملتهبٍ ، هو نتيجةُ كلِّ صراعٍ نفسيٍّ ، رافقته قدرةٌ بيانيةٌ ، وقلمٌ سيَّالٌ رشيقٌ ، وثروةٌ لُغَوِيَّةٌ ، وهذا الأسلوبُ له قيمتُه في إيقاظ الشعور ، وفي تحريك النفوس والعقول ، ومحاربة « مُرَكَّبِ النَّقْصِ » ، وإعادة الثقة بصلاحية الرسالة والأمَّة ، والاعتزاز بالقِيَم والمفاهيم ، خصوصاً إذا كان مُدْعَماً بالدَّلائل والوثائق ، ومُسَلَّحاً بالشواهد والتجارب ، وهي طليعةُ كلِّ إصلاحٍ وانقلابٍ ، ورائدُ كلِّ نهضةٍ وتقدُّمٍ »[1] .

وقد عاشَ صاحبُ هذه المقالات بعد ذلك فترةً قصيرةً ، فترة أربعِ سنواتٍ لم يَفْتُرْ فيها عن مطالعةٍ وتأمُّلٍ ، وكتابةٍ وتحريرٍ ، وقد كان يطوي هذه الفترة القصيرة ـ فترةً مليئةً بالأحداث ، مثيرةً للتفكير ، محرِّكةً للقريحة ـ مسافةَ أعوامٍ في شهورٍ ،

(١) تقديم كتاب « الإسلام الممتحن » .

ومسافةَ شهرٍ في أسابيعَ وأيام ، تزداد دراستُه عُمْقاً ، وعَقْلُه نُضْجاً ، وآراؤه حَصَافةً ، تجلى هذا التقدُّمُ في النُّضْجِ ، والاختمارُ في الآراء والدراسات فيما فاضَ به قلمُه في مقالاتٍ تجمعها هذه المجموعةُ الصغيرةُ ، وإنَّا نَعْرِضُ هنا بعضَ نماذجَ تَدُلُّ على سَدَادِ رأيِه ، ومتانةِ استنتاجِهِ ، وإصابته المحز ، وضربه على الوَتَرِ الحسَّاسِ ، وتصويرِه البارع للحقيقة والواقع ، يقول في مقالةٍ عنوانها : « جِيْلُنا الجديد في حاجةٍ إلى إيمانٍ جديدٍ » :

« أمَّا إذا اعتقدنا أننا نستطيع محاربةَ الغرب بتعليمه ، وثقافته ، أو نستطيع أن نُحارِبه ـ في تعبير أَصَحَّ وأَفْصَحَ ـ بمخلفاتِ فلسفته ، وفتات أفكاره ؛ فذلك وَهْمٌ وخيالٌ ، وضَرْبٌ من المحال ، إننا لا نستطيع أن نَهْجُمَ على حضارة الغرب ، ونُقاوِم غَزْوَه الفكري ، وننتصر عليه بإذن الله إلا بالإيمان الذي أفلس فيه الغربُ إفلاساً شائناً ، ذلك هو السِّلاحُ الوحيدُ ، السِّلاحُ الأكيدُ ، السِّلاحُ المضمونُ الذي نستطيع به تصحيحَ التاريخِ ، وتغييرَ اتجاهِ الإنسانية ، وتحويلَ قيادِه من أيدٍ خائنةٍ أثيمةٍ ، إلى أيدٍ مؤمنةٍ بريئةٍ ، أَحْسَنَتْ قيادتَها في أحطِّ الأدوار ، وأقسى الظروفِ ، وأَرْسَتْ سفينتَها المتلاطمة بين الأمواج الثائرة والرِّياح العاتية على برِّ الأمان .

إنَّنا لم نفرِّق بين الفلسفات والآلات ، ولم نميِّز بين الوسائط والغايات ، ولم نميِّز بين العلوم الطبيعية التي ظهر فيها العلمُ مجرَّداً عن النَّزْعَات والعقيدة ، وبين العلوم العُمْرانية والفلسفات الاجتماعية التي سيطرتْ عليها نَزْعَةُ الغرب الماديةِ ، بل كان نصيبنا من ثقافته وأفكاره أَكْثَرَ من نصيبنا من علمه وصناعاته .

فإذا شئنا أن نتحرَّر من عُبودية الغرب الفكرية ، وتبعيته الثقافية ؛ فعلينا أن نستعرض مناهجنا التعليمية ، والتربوية استعراضاً جديداً ، ونصوغها صَوْغاً جديداً يُعيد إلى جِيْلنا الجديدِ إيمانَه المفقودَ بالله ، وثِقَتَه الضائعة بوعده ونصره ، وبرسالته وشخصيته ، ويجعله عَوْناً على الحقِّ ، حرباً على الباطل ، مؤمناً بالله ، كافراً بكلِّ ما عداه ، مُسْتَخِفّاً بمظاهر المال والثَّراء ، والرُّعْبِ والجَاهِ ، وحينئذٍ يُدْرِك نظامُنا التعليميُّ والتربويُّ غايتَه ، ويحقِّق هدفَه ، وينشأ الجيلُ الإسلاميُّ الجديدُ الذي ليس هو حاجةُ البلاد الإسلامية فحسب ، بل حاجةُ الإنسانية كلِّها » .

ويقول في مقالٍ عنوانه « فقهٌ وإيمانٌ » :

« إنَّه لا بُدَّ للدَّعوة من إيمانٍ راسخٍ قويٍّ بالله ، والصلةِ به صلةً دائمةً ، صلةُ الحُبِّ والخوفِ ، صلةُ الدعاءِ والتضرُّعِ ، صلةُ الشكرِ والرَّجاءِ ، صلةُ التوكُّل واليقين ، صلةٌ تجعل الإنسان يلتذُّ بأدنى نعمةٍ يجدها ، ويخشى من أدنى سُخْطٍ يشعر به ، ويستحضر مهانتَه وضآلته أمام عَظَمَتِه وكِبْرِيائه ، ويرى نفسَه عبداً بائساً مسكيناً لله سبحانه ، ويدعوه دعاءَ من خضعتْ له رَقَبَتُه ، وفاضت عبرتُه ، وذَلَّ جسمُه ، ورَغِمَ له أنفُه .

الدعوة الإسلامية لست أفكاراً ونظرياتٍ فحسب ، بل إنَّها تكيُّفُ الحياة على المنهاجِ النبويِّ ، تكيّفُها بحرارة الحُبِّ الإلهي والصلة به ، والتفاني في سبيله ، والجهادِ لإعلاء كلمته بالمُهَجِ[1] والأرواح .

إنَّ هذا الإنسانَ يكيِّف أخلاقَ الإنسانِ وسلوكه وتفكيره ، ويؤثِّر فيه تأثيراً مُدْهِشاً حتى إنَّ كلَّ نظرةٍ من نظراته ، وكلَّ كلمةٍ من كلماته لا تَصْدُر إلَّا عن إخلاصٍ عميقٍ ، يشهد به كلُّ من يُجالسه ، حتى إنَّ إشراقَ وجهه يَنُمُّ عن قلبٍ كبيرٍ تجرَّد عمَّا سوى الله ، مجالسه تذكِّر الآخرة ، وأحاديثه تقوِّي الوازعَ الدِّيني ، وكلماته العادية تُنشِىء في قلب الإنسان رغبةً عن الدنيا ، وإقبالاً إلى الآخرة .

إنَّ هذا الإيمان هو حاجةُ كلِّ إنسانٍ ؛ لأنه المستوى المطلوب عند الله ، بل هو الشيءُ الوحيدُ المقصودُ عنده . إنَّ نقصان هذا الإيمانِ لا يعوَّض ، وفراغه لا يُمَلأ بأصالة الذوق الأدبي ، والبراعة الفنية ، والأساليب الأدبية ، ولا بالاطلاع الواسعِ ، والخبرة الواسعة ، ولا بالنظم الدقيق ، والذكاء الخارق ، إنَّه شيءٌ فوق هذا كلِّه ، ولا يُجْبَرُ نقصانُه ولا يُمْلأُ فراغُه إلَّا بالإيمان نفسِه ، والبحثِ عنه بجدٍّ واجتهادٍ ، والحصول عليه مهما كلَّف ذلك من مَشَقَّةٍ ، وعَنَاءٍ ، ومخالفةِ النفس والهَوى » .

ويقول في مقالٍ عنوانه « دور العاطفة والحُبِّ » :

---

(١) المُهَجُ : الأرواح .

« مِن أجل الوصول إلى هذه الأهداف لا بُدَّ أن يكون في كلِّ بلدٍ إسلاميٍّ عُصْبَةٌ موفَّقةٌ « كشَّافة » تنشر الوعيَ ، وتبعث الإيمانَ ، وتجنِّد القُوَى ، وتكون مركز اتصالٍ ، ونقطة انطلاقٍ ، تستكشف الأفرادَ الذين يحملون هذه الفكرةَ ، ويقدِّرون أهميتها وقيمتها ، وتجمعهم في سِلْكٍ واحدٍ ، ثم تربِّيهم على هذه المعانيَ ، ويرسِّخ فيهم هذا الإيمانَ ، وتغذِّي القلبَ والعاطفةَ بجانب الشعور والوعي ، العاطفة التي تزيد من قُوَّة الشعور ، وتخفِّف من عبء « العقل » وآلام الطريق ، وترفع عنه الأفكارَ الهدَّامةَ والفلسفات السَّامةَ ، العاطفة التي تقوم على أساس السُّنةِ النبويةِ ، والشريعةِ الإسلاميةِ ، وتعيش في سياجٍ منيعٍ حدودُها وخطوطُها المحدَّدة المعلومة ، هذا الاجتماع بين العاطفة والمبدأ ، والقلب والعقل ، والشعور والوِجدان حاجةُ جِيْلنا الجديد ، وفراغٌ أساسيٌّ هائلٌ ، لا يُملأ إلا بهذا الاجتماع المُتزنِ العادلِ » .

ويقول في مقالٍ عنوانه « الغربُ المتكبِّرُ والشرقُ المتنكِّرُ » :

﴿ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور : ٤٠] .

إنَّه نتيجةُ الاستغناء عن نور النبوَّة وهداية السَّماء ، إنَّه نتيجةُ الحِقْدِ الذي تغلي به صدورُ الصليبيِّين الجُدُدِ في الغرب على سيِّدنا محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ونبوَّته الأخيرة الخالدة ، وعلى كتاب الله المقدَّس الأخير ، الذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت : ٤٢] إن المسيحيَّةَ والصليبيةَ لا تزالان تشكِّلان خطراً على الإسلام والمسلمين ، وتُضمِران الحِقْدَ لهما ، وتدبِّران المَكْرَ عليهما ، وهما صورتان لحقيقةٍ واحدةٍ ، حقيقةُ الكِبْرِ ، والحِقْدِ ، والتمويهِ والتضليل ، والفسادِ في الأرض ، وجناحان لمعَسْكَرٍ واحدٍ ، معسكرِ الكفرِ والضَّلال ، أو بتعبيرٍ أدقَّ وأَفْصَحُ ، معسكرُ المسيحِ الدَّجَّال .

فما لنا نحن المسلمين في الشرق نرقص على نغمات هذه الصليبية الحاقدة ، ونتجاوب مع أصدقائها ، ونسبِّح بحمدها ، ونتفانى في حبِّها ، ولا تمنعنا الذِّلَّةُ والإهانةُ التي لقيناها من معسكرٍ أو كُتْلَةٍ أن نجرِّب حظَّنا في معسكر آخر ، أو كُتْلَةٍ أخرى ، ونَستبدل بعد عشر سنوات أو عشرين سنةً سيِّداً قديماً بسيدٍ جديدٍ ، واستعماراً قديماً باستعمارٍ جديدٍ ، العبيدُ هم العبيد ، لا تغييرَ ولا تبديلَ » .

وجيْلُنا الناشىء الجديد في حاجةٍ إلى مثل هذه الكتاباتِ القويّةِ الأصيلةِ في الفكر لإعادة الثقة إلى نفسه بالعودة إلى دينه ، وكتابه الخالد ، وتعاليمه القائدة للأجيال البشرية على اختلاف الأزمنة والأمكنة ، وإعداد قيادة الرَّكْب البشريِّ والحسبة على العالم ، وتحمُّل مسؤولية الوصاية على البشرية ، والاعتزاز بالدِّين ، والقِيَم والمُثُلِ التي دعا إليها ، وباعتبار نبيِّ الإنسانية الأخير الخالد « خاتَمُ الرُّسُل ، ومُنير السُّبُل ، وإمام الكُلِّ » .

وهذا الكتابُ الجديدُ يُضيف إلى هذه المكتبة الإسلامية التي هي حاجةُ هذا الجِيْلِ المؤمن الواعيِ كتاباً جديداً له قيمتُه ومكانتُه ، ويُضيف إلى مكتبة الدعوة الإسلامية في الهند التي كان صاحبُ هذه المقالات محمَّد الحسني رُكْناً من أركانها الذي كان له دورٌ كبيرٌ فعَّالٌ في تكوينها ، وإثرائها كتاباً رابعاً[1] ، أرجو أن ينالَ مكانته في المكتبة الإسلامية الدعوية العربية العالمية .

رَحِمَ اللهُ صاحبَ هذه المجموعة ، وجزاه خيراً عن الإسلام والمسلمين ، والدعاة المخلصين ، والكُتَّاب الإسلاميين ، وصلى الله على خير خَلْقِه محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

---

(١) بقي له كتابان : « مصر تتنفَّس » ، « إلى القيادة العالمية » للطبع (الندوي) [ما زالا في حالة المخطوطة ، لما يُطْبَعا بَعْدُ] .

قيمة الأمة الإسلامية
منجزاتها وواقعها المعاصر

تأليف

الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي

المجمع الإسلامي العلمي
لكهنؤ (الهند)

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو شيخُنا العلاَّمة الشريف محمد الرابع بن رشيد أحمد الحسني ، ابن أخت العلامة الندوي وخليفته بعد .

وُلِد عام ١٣٤٩هـ ، ونشأ في بيته الذي يمتاز بالشرف والطهارة ، والتمسُّكِ بالكتاب والسنَّة ، والعلم والعمل ، وأتمَّ دراساته العالية والعليا في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، واستفاد خلال دراسته فيها من خاله العلامة الندوي بصورةٍ خاصةٍ ، ثم أرسله خالُه العظيم إلى الحجاز للاستفادة من مكتبات مكَّة المكرمة والمدينة المنوَّرة الكبيرة وعلمائهما الفطاحل يومئذٍ ، وللاشتغال بالعمل الدعوي ، فقضى في ذلك أكثرَ من سنةٍ .

تخصَّص الشيخُ الرابع في الأدب العربي وبرع فيه حتى أشير إليه فيه بالبنان ، واعتنى بتاريخ البلاد العربية ، وعلم الاجتماع التربوي اعتناءً بالغاً .

عيِّن أستاذاً مساعداً في كلية اللغة العربية وآدابها في دار العلوم ندوة العلماء عام ١٣٦٨هـ ، واشتغل بالتدريس فيها مدَّةً ، فكان أستاذاً يعشقه طلابُه ، ويرقبون درسَه بفارغِ صبرٍ ، ثم اختير رئيساً لها عام ١٣٨٢هـ ، وعمل مديراً لدار العلوم منذ عام ١٤١٣هـ إلى أن توفِّيَ خالُه العلامة أبو الحسن الندوي ، فاختير خلَفاً له في رئاستها عام ١٤٢٠هـ .

رافَقَ الشيخُ محمد الرابع ـ حفظه الله ـ العلامةَ الندوي في معظم أسفاره ورحلاته داخلَ الهند وخارجها ، وكان له مساعداً كبيراً في حِلِّه وترحاله في أعماله الدعوية والعلمية والتأليفية ، وقد استفاد كثيراً من خلال تلك الأسفار بالاطلاع على الأسلوب الدعوي ، والمنهج العلمي ، والحكمة والآداب التي كان العلامة الندوي ينتهجها في أعماله الدعوية والأدبية والعلمية ، وللقاءات مع الشخصيات الهامة في العالم الإسلامي ، وقد أفاده ذلك في معرفته بكلِّ ذلك ليمكِّنه العمل به .

وهو الآن الرئيس لدار العلوم ـ ندوة العلماء ، ورئيس مجلس الأحوال الشخصية في الهند ، ونائب الرئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (في الرياض) والأمين العام لمجمع العلمي الإسلامي (بلكهنؤ) .

من أهم مؤلفاته القيمة بالعربية : « الثقافة الإسلامية المعاصرة » و « العالم الإسلامي اليوم قضايا وحلول » و « الأمة الإسلامية ومنجزاتها » و « التربية والمجتمع » و « منثورات في الأدب

العربي » و « تاريخ الأدب العربي ـ العصر الإسلامي ـ » و « الأدب العربي بين عرضٍ ونقدٍ » و « الأدب الإسلامي وصلته بالحياة » و « مختار الشعر العربي » .

نسأل الله تعالى أن يمدَّ في عمره ، ومتَّعه بالصحة والعافية لخدمة الإسلام والمسلمين بفضائله وجمائله ازدياداً ، وتزوُّداً من آثاره ، ومآثره[1] .

---

(١) مأخوذ من « أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب » للسيد عبدالماجد الغوري ، (ص : ٩٠١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم : العلامة الداعية الإسلامي الكبير
الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الحمد لله ، والصَّلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ .

أمَّا بعد : إن الأمة المسلمة ـ التي كانت حاملةً لرسالات الأنبياء وخاصةً رسالةَ سيد المرسلين وخاتم النبيِّين محمد رسول الله ﷺ ـ لم تكن رائدةً ومحتسبةً للعالم الإنساني في كل عصرٍ والعالم المعاصر فحسب ، بل هي عنصرٌ إنسانيٌ هامٌ نيط به فلاحُ الإنسانية ، واستقامتها ، وسلامتها ، بل حملت مسؤولية هداية الكتلة البشرية ، وضمان بقائها على المعرفة الإلهية ، وحقيقة الدين الناصعة ، والحِفاظ على السلام العالمي العام ، وتوجد لها نماذجُ علميةٌ وتعاليمُ حكيمةٌ مبعثرةٌ في الكتاب ، والسُّنَّة ، والسيرة النبوية ، وفي حياة القادة والمصلحين وتاريخهم وتعاليمهم ، وهي كثيرةٌ لا تعدُّ ولا تُحصى ، وقد كانت الحاجةُ ماسَّةً إلى جمع المواد الثمينة التي يوثق بها في موضوع هذه الأمة كأمّةٍ مثاليةٍ نموذجيةٍ رائدةٍ ، وهي مبعثرةٌ في المصادر القديمة وفي مواضيع كثيرة من الكتاب والسُّنّة والكتب التي أُلِّفت في حياة عظماء هذه الأمة وعباقرتها ، وإبرازِ تلك الجوانب للحياة التي ألقيت مسؤوليتها على هذه الأمة ، وهي مسؤولةٌ عنها عند الله ، وجديرةٌ للنقد والاحتساب في ضوء الوقائع والنتائج، وهي جوانبُ خلقيةٌ واجتماعيةٌ متنوّعةٌ تحتوي على نواحي الحياة وشعبها المختلفة ، كما لا بُدَّ من استعراضٍ تاريخيٍّ لما قام به المسلمون من مسؤولياتٍ وأعباء ، وكم تأثَّرت بهم الحياةُ الإنسانيةُ والمجتمعُ الإنسانيُّ.

وكان هذا الموضوعُ دقيقاً وحساساً ، يحتاج إلى دراسةٍ عميقةٍ ، ومطالعةٍ واسعةٍ ، واطِّلاعٍ مباشَرٍ على المصادر الأصيلة ، والمراجع القديمة ، وإنَّه من دواعي السُّرور : أنَّ الفاضل العزيز الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي (مدير دار العلوم التابعة لندوة العلماء) كتب مقالاتٍ حول هذه المواضيع التي قدِّمت في مؤتمراتٍ عالميةٍ محترمةٍ ، ثم جُمعت في كتابٍ ، وهي تحمل في طَيِّها معلوماتٍ موقَّرةً مفيدةً ، وهي عصارةُ تفكيرٍ عميقٍ ، ونظرٍ وسيعٍ ، تصلح أن تنفخ روح العمل ، وإرشاد الأمة المسلمة إلى طريق الرشد ، والهداية .

تقبَّل الله منه هذا السَّعي ، وجزاه على هذا العمل ، ووفق القارئين أن ينتفعوا به ويستفيدوا منه ، وما ذلك على الله بعزيز .

أبو الحسن علي الحسني الندوي
دائرة الشيخ علم الله الحسني

رائي بريلي : في ٧ من شوال المكرم ١٤١٩هـ
٢٥ من يناير ١٩٩٩م

الصحوة القريبة
بإذن الله تعالىٰ

محمَّد الحجَّار

دار البشائر الإسلامية
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم[1]

بقَلَم العلاَّمة أبي الحسن علي الحسني النّدوي

الحمدُ لله رَبِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ؛ فقد تصفحت اليوم ـ على عجلٍ ـ كتاب « صوت المنبر » للشيخ **محمد الحجَّار** وأنا في هذه الأيام نازلٌ في المدينة المنوَّرة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم .

وقد أراد أخونا الفاضل الشيخ **محمد الحجَّار** أن أشاركه في هذه الخدمة الدينية المشكورة ، وطلب منِّي أن أكتب كلمةً عن كتابه هذا .

وأستطيع أن أقول بعد التَّصفُّح السَّريع لمضامين هذا الكتاب : أنَّه يحتوي على مادةٍ غزيرةٍ ونافعةٍ للخطباء والوعَّاظ ، والعاملين في مجال التَّوعية والإصلاح ، كما أنَّه جديرٌ بالاستفادة ككتابٍ متضمِّنٍ دروساً إصلاحيةً جمعتْ بين قُوَّة العاطفة ، ودقَّة العلم ، وسلاسة البيان ، ولوازم المنهج التربوي البنَّاء ، كما أنَّه يعطي نموذجاً عملياً حسناً لقيمة خُطَبِ الجمعة ، والهدف المنشود منها في شرعنا الحكيم .

والله أسأل أن يجزي المؤلِّف الفاضل خيراً ، وأن يبارك في جهوده وإخوانه العاملين للإسلام في كل مكان .

١/ ٤/ ١٤٠١هـ

أبو الحسن علي الحسني الندوي

نزيل المدينة المنوّرة

---

(١) قد سبقت ترجمة المؤلّف في أول كتابه « سمير المؤمنين » .

مقدماتُه

لكتب في الأدب الإسلامي

١ ـ الأدب الإسلامي وصلته بالحياة : للأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي .

٢ ـ نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد : تأليف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا .

٣ ـ الروائع والبدائع في البيان النبوي : تأليف الأستاذ محمد نعمان الدين الندوي .

٤ ـ شعراء الرسول ﷺ في ضوء الواقع والقريض : تأليف الدكتور سعيد الأعظمي الندوي .

الأدب الإسلامي
وصلته بالحياة

للأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي

دار ابن كثير
دمشق ـ بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة الكتاب[١]

العلاَّمة السيد أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الحمد لله الذي خَلَق الإنسانَ ، وعلَّمه البيانَ ، وأرسل رُسُلَه بالهُدى والتبيان ، وأرسل أشرفهم وخاتمهم بأشرف كتابٍ وأبلغ بيانٍ .

وبعد : فقد بقي الأدبُ في فتراتٍ طويلةٍ من التاريخ في كثيرٍ من الأُمم تحت رحمةِ الأدباء والكُتَّاب ، والباحثين والمؤرِّخين ، الذين اعتادوا أن لا ينظروا إليه إلا من زاوية الصِّناعة والفَنِّ ، ولا يَعتبروه ـ في غالب الأحوال ـ إلا أداةَ تسليةٍ ، أو آلةَ طربٍ ، أو طريقةَ إظهارِ براعةٍ ، أو وسيلةَ تحقيقِ مآربٍ ، أشبهَ شيءٍ بفنٍّ من فنون الوَشْي والتطريز ، أو التحلية والتطرية ، أو مظهراً من مظاهر « الفروسية » ـ بأوسع معانيها ـ الكلامية ، أو « السياسة البلاغيَّة » . وكان شبيهاً ببُلْبُلٍ غريبٍ سجينٍ ، فإذا كان طائراً مُدَلَّلاً في قَفَصٍ من ذَهَبٍ ، تُقَدَّم له أطايبُ الطعام والشراب ، في صِحَافٍ مِن ذهبٍ وأكواب ، تغنَّى بمدح سيِّده بأطيب الألحان ، وإنْ كان طائراً مهجوراً في قفصٍ ، أسلاكه من حديدٍ ، يُضَيَّق عليه في الطعام والشراب ، ويُقَتَّر عليه في الرزق ، صدع بالهِجاء والرِّثاء ، والعِتاب والسِّباب ، أما أن يكون طائراً حُرّاً طليقاً يُرَفْرِف بجناحيه ، ويطير في الأجواء ويُحَلِّق في السَّماء ، ويَقْتات كيف يشاء ، ويَسْجَع كيف يشاء ؛ فلا ! . ويتصوَّر كثيرٌ مِنْ دارسي الأدب ـ حتى أصحابُ

---

(١) سبقت ترجمته في مستهل مقدمة كتابه : « قيمة الأمة الإسلامية . . . » .

الاختصاص والبحوث فيه ـ أن أدب هذه الأمةِ قد استنفدت قُوَّتُه ، وأُثيرت دفائنه ، وقد أصبح من قبيل إضاعة الوقت ، العودة إليه مرَّةً أخرى ، والبحث فيه عن شيءٍ جديدٍ ، مع أنَّ ما اسْتُخْرِج منه وعرض في مجامِعه الأدبية ، إنما هو غَرْفٌ من بحرٍ ، وأنَّ المكتبة الأدبية ـ نقولها عن الأدب العربي الذي ألممنا به بعضَ الإلمام بصفةٍ خاصةٍ ـ تكاد تكون رِكازاً أدبياً ، تنتظر هِمَماً عاليةً ، ونظراتٍ واسعةً ، وأيدٍ أمينةً قويَّةً ، وتصوُّراً للأدب صحيحاً واسعاً ، وهُيَاماً بالجمال ، والقوَّة ، والحياة ، وبلاغةِ التعبير ، ودِقَّة التصوير ، ومَسِّ القلوب وإثارة النفوس ، والقدرة على تحريك العاطفة ، وحاسَة الجمال ، وإن وُجد ذلك في مجال أطبق الأدباءُ المقلِّدون على أنَّه لا صلةَ له بالأدب والبلاغة ، بل هو والأدبُ على طرفي نقيضٍ .

وقد بقي الأدبُ التقليديُّ ـ وبالأصح الأديب المقلِّد ـ قروناً متطاولةً يَعاف هذا الضرب من البيان ، ويأنف من الدُّنُوِّ منه ، أو الاعتزاء إليه ، كالوعظ والإرشاد وكلام الزُّهد والنُّسك ، والعقائد والديانات ، والطِّبِّ ، والعلوم الرياضية ، وعلم الحيوان والنبات ، وعلم النفس ، والرسائل التي كُتبت بطريقةٍ طبعيةٍ لا يتصوَّر كاتبها : أنه سيطلع عليها أديبٌ ، أو تنشر في زمنٍ من الأزمان ، كرسالة الأُمِّ إلى أبنائها ، أو الأخ الكبير إلى أخيه .

وكان من المُؤْسِف : أنَّ الأدب ظَلَّ مُدَّةً طويلة تحت رحمة هؤلاء الباحثين والمؤرِّخين ، تعريفاً ووصفاً ، وعرضاً وتحليلاً ، ووزناً وتقييماً ، وتاريخاً وترجمةً ، فلا يعترف به مَن بدأ يشدو في لغةٍ من اللغات ، أو يريد أن يتذوَّق الجمالَ في أدب أُمَّتِه ، ويَطَّلِع على مَقْدرَتها البيانيَّة ، إلَّا في هذا الإطار الضيِّق ، والتصور القاصر ، ويؤلِّف كاتبٌ أو مؤرِّخٌ كتابَه في وصف الأدب والأديب ، ويعرض أمثلةً ونماذجَ من الأدب المنثور ، والكتابة البليغة ، فيختار أكثرَها تنميقاً وأغناها زَخْرَفةً لفظيةً ، وبلاغةً صناعية ، ويأتي الآخرون فيترسَّمون خُطَاه ، فإمَّا يكتفون بنقل ما اختاره المؤلِّفُ الأول ، وإما يَنتهجون منهجَه في النقل والاختيار ، ولا يُتْعِبون أنفسهم في استعراض ذخائر الأدب استعراضاً جديداً ، واستخراج نفائس من الثروة الأدبيَّة المطمورة .

وبذلك يطغى لونٌ واحدٌ من الأدب على جميع ألوانه وأساليبه ، وتكون مذكِّراتٍ ويوميَّاتٍ ، أو انطباعاتٍ أو انعكاساتٍ ، يقيِّدها كاتبُها لنفسه ، وقد يُحِبُّ أن لا يَطَّلع عليها غيرُه ، وقد تكون هذه القِطَعُ أكثرَ جمالاً وأكثرَ تأثيراً ، ومثالاً للبلاغة من كثيرٍ ممَّا كتبه الكاتبون ليُخَلَّد ذكرُهم ويضفى عليهم ألقابُ : البليغ الكبير ، والكاتب القدير ، والأديب الشهير ؛ لأن الأول أقرب إلى الطبيعة وأكثر اتصالاً بالحياة ، وأصدق تعبيراً عن خَلْجات النفس ودَقَّات القلوب ، وأسرع دخولاً إلى أعماق النفس الإنسانية ، وأكثر مَساً للقلوب ، وتحريكاً للمشاعر ، والثاني يفقد هذه المعاني ، ويتجرَّد من هذه الأوصاف .

ويحلو لي أن أنقل هنا قطعةً ممَّا جاء في مفتتح هذا الكتاب الذي نقدِّم له تحت عنوان « صلة الأدب بالحياة » يقول المؤلِّف :

« الأدبُ يمثِّل الحياةَ ويصوِّرها ، ويعرض على القارىء والسامع صُوراً تنعكس وتبدو من مجالات العيش المختلفة ، ويعرض عرضاً جميلاً ومؤثِّراً لشَتَّى جوانبِها وأشكالها ، فتبدو فيه ملامحُ الكون والحياة وأشكالها المتنوِّعة ، فعندما يفوتنا النظرُ إلى الحياة مباشرةً ، ننظر إليها ونشاهدها في مرآة الأدب شريطةَ أن يُجيد الأدب عمله وتصدق من صاحبه مقدرته ، وتحسن ملكته ، وبذلك يصبح الأدبُ سبباً لتخليد أحداث الحياة وصُوَرها ، فهي تُلمَس وتُشاهَد ولو بعد وقوعها بزمنٍ بعيدٍ ، إذا بقيت العبارةُ المصوِّرة لها ، وبقي التعبيرُ الفني الجميل عنها ، وبقيت معانيها وكلماتها مفهومةً مثلما كانت مفهومة في أوانها .

فبالأدبِ يصل الإنسانُ إلى فهم ظواهر الحياة ، وتذوُّق كيفياتِها ، وقد يكون هذا الفهمُ والتذوُّقُ أحسن وأقوى من فهمها وتذوُّقها مباشرةً بغير واسطة الأدب ، ولو أنَّ الظواهر الحقيقية هي أقرب مَنالاً ، ومن السَّهل أن تسْبر أغوارها بصورةٍ مباشرةٍ ، ولكن الأدب ينوب عن ذلك مناباً كبيراً وواسعاً ؛ إذا اختفت أو غابت الظواهر الحقيقية والوقائع العلمية .

ويتَّسع الأدبُ باتساع الحياة ، وتتعدَّد جوانبُه ونواحيه كما تتعدَّد جوانب الحياة ونواحيها ، ويستطيع به القارىء أو السامع أن يُطِلَّ على حياة البعيدين في المكان

أو السالفين في الزمان ، مهما قَدُم تاريخُهم ، أو بَعُدَت أوطانهم » .

وقد كان قلبُ هذه النظرية الخاطئة الطارئة على الأدب العربي ، التي أساءت إلى قيمة اللغة العربية وسَعَتِها وجمالها ، وتدفُّقِها بالحياة ، وإدالة الأدب العربي ممَّن صَوَّره تصويراً قاتماً ، كالحاً عَبُوساً ، والإنصاف له وإيتاؤه حقَّه من الجهاد في سبيله ، وإنقاذه ممَّن جنوا عليه ، يحتاج كلُّ ذلك إلى خطوةٍ جريئةٍ وشيءٍ من الثورة في التفكير ، ومغامرةٍ في سبيل تحريره من أَسْرِ المحتكرين له ولتاريخه وتعريفه ، الذين حفروا حوله خنادقَ لا يتخطَّاها إلا مُجازِفٌ بنفسه ، وشهرته ، ونصبوا حوله سُرَادقاتٍ لا يدخلها إلا من تزيا بزيِّ الأدب ، وحمل شهادةً مكتوبةً بأقلام هؤلاء المحتكرين .

ولعلَّ دار العلومِ التابعة لـ « ندوة العلماء » كانت في مقدِّمة مَن خَطا هذه الخطوة الجريئة ، نحو إبانة الأدب العربي الصحيح ، الحيّ القويّ ، الجميل الجليل ، الذي بقي قروناً طويلة مطموراً في صفحاتٍ من الكتب ، التي أَبعدت عن ركن الأدب والبيان في المكتبة العربية العالمية ، ووضعت في ناحيةٍ بعيدةٍ عن الأدب واللغة ، بحيث لا يتبادر إليها ذِهْنُ مؤرِّخ الأدب ، ولا باحث في البيان والبلاغة ، وكان نتيجة هذه المغامرة الأدبية أو الثورة في عالم الجمع والتأليف ، كتاب : « مختارات من أدب العرب »[1] في جزأين ، ومقدِّمته التي نادت بهذه الحقيقة بصوتٍ عالٍ ، ولكن في أسلوبٍ أدبيٍّ ، وكتاب : « منثورات من الأدب » و : « الأدب العربي بين عرضٍ ونقدٍ » وكلاهما لصاحب هذا الكتاب الذي نقدِّم له .

ثم كان مِن ضِمْن هذه المساعي المشكورة والخطوات الجريئة المبرورة عقدُ ندوةٍ عالميةٍ للأدب الإسلامي في رحاب دار العلوم ندوة العلماء في ١١/ ١٢/ ١٣ من جمادى الآخرة عام ١٤٠١هـ حَضَرها عددٌ وجيهٌ مشرِّف من عمداء الأدب العربي في كثيرٍ من الجامعات العربية ، والهندية ، والمشتغلين بالبحث والتدريس والتأليف في الأدب العربي ، وكان صاحبُ هذا الكتاب السيِّد محمد الرابع الحسني النَّدْوي ـ

---

(١) للعلامة الندوي .

الذي نقدِّم له ـ في مقدِّمةٍ من تبنَّى هذه الفكرة ، وحَمَل أعباء هذه الندوةَ ، ويرجع إليه الفضلُ فيما حقَّقته هذه الندوة من نجاحٍ ، وحازته من ثقةٍ ، وكسبته من شهرةٍ ، وقد كان جديراً بذلك ؛ لأنه عميدُ كلية اللغة العربية وآدابها في جامعة دار العلوم لـ « ندوة العلماء » ، والداعي إلى هذه الفكرةِ من زمنٍ قديمٍ على بصيرةٍ ، والمُطَّلِعُ على أحدثِ ما كُتب ويُكتب في هذا الموضوع ، وكثيرُ التردُّد والزيارة للعواصم العربية ، ومراكز الثقافة الإسلامية الأدبيَّة ، ورئيس تحرير صحيفة « الرَّائد » .

وقد كتَبَ السيدُ محمد الرابع هذا البحث ليعرض في هذه الندوة وعنوانه « الأدب الإسلامي وصلته بالحياة » وقد بحث فيه صلةَ الأدب بالإسلام بصفةٍ خاصَّةٍ ، وقد شرح جوانبَ هذا البحث في توسُّعٍ وإيجازٍ ، وبيَّنَ ميزةَ الأدب الإسلامي بين الآداب العالمية وسَعَتِه ، وعُنيَ باهتمام الرسول ﷺ وصحابته ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ بالأدب والشِّعر بصفةٍ خاصةٍ ، وعرض نماذجَ رائعةً وقِطَعاً بيانيةً خالدةً من كلام الرسول ﷺ ، ورفع اللِّثَامَ عن خصائص الأدب النبوي الكريم ، وما يمتاز به من الشعور الرقيق ، والعاطفةِ الفَيَّاضة ، والأسلوبِ الجَزْل ، والمنهج التربوي الحكيم ، ثم تعرَّض لأدب الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، وأشار إلى جوانبه البلاغيَّة ، والنفسيَّة ، والدعويَّة ، وبكلِّ ذلك جاء هذا الكتابُ على وِجازته غنياً بالمَوَاد البلاغيَّة التاريخيَّة ، دافقاً بالحيويَّة ، والقُوَّة ، والرَّشاقة ، يُشكر عليه صاحبه ، ويُعترف بمجهوده وسلامة ذوقه ، وسَعَة اطلاعه ، ويقدَّم إلى قُرَّاء العربية ، والمَعنِيِّين بأدبها ، وتاريخها كهديةٍ من « ندوة العلماء » ومن مكتب الندوة العالمية للأدب العربي ومكتبتها الوليدة الناشئة ، يحمد الله على ذلك كاتبُ هذه السطورِ والمقدِّمُ لهذا الكتابِ بصفتهِ خادماً ، وأحدُ المسؤولين عن الندوتَين ، « ندوة العلماء » و « الندوة العالمية للأدب الإسلامي » ، والمُساهِمين فيهما .

والحمد لله أوّلاً وآخراً ، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه في الأولين والآخرين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

بومبائي : ٢٦ ذي الحجة ١٤٠٣هـ

٥ / ١٠/ ١٩٨٣م

نحو مذهب إسلامي
في الأدب والنقد

تأليف

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

قدم له

فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي

الطبعة الرابعة

دار الأدب الإسلامي

للنشر والتوزيع

نبذة من ترجمة المؤلِّف

وُلِد بأريحا ـ قرب حلب ـ ودرس في إدلب ، وحصل على المرتبة الأولى في الابتدائية ، ثم حصل على الثانوية العامة من كلية الشريعة الخسروية في حلب عام ١٩٤١م ، وابتعث إلى الأزهر ، حيث واصل دراسته في كلية أصول الدين ، عام ١٩٤٣م ، وفي الوقت نفسه التحق بكلية آداب جامعة فؤاد الأول ، وحصل على الشهادة العالية لأصول الدين ي عام ١٩٤٥م ، كما حصل على إجازة في التدريس عام ١٩٤٧م ، وفي عام ١٩٤٨م ، حصل على اللِّيسانس في اللغة العربية من جامعة فؤاد الأول ، ونال جائزة فؤاد الأول لحصوله على المرتبة الأولى ثم عاد إلى سورية ، وعمل مدرِّساً ، ثم مفتِّشاً أول في عام ١٩٥٥م ، بدمشق ، ثم مديراً للمكتبة الظاهرية في عام ١٩٦٢م ، وفي الوقت نفسه عمل محاضراً في جامعة دمشق حتى عام ١٩٦٤م ، حيث أعير للعمل مدرساً في المعاهد العلمية بالسعودية .

وكان ـ رحمه الله ـ قد حصل على الماجستير في عام ١٩٦٥م ، من كلية آداب جامعة القاهرة ، والدكتوراه في عام ١٩٦٧ م ، وعمل أستاذاً بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ورئيساً لقسم البلاغة والنقد ، وقد أشرف على عدد من الرسائل العلمية ، وشارك في عِدَّة مؤتمرات ولجان ، كما شارك في تأسيس رابطة الأدب الإسلامي ، وانتخب نائباً للرئيس ، ورئيساً لمكتب البلاد العربية للرابطة ، وعضواً في مجلس الأمناء .

توفي بتركيا عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) ورثاه الدكتور الشاعر عدنان علي رِضَا النحوي بقصيدة جاء فيها :

أين الهزار وأين اللحن والوتر ... أين الشذا والندى . . والأيك والشجر
كانت تموج فطواها الردى فنأت ... وعاد منها لنا الأصداء والصور
أبا يَمَانٍ . . وكم خلفت رابية ... تلقت الشوق فيها والهوى خضر

من مؤلفاته :

١ ـ صور من حياة الصحابة .
٢ ـ صور من حياة التابعين .

٣ ـ أرض البطولات (قصة) .

٤ ـ الراية الثالثة (قصة) .

٥ ـ شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري .

٦ ـ علي بن الجهم : حياته وشعره .

٧ ـ نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد .

٨ ـ النحو[١] .

---

(١) انظر مجلة « الفيصل » (عدد : ١١٥) ومجلة « البعث الإسلامي » (عدد : ٥ عام ١٤٠٧ هـ) و « المجتمع » (عدد : ٧٧٩) .

كلمة تقديم

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسلين ، وخاتم النبيِّين محمَّد وآله وصحبه أجمعين ، ومَن تبعهم بإحسانٍ ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

وبعد : فقد طلب مني الأخوان الفاضلان : محمد يمان ، ورضوان عبد الرحمن رأفت الباشا ، أن أكتب كلمةً لتقديم الطبعة الجديدة لكتاب « نحو مذهبٍ إسلاميٍّ في الأدب والنقد » تأليف والدهما المرحوم الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، لما كانت تقوم بيني وبين الدكتور عبد الرحمن الباشا ـ رحمه الله رحمةً واسعةً ـ من صلاتٍ وعلاقات مودَّةٍ ومحبةٍ وتقديرٍ ، وما كان يربطنا من وحدة الشعور ، والقصور في مجال الأدب الإسلامي والدعوة ، ولما كان له من دورٍ رائدٍ في تأسيس « رابطة الأدب الإسلامي » التي أتحمل مسؤوليةَ الإشراف عليها .

ترجع هذه الصلاتُ إلى عهدٍ مُبَكِّرٍ ، عهدٍ لم تنبت فيه فكرةُ تاسيس الرابطة ، ولم تَتَبَلْوَرْ فيه فكرةُ الأدب الإسلامي كنظريةٍ ، ومذهبٍ ، وقد أشار إليه الدكتور في كتابه « نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد » فقال :

« نحن لَسْنا بأوَّلِ من دعا إلى إقامة مذهبٍ إسلاميٍّ في الأدب ، وإنما اقتفينا آثارَ طائفةٍ من أعلام المسلمين وأدبائهم الموهوبين ، وقد كان أوَّلَ من كَتب في الموضوع وَنبَّه إليه فضيلةُ العالم العامل الشيخ أبو الحسن النَّدوي ، وذلك حين اخْتِيرَ عُضْواً في المجمع العلمي العربي[1] بدمشق ، حيث قَدَّم بحثاً دعا إلى إقامة أدب إسلامي والعناية به ، فكان أوَّلَ الداعين إلى ذلك وطليعة المُنَبِّهين إليه . ثم تلاه شهيدُ الإسلام والمسلمين : سيد قطب ، فكتب مقالاً في هذا الموضوع »[2] .

---

(١) المسمَّى اليوم بـ « مجمع اللغة العربية » .

(٢) اقرأ البحث « نظرات في الأدب » من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي .

وإنْ دَلَّ هذا الكلامُ على شيءٍ ، فإنما يَدُلُّ على وحدة الشعور والتجاوب الحسن بين الطرفَين ، وقد كان الدكتورُ عبد الرحمن ممَّن يتَّصف بالعمل والتطبيق ، فلم يستجب لهذه الفكرة استجابةً فكريةً فحسب ، بل سبق إلى تنفيذها وتجسيدها خلال تدريسه بـ « جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية » ، وإشرافه على البحوث الأدبية ، فكان يوجِّه الدارسين إلى هذا الموضوع والكتابة فيه ، والبحث عن مواضع الجمال الأدبي من الفكرة الإسلامية ، وصدرت بفضل جهوده عِدَّةُ بحوثٍ ومجموعاتٍ من النصوص الأدبية[1] ، ثم تطوَّرت آماله إلى تأسيسِ رابطة تُعْنَىٰ بهذا الموضوع ، وعقد ندواتٍ حول الموضوع ، والتفَّ حوله أساتذةٌ وكُتَّابٌ كان بينهم وبينه انسجامٌ فكريٌّ ، وتحوَّلت هذه الفكرة إلى منظَّمةٍ عالميةٍ .

يعدُّ كتابُ الدكتور عبد الرحمن الباشا كتاباً أساسياً لتفهيم مذهب الأدب الإسلامي ، وتطوُّره ، ومواقفه إزاء الكون والحياة ، والإنسان ، وبالمقارنة بينه وبين المذاهب الأدبية ، التي نشأت في مختلف فتراتِ التاريخ ، وكانت تعبيراً عن تجارب الحياة من عهد نشوئها ، أو عن ميول أصحابها وطبائعهم ، ونشأتهم في بيئاتٍ خاصةٍ ، وهي تمثِّل جانباً من الحياة ، وفيها إيجابياتٌ وسلبيَّاتٌ ، وعندما يَمُرُّ دارسٌ بالمقارنة مع هذه المذاهب ، يظهر له المذهبُ الإسلاميُّ كمذهبٍ إنسانيٍّ يسير مع الحياة بدون أن تطغى عليه ميولٌ أو أحداثٌ خاصةٌ ، فيحمل الأدبُ الإسلامي صلاحيةَ الخلود والنَّماء ، ومسايرةَ الحياة أكثر من أيِّ مذهبٍ أدبيٍّ آخر ، ومما يميِّزه عن غيره ، أنَّه مذهبٌ رائدٌ ومذهبٌ قياديٌّ ، وليس بمذهبٍ تبعيٍّ ، له منزع خاص .

وقد أوضح القرآنُ الكريم هذا لصلاحيته للخلود ، والبقاء في هذه الآية :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٢٤ ـ ٢٥] .

---

(١) سلسلة أدب الدعوة الإسلامية صدرت بعدَّة مجلداتٍ ، وهي بحوث تخرج للطلاب في كلية اللغة العربية التي أشرف عليها الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ـ رحمه الله ـ وتمت طباعتها ونشرها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

إنَّ هذه الآية تبيِّن ما هي الكلمةُ الطيبة ، وما هو تأثيرُ هذه الكلمةِ على القلوب ، والنفوس ، ومدى بقاء هذا التأثير ، وما هو مَنْبَعُ هذه الكلمة ، وأوضحت أنَّ تأثير هذه الكلمة لا يتقيَّد بزمانٍ دون زمانٍ . وبقرنٍ دون قرنٍ ، وبيئةٍ دون بيئةٍ ، وبفترةٍ زمانيةٍ تاريخيةٍ دون فترةٍ زمانيةٍ تاريخيةٍ ، بل إنَّها ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ﴾ ، وذلك هو الذي يميِّز الأدب الإسلامي عن الآداب الأخرى .

وقد بيَّن الدكتور عبد الرحمن الباشا خصائصَ الأدب الإسلامي بأنَّه أدبٌ هادفٌ وملتزمٌ بالقيم الإسلامية ، وأصيل ومتكاملٌ ، ومستقلٌ وفعَّالٌ ومؤثِّرٌ ، وهي خصائصُ الأدب الحيِّ البنَّاء ، وشرح هذه الخصائص التي تميِّز الأدبَ الإسلامي عن غيره من الآداب في كتابه ، فأصبح كتابُه دليلاً لطُلَّاب الأدب الإسلامي ، وزاداً لرُوَّاده ، وتزداد أهميتُه في حينٍ يجري النقاشُ في الأوساط الأدبية حول تعيين وظيفة الأدب وشرح كلمة الأدب لُغوياً واصطلاحياً ، وقد كان الكُتَّاب في السابق يعتمدون على ما كتبه الأدباء الغربيون ، فنقلوا الأدب من وظيفة التهذيب والتثقيف إلى الإفساد والتخريب ، ومن التأثير إلى الإثارة ، وجعله نزعةً من النزعات الشخصية ، أو تصويراً لجانب من الحياة ، أو أداةً لوصف المُغريات ، أو المُوبِقات ، أو محراثاً لشَقِّ الأرض ، أو مطرقةً لتليين الحديد ، وانقطعت صلةُ الأدب عن قلب الإنسان .

إنَّ هذا الكتاب يُرشد إلى الطريق الذي يجب أن يسير عليه الأدباء الإسلاميون وهو مجهودٌ أساسيٌّ ، وقد صدرتْ بعد ذلك كتبٌ ، وستصدر كتبٌ أخرى ، ولكن فضْل المتقدِّم والمُبدِع في الأدب فضلٌ لا يُنْسَى ، ولا تفقد قيمته مهما تقدَّم الأدباء والباحثون .

جزى الله عنا الأخ الكريم عبد الرحمن الباشا ، وجعل كتابَه ذُخْراً له ونفع به الإسلام والمسلمين ، وليس على الله بعزيـز أن يتحـوَّل هـذا الكتـابُ إلى مكتبةٍ كاملةٍ للأدب الإسلامي ، بكونه حافزاً على إصداراتٍ أدبيةٍ كثيرةٍ ، وإنَّ تأسيس « شركة دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع » لنجليه الكريمين وصدور الطبعة الجديدة لهذا الكتاب منه يشكِّل مؤشِّراً إلى هذه الغاية المنشودة ، والله الموفق وبه يستعان .

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ .

أبو الحسن علي الحسني الندوي
دارة الشيخ علم الله الحسني
راي بريلي ـ الهند

التاريخ : ٢٨/ ١٢/ ١٤١٢هـ
الموافق : ٣٠/ ٦/ ١٩٩٢م

الروائع والبدائع
في
البيان النبوي

تقديم
سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

تأليف
محمد نعمان الدين الندوي

دار الصحوة
القاهرة

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو الكاتبُ العربيُّ القديرُ ، رئيس قسم الأدب العربي بالجامعة الإسلامية (المعروف بـ « دار العلوم حَيْدَرْ آباد ») في حيدر آباد (الهند) ، ورئيس تحرير مجلَّة « الصحوة الإسلامية » الصادرة من الجامعة نفسها ، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) : فضيلة نجل عالم هنديٍّ كبيرٍ ، صاحب مؤلَّفاتٍ عديدةٍ قيمةٍ في الموضوعات الفقهية والقضايا الشرعية ، وهو فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السَّنْبَهْلِيّ القاسمي ، حفظه الله وأمتع به[1] !

درس الأستاذُ نعمان الندوي في جامعة ندوة العلماء ، وحصل على شهادة اللِّيسانس والماجستير من كليتها الشريعة ، واستفاد خلال إقامته فيها من رئيس الجامعة : العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وابن أخته الصحافي الإسلامي الكبير الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي .

ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة ، ونال من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية التابعة لها شهادة الليسانس ، ثم رجع إلى الهند وعيِّن أستاذاً للأدب العربي في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الإسلامية في حيدر آباد ، وهو يعمل الآن فيها رئيساً لقسم اللغة والأدب ورئيس التحرير لمجلة « الصحوة الإسلامية » ، والتي تُعَدُّ اليوم من أبرز المجلات العربية الصادرة من الهند ، واستُحِقَّ لعُضوية رابطة الأدب الإسلامي العالمية ببحوثه القيمة ومقالاته النفيسة التي دبَّجَتْ يراعته في موضوعات كالأدب الإسلامي والعربي ، والقضايا الإسلامية والفكرية ، والتي نشرها في مجلَّته بين الآونة والأخرى .

وللأستاذ الندوي مؤلَّفاتٌ نفيسةٌ ، ورسائلُ ممتعةٌ في الأدب الإسلامي ، والقضايا العربية ، وهي ما يلي :

١ ـ الروائع والبدائع في البيان النبوي .

---

(١) الذي يعمل منذ سنوات طويلة رئيساً لقسم التفسير بكلية الشريعة وأصول الدين في جامعة ندوة العلماء (الهند) .

٢ ـ خصائص اللغة العربية ولماذا يجب تعلُّمها؟ .

٣ ـ مختارات من البحوث والقضايا[١] .

٤ ـ اللَّحْنُ في اللغة العربية .

٥ ـ أساس اللغة العربية (تأليف مشترك) .

* * *

---

(١) من « إلى شباب المسلمين » إعداد سيد عبد الماجد الغوري ، ص : ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

بقلم : سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسلين وخاتم النبيين محمَّد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أمَّا بعد ! فقد كان موضوعُ دراسةٍ أدبيةٍ ، علميةٍ تحليليةٍ ، مقارنةٍ للحديث النبويِّ الشريف وخُطَب الرَّسول ﷺ ، وأدعيَته وتعبيراته ، وجوامع كَلِمه ورسائله ، وأمثاله وحِكَمه من الموضوعات الأدبية والنقدية والاستعراضية ، التي ما أُعْطِيَتْ حَقَّها من البحث والدراسة حتى العرض والجمع في مكانٍ واحدٍ ـ من الناحية الأدبية والفنية .

ولم يكن ذلك إساءةً أو تطفيفاً في الكيل في حقِّ صاحب الرسالة العُظْمى الأخيرة والمعجزات البيانية النبويَّة ، فقد أغناه الله بما وَهَبَه ووصفه من سِمَات الكمال وآيات الجمال ـ بالمعنى العميق البليغ الواسع ـ وحسب القارىء ما جاء في سورة الانشراح : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ [الانشراح : ١ ـ ٨] ولكنه كان إساءةً وتطفيفاً ، ومع الاعتذار جنايةً علميةً تاريخيةً على اللغة العربية ، ومكتبةِ الأدب العربي ، وتاريخ الأدب العربي ، بل وعلى الآداب العالمية ومدرسة البلاغة الآفاقية ، وما يَسْتَحِقّ الجِيْلُ الجديدُ ويحتاج إليه من المعرفة والدراسة وإساغة العزيز اللذيذ من روائع البيان والقِطَع الحِسَان ، ونُطْق

اللِّسان ، وبواعث الإيمان ، وهي الخسارةُ المعنوية والتوجيهية ، والتربوية والأدبية التي لا تُعالجَ ولا تُعوَّض بأكبر مجموعةٍ من كلام الأدباء والبُلَغاء والكُتَّاب والشعراء ، من أي أُمَّةٍ أو جِيْلٍ أو لغةٍ أو أدبٍ .

وقد جرتِ النُّظُمُ التعليميةُ ، والمناهجُ الدراسيةُ ـ حتى المدارس والجامعات الدينية ، التي تعنى بتعليم الأدب العربي ، ليكون عَوْناً على فقه الكتاب ، والسنَّة ، والتذوُّق من إعجاز القرآن ، وبلاغة الحديث النبوي الشريف ـ على هذا الدَّرْب من تدريس اللغة العربية وآدابها من الاقتناع بكتب المتصنِّعين ، والمحترفين المتكلِّفين من الأدباء والشعراء والكُتَّاب والبُلَغاء ، وإنْ كانت كذلك مجموعةً صغيرةً محدودةً ـ فإنَّ المنهاج الأدبي الدراسي في المدارس القديمة لا يتخطى كتابين في النثر ، ومجموعتين من النُّظُم ـ متوارثةً من جِيْلٍ إلى جيلٍ ، أو من طرفٍ من البلاد الواسعة إلى طرفٍ آخر . وقد نَبَّه على هذا التقصير أو قصور النظر في حَقِّ الأدب العربي واللغة العربية ، والقدرة البيانية نُقَّادٌ ، ومؤرِّخون ، وأدباء اللغة العربية في عصورٍ مختلفةٍ ، وبلادٍ مختلفةٍ ـ على نُدْرَةٍ وطول فترةٍ زمانيةٍ ومكانيةٍ ـ إلى هذا ، جاءت أسماؤُهم في هذا الكتاب الذي أسعدُ بتقديمه .

ومع كلِّ الاعتذار، وطلب غضِّ النظر عن هذه الصراحة التي قد تحمل على التنويه بعمل الكاتب ، ونصيبه من أداء الواجب ، قد انتبه كاتبُ هذه السطور لهذا التقصير ـ ليس في حقِّ الرسول الأكرم ، فهو أغنى من هذه التقصيرات والتغافلات من جميع أفراد العالم بما فيهم من البُلَغاء والأدباء والقادَّة والزعماء وأصحاب الفَضْل والمِنَّة ، على الأجيال البشرية والطبقات الإنسانية ـ بل في حَقِّ اللغة العربية وأدبها ، وأكثر من ذلك في حَقِّ الناشئة الإسلامية والدارسين والمتخرِّجين من المدارس الإسلامية العربية ، الذين سيكونون دعاةً ومعلِّمين ، وكُتَّاباً ومؤلِّفين ، وقادةً وموجِّهين ، فألَّف مجموعةً من أدبيةً نثريةً أسماها « مختارات من أدب العرب » حَلَّاها بمقدمةٍ كانت في الأصل مقالةً وبحثاً كتب باقتراح المجمع العلمي العربي بدمشق(١) على إثر

(١) ويسمى مجمع اللغة العربية حالياً .

اختياره للكاتب عضواً مراسلاً للمجمع[١] لينشر في مجلّته جرياً على تقاليد هذا المجمع وأعرافها كان هذا المقالُ مثيراً ، ولافتاً للنظر ، لعددٍ من الأدباء المحنَّكين ورؤساء لقسم الأدب العربي البارعين في بعض الجامعات العربية اعترفوا بذلك لسَعَةِ صدورهم وسُمُوٍّ نظرهم ، ولما يمتاز به العربُ من رحابة الصَّدر ، وسماحة النفس ، والاعتراف بالفَضْل[٢] .

ولكنَّ هذا الموضوع في حاجةٍ إلى دراسةٍ واسعةٍ عميقةٍ ، واستعراضٍ لما كُتب في نقد الموضوع في أزمنة ، وأمكنةٍ مختلفةٍ ، وما جاء في هذا الموضوع من كتب أئمّة اللغة والبيان ، والمؤرِّخين والنّاقدين المرموقين ، وكُتّاب العربية البارعين ، وقد أراد الله أن يكون هذا الفضلُ ، وهذه المأثرةُ المستحقَّة للتقدير لدارسٍ ومتخرِّجٍ من دار العلوم لـ « ندوة العلماء » ، التي كانت لها سعادةُ طَرْق هذا البابِ واسترعاء نظرِ النُّقّاد والموجِّهين في كليات الآداب وأقسام تاريخ الأدب العربي ونقدِه وبعض مشاهير الكُتّاب والأدباء ، فسعد بتأليف هذا الكتاب العزيز محمد نعمان الدين الندوي حفظه الله ، وأسماه « الروائع والبدائع في البيان النبويّ » وحَظِيَ بالقبول والثناء في دار العلوم كأطروحةٍ وبحثٍ للمتخرِّج الفاضل من دار العلوم كما جاء في شهادة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي مدير دار العلوم حالياً ، ونائب رئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

وقد بحث في هذا الكتابِ عن آراء العلماء في هذا الموضوع وجوانب البحث ، وعرض النماذج المختلفة ، ولفت النظرَ إلى جوانبها الفنية والبلاغية في إطارٍ واسعٍ ، وفي أسلوبٍ علميٍّ نقديٍّ رزينٍ ، يَطَّلع عليها قارىءُ هذا الكتاب عند مطالعته ودراسته لهذا البحث ، وأصبح بذلك جديراً بأن يقدَّم إلى مراكز البحث والدراسة الأدبية ، والمجامع العلمية ، والمدارس والجامعات الدينية في شبه القارة

(١) وكان ذلك في سنة ١٩٥٧ م .

(٢) يمكن أن يذكر من هؤلاء الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا رئيس القسم العربي في جماعة الملك عبد العزيز في الرياض ، والأستاذ عبد العزيز الرفاعي أحد الأعضاء الكبار في وزارة الخارجية السعودية ، والأديب الكبير الأستاذ الطنطاوي ، والدكتور عبد الباسط بدر .

الهندية ، والبلاد الإسلامية العربية ، لعلَّه يُثير أذواقَ المدرِّسين واتجاهاتِهم على دراسة هذا الموضوع في إطارٍ واسعٍ وعلى مستوى علميٍّ ونقديٍّ رفيعٍ ، وكفى به سعادةً وشرفاً ، ونجاحاً وتوفيقاً لعملٍ بارٍّ مشكورٍ ، وسعيٍ علميٍّ دينيٍّ مقبولٍ . وأنا بدوري أُهنِّىء مؤلف هذا الكتاب ، وأدعو له بطول العمر ، وتواصل العلم والبحث ، وأهنىء والده الأستاذ الكبير فضيلة الشيخ برهان الدين أستاذ التفسير والحديث في دار العلوم بـ « ندوة العلماء » نفع الله به وبعلمه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دارة الشيخ علم الله الحسني رائي بريلي

شعراء الرسول ﷺ
في ضوء الواقع والقريض

قدم له

العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

تأليف

الدكتور سعيد الأعظمي الندوي
عميد كلية اللغة العربية وآدابها في جامعة ندوة العلماء / لكهنؤ ـ الهند

دار ابن كثير
دمشق ـ بيروت

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو الكاتب الإسلامي القدير ، والخطيب المصقع الأصيل : الأستاذ الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي الندوي ، أحد أكبر تلامذة العلامة الندوي ، وأحبُّهم إليه ، التحق بدار العلوم ـ ندوة العلماء في ريعان شبابه ، ولازم العلامة الندوي ، واستفاد منه الكثير ، وكان العلامةُ كثيرَ الاحترام له من بين تلامذته ، عهد إليه بنقل بعض مؤلّفاته إلى العربيّة ، وقد ظَلَّ الدكتورُ الأعظمي طيلة حياة العلاَّمة الندوي عضواً عاملاً له في مجال الدعوة والكتابة ، والمحيط التعليمي والتربوي في دار العلوم .

بدأ الدكتور الأعظمي حياته العلمية في « ندوة العلماء » كمدرِّسٍ لمادة الأدب العربي ، ثم عيِّن مشرفاً إدارياً لدار العلوم ، واختير بعد رحيل العلامة الندوي مديراً لها ، ولا يزال يشغل هذا المنصب ، وشارك ـ إلى جانب إدارة دار العلوم والتدريس فيها ـ في إنشاء مجلة « البعث الإسلامي » وتحريرها إثر رحيل صديقه فقيد الدعوة الإسلامية الكاتب الكبير الأستاذ محمد الحسني ، وهو كذلك نائب الرئيس لصحيفة « الرائد » النصف الشهرية ، وعضو مجلس الأمناء لرابطة الأدب الإسلامي العالمية منذ نشأتها .

ومن مؤلَّفاته :

١ ـ ساعة مع العارفين .

٢ ـ شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض .

٣ ـ أحمد بن عرفان المجاهد الشهيد .

٤ ـ ندوة العلماء تواجه التحدي الكبير .

٥ ـ « المحدِّث حبيب الرحمن الأعظمي .

٦ الأدب والإسلام .

وغير ذلك مئات المقالات منشورة في مجلة « البعث الإسلامي » وصحيفة « الرائد » وكلُّها جديرة بالجمع والإخراج في كتابٍ مستقلٍّ .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المرسلين ، وخاتم النبيِّين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أمَّا بعد ! فقد كان الشعرُ الذي قيل في مَدْح الرسول ﷺ والدفاع عن الإسلام ، والرَّدِّ على بعض الشعراء الجاهليِّين ، والمنافسين من قريشٍ والقبائل العربية شعراً قويّاً ، غنيّاً بالمادَّة الكلامية ، والمفاهيم الهادفة العالية ، زاخراً بالجوانب الفنيّة ، استخدم أصحابُه كلامَهم الشعري كسلاحٍ كبيرٍ في المعركة الدائرة بين التقاليد الجاهلية والتعاليم الإسلامية ، ودفاعاً عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإعطائه بعضَ ما يستحقُّ من الإنصاف والاعتراف ، والمَدْح والثناء ، والحُبِّ والوفاء .

وكان في مقدِّمة هؤلاء الشعراء الذَّابِّين عن الإسلام ، والمادحين للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الشعراء الأربعة :

١ ـ كَعْبُ بن مالك الأنصاري .

٢ ـ حَسَّانُ بن ثابت الأنصاري .

٣ ـ عبدُ الله بن رواحة .

٤ ـ كَعْبُ بن زهير بن أبي سُلمى (وقد انضم إليهم في الأخير) .

رضي الله عنهم ، وجزاهم عن الإسلام ، والإنسانية ، والإنصاف ، والأدب والشعر أحسنَ الجزاء وأفضله .

وقد قاموا بالواجب الديني والخُلُقِيّ ، والإنساني والأدبي في الدفاع عن سيِّد المُرسلين وخاتم النبيِّين رسول الإنسانية ونبيِّ الرحمة ، ومفتتح عهد سعيد ـ للسعادتين الدنيوية والأخروية ـ ووُفِّقوا لمَدْحه ، وقالوا الشعرَ البليغ الصادق ، الذي أصبح ثروةً أدبيةً ـ زيادةً على كونه ثروةً دينيةً وإيمانيةً ـ وأصبح من حَقِّهم عملاً بالكلمة المأثورة الحكيمة المُنْصِفة « الجزاء من جِنس العمل » أن تُلقى الأضواء القويَّة المنيرة على سيرتهم ومكانتهم الأدبية والشعرية ، وما كان يحيط بهم من بيئةٍ جاهليةٍ ، واتجاهٍ جاهليٍّ للشِّعر ، ومناوأة قريشٍ وجَبْهاتٍ محاربةٍ للإسلام ورسوله ؛ الذي بُعث للهداية والقضاء على الحياة الجاهلية ، وافتتاح عهدٍ جديدٍ خالد للإسلام ومثله العالية ، وتعاليمه الفاضلة ، المُنْقِذة للعالم والإنسانية مِن عذاب الله في الآخرة ، والشَّقاء في الدنيا .

ولكن من الواقع التاريخي والتأليفي : أنَّ شعراء الإسلام في العصر النبوي ـ وفي طليعتهم ومن أبرزهم هؤلاء الأربعة الذين تقدَّمت أسماؤُهم ـ لم يُوَفَّوا حقَّهم من التعريف ، والاعتراف ، وإلقاء الأضواء على خصائصهم الشعرية ، ومكانتهم الأدبية وقيمة مغامرتهم الإيمانية ، والخُلُقية ، وتأثير شعرهم في البيئة المناوئة الجاهلية ، وما له من فَضْلٍ في تاريخ المدائح النبوية ، السائرة مع الزمان والمكان والباقية إلى آخر الزمان .

وقد وَفَّق اللهُ الأستاذَ الفاضل الأعظمي النَّدْوي (أستاذ الأدب العربي في دار العلوم ، ورئيس تحرير مجلة « البعث الإسلامي » الصادرة من ندوة العلماء) لتأليف كتابٍ مستقلٍّ أسماه بـ « شعراء الرسول ﷺ في ضوء الواقع والقريض » وقد كَمَّل الكتابَ في مدَّةٍ طويلةٍ نظراً إلى أشغاله ومسؤولياته المتعدِّدة . بحث فيه حياةَ كلِّ شاعرٍ من هؤلاء الأربعة ، وشعرَه المخضرم ، وإثباتَ نماذج منه ، وشرحَ الغامضِ من كلماته ، وبيانَ المناسباتِ التي قالوا فيها هذا الشعر ، واعتمد في الحديث عن هؤلاء الشعراء على كتب التاريخ ، والتراجم ، والأدب والسِّيرة ، مع بحثٍ مقارنٍ مع الشعر الجاهلي ، وحديثٍ عن مكانة الشعر في الإسلام ، وما زاد الإيمانَ بالله ، واتباع تعاليمه الخلقية ، والاحتفال بجانب النفع والهداية ، وتفضيله على إشباع

الرغبة البشرية والمادية ، والعاطفية من قيمته ، وما أحدثت تلك الميزةُ والطابع من تطوُّرٍ ثوريٍّ وبنائيٍّ في الملكة الشعرية ، والقريحة الأدبية ، وزاد الثروة الأدبية ، والمكتبة الشعرية قيمةً وقامةً .

واستعرضَ المؤلِّفُ مكانةَ هؤلاء الشعراء الذابّين عن الإسلام والرسول ﷺ تاريخياً ونقدياً ، وتناول جوانب أدبيةً وشعريةً بالتحليل والمقارنة ، وإبراز الجوانب الفنيَّة ، باحثاً في تاريخ الشعر وتاريخ الأدب العربي ، وذكر البيئات والمواقع التي قبل فيها هذا الشِّعْر الإسلامي الهادف الفنِّيَ والعاطفي ، والعوامل التي دَفعتْ إليه وحملتْ عليه ، وما تلقَّى هذا الشعر ، أو ما نالوه من مقاوماتٍ وردودِ فعلٍ ، وكان في ذلك مؤرِّخاً أميناً ، يصوِّر ما كان حول هذا الشعرِ وقائليه من تجاوبٍ وتقديرٍ ، ودعاء الرسول ﷺ وإثارة للمناوئين وشعراء الجاهلية وأعداء الإسلام ، للرَّدِّ والاستنكار ، إنصافاً للتَّاريخ وتصويراً للواقع .

لذلك كان الكتابُ كتابَ تاريخٍ ونقدٍ أدبيٍّ ، واستعراضٍ للواقع ، فكانت له قيمةٌ علميّةٌ تاريخيةٌ ونقديَّةٌ لا يُسْتَهانُ بها ، وللكتاب فهرسٌ طويلٌ للمراجع يَدُلُّ على رَحَابة صدر المؤلِّف ، وتجشُّمه عناءَ العناية بالموضوع الذي يرجو منه الأجر من الله ، واعترافاً من المعنيِّين بالأدب والشعر ، والمُنْصِفين من المؤرِّخين والناقدين ، ويستحقُّ بكل ذلك ـ وأقل ما يستحقه ـ أن ينال درجة « الدكتوراه » من جامعة « ندوة العلماء » .

وقد قدَّم الكتابَ الأستاذُ الأديب الباحث محمد الرابع الحسني الندوي (مدير دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، ونائب الرئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية) بمقالٍ تحليليٍّ ضافٍ ، جاء فيه كلُّ ما يحتاج إليه هذا الكتابُ من تقديمٍ ، وما يستحق مؤلِّفه من اعترافٍ وتقديرٍ .

وهذه كلمةٌ قصيرةٌ ، يتقدَّم بها كاتبُ هذه السطور ، اعترافاً بالواقع ، وتقديراً للمؤلِّف العزيز الذي هو عُضْوٌ عاملٌ مساعدٌ للكاتب في مجال الدعوة والكتابة ، والمحيط التعليمي والتربوي في دار العلوم التابعة لـ « ندوة العلماء » التي يتقلَّد كاتبُ هذه السطور جزءاً كبيراً من مسؤوليته وواجباته نحوها .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلَّى الله تعالى وسلم على نبيِّه المصطفى ، وجزى مادحيه ، والذَّابِّين عنه ، والمنوِّهِين بهم أحسنَ الجزاء .

١٦/ ٣/ ١٤١٦هـ
١٤/ ٨/ ١٩٩٥م

أبو الحسن علي الحسني الندوي
رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية
وأمين عام ندوة العلماء ـ لكهنؤ (الهند)

مقدماتُه

لكتب في الأدب العربي

١ ـ الأدب العربي بين عرضٍ ونقدٍ : تأليف الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي .

٢ ـ تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي : تأليف الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني .

٣ ـ باقة الأزهار : تأليف الأستاذ محمد ناظم الندوي .

٤ ـ منثورات من أدب العرب : تأليف الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي .

الأدب العربي
بين عرضٍ ونقدٍ

تأليف

الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي

الناشر
مؤسسة الصحافة والنشر
دار العلوم ـ ندوة العلماء ، لكهنؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

بقلم : الأستاذ الكبير السيد أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله ﷺ !

وبعد : فممَّا يُسْعِد الإنسانَ ويَسُرُّه أن يطلع على جهود زملائه والعاملين تحت إشرافه ومسؤوليته ، ويقدِّم منتجاتهم ومجهوداتهم العلمية والأدبية إلى العاملين في حقل التعليم والدراسة وخدمة العلم والدين .

وقد قُدِّرَتْ لي هذه السعادةُ والغبطةُ ، وهذا السُّرورُ والهناءُ مراراً وتكراراً . فقد قَدَّمْتُ لغير كتابٍ أو مجموعةٍ في اللغة والأدب والإنشاء والكتابة لعددٍ من المشتغلين بالتعليم والتأليف في « دار العلوم لندوة العلماء » ، وها أنذا أشعر بهذه الكرامة وبهذه اللّذة والغبطة من جديدٍ حين أقدِّم لهذا الكتاب الذي يَسُدُّ حاجةً وفراغاً في مكتبة تدريس اللغة العربية والأدب العربي في الهند ، وهو الفراغُ الذي قد ظَلَّ باقياً بعد ما أُلِّفت مجموعاتٌ ومختاراتٌ للقِطَع الأدبية الرائعة ، والتي نالتْ إعجابَ رجال التعليم وأصحاب الذوق السليم في بعض البلاد العربية ، وهو الكتابُ الذي يَجْمَع بين النصوص الأدبية وبين لمحةٍ من تاريخ الأدب العربي ، وما مرَّ به من أدوارٍ وأطوارٍ ، وما واجهه من نزعاتٍ وتياراتٍ وأحداثٍ وعوامل ، تسبغ عليه لوناً جديداً ، ويجعل القارىء على بصيرةٍ من أمر هذا الأدب الذي لم يزل يَمُرُّ بأدوارٍ من الطُّفولة والشباب والكُهولة ، ومن الآفات والعِلل ، والمؤثِّرات الخارجية ، والصحيح والسقيم ، والصالح والطالح ، والطبيعيِّ والمصنوع من الأهواء التي

تكتنفه والحوادث التي تقع حوله والقُوَى والطاقات التي تؤثِّر ، كما يَمُرُّ بها كلُّ كائنٍ حيٍّ ، ويخضع لها في قليل أو كثيرٍ كلُّ إنسانٍ واعٍ ، مُرْهَفِ الحسِّ رقيق الشعور . والأدبُ العربيُّ كأدب كلِّ أمةٍ وبلادٍ أو أكثر من أدب كلِّ أمةٍ وبلادٍ ، فائضٌ بالحيوية والنموِّ ، صالحٌ للتطوُّر والتكيُّف ، مستعدٌ للمسايرة والزمالة ، متجاوبٌ مع روح كلِّ عصرٍ ، متناغمٌ مع نداءاته ومطالبه ، إذاً لم يكن غريباً ولا قبيحاً أن يخضع لهذه القُوى والطاقات ، ويكتسب لوناً جديداً ، لوناً يطلبه العصرُ ويريده المجتمعُ ويفرضه واقعُ الحياة .

لقد تضخَّم موضوعُ النقد الأدبي في هذا العصر ، وتوسَّع توسُّعاً كبيراً لا يخلو من إسرافٍ ومبالغةٍ وتقعيرٍ ، وقد خُصِّص له في كل جامعةٍ ركنٌ وكرسيٌّ ، وكان من أكثر المواد التي عني بها الباحثون والمؤلِّفون والمعلِّمون المحترفون والمتطفِّلون ، حتى أصبح من الصَّعبِ أو المستحيل استعراضُ كلِّ ما كُتب فيه ، والحكم عليه بالصحة والأصالة ، أو مطابقة الذوق الصحيح والمَنْطِقِ السليم ، وكانت مناهجُ دراسة الأدب العربي في شبه القارة الهندية خاليةً من كل مفهومٍ للنقد الأدبي ، ولم يكن معقولاً ولا عملياً تقليدُ المناهج الأجنبية في الإكثار من مادة النقد ، وتوسيعها والتدقيق فيها في بلادٍ لا تتصل بهذه اللغة الكريمة ، وبهذا الأدب الغني الجميل إلا عن طريق الدِّين وعلومه ، وإلا عن طريق القرآن والحديث ، ولم يكن معقولاً كذلك أن يُخِلَّ بهذه الناحية إخلالاً تامّاً ، فيشعر الدارسُ للأدب العربي في هذه القارة كأنه يسير في نَفَقٍ مُظْلِمٍ مسدودٍ لا مَنْفَذَ فيه للنور والهواء ، فلا يتبين الأشخاصُ ولا يرى ملامحهم ، ولا يعرف طبقاتهم ، ومستوياتهم .

فكان لا بُدَّ من التوسُّط والعمل بالمبدأ الحكيم القديم « ما لا يُدْرَكُ كلُّه لا يُتْرَكُ جُلُّه » وكان لا بُدَّ من تعريفٍ بهذه النصوص وأصحابها وتحليل عناصرها وأساليبها ، والإشارة إلى العوامل التي أثَّرَتْ في تكوينها وتلوينها ، ولا بُدَّ من إشارة إلى الأدوار المختلفة التي مَرَّ بها هذا الأدبُ الحيُّ النامي في رحلته الطويلة المليئة بالأحداث والتقلُّبات ، ولا بُدَّ من إثارة الشعور الأدبي الكامن في كل شابٍّ معتدلِ الفطرة ، وتحريكِ حاسته الشعرية والنقدية التي تتذوَّق كلَّ رقيقٍ رائقٍ ، وتتمتَّع بكل جمالٍ

فاتنٍ ، ومن لم يُرْزَقْ هذا الشعورُ وهذه الحاسةُ لم يكن أهلاً لدراسة الأدب العربي وبالأصح لم يكن جديراً بالتقدُّم والنجاح في هذا الموضوع .

وجاء هذا الكتابُ وَسَطاً بين العرض والنقد والجمع والتاريخ ، وهي الحلقةُ الأخيرةُ في سلسلة تدريس الأدب العربي ، والحلقة الأولى في سلسلة تدريس النقد الأدبي ، وعلى هذا الأساس يقدر عملُ المؤلِّف ، فيُنْظَرُ إليه ، ويُحْكَمُ عليه على أنه أوّلُ كتابٍ يُوضع لشبابٍ لم يَعرفوا من الأدب العربي إلا مجموعاتٍ ومختاراتٍ في النثر والشعر ، ومعلوماتٍ بسيطةً بدائيةً عن تاريخ الأدب العربي ، وسيعملون إذا وفِّقوا في حقول التعليم ، وفي مجالات الأدب والثقافة والتأليف في شبه القارة الهندية ، وهي محاولةٌ سريعةٌ في هذا الموضوع ، ومجموع إملاءاتٍ كان يتقدم بها المؤلِّفُ إلى تلاميذه في الفصول ، وهو مُرْهَقٌ بأعمال تدريسية مضنيةٍ كما هو الشأن في مدارس الهند ، التي يَكْثُرُ فيها الدروسُ ويَقِلُّ فيها المعلِّمون ، إذاً لا يستغرب إذا وجد القارىء المتبصِّرُ في هذه المادة قضايا ، أو أحكاماً ، أو آراء لا يُقِرُّها ولا يُوافق عليها ، ولا يخلو من آراءٍ سيعدل عنها المؤلِّفُ بدوره في الطبعات التالية :

يَسُرُّني أن أقدِّم هذا الكتابَ ، ويُؤْسِفني كذلك أن أقدِّمه إلى الأوساط التعليمية والأدبية في الهند ، وهي لم تصل بعد إلى المرحلة التي تستطيع أن تقدر فيها هذه الجهود التي تبذلها ندوة العلماء ، وتنتفع بثمراتها ، ولا تزال المدارس التي تُعَلِّم اللغةَ العربيةَ والأدب العربيَّ تنظُر إلى مَنْ قال قبل أن تَنْظُرَ إلى ما قيل ، وتَنْظُرُ إلى المصدر قبل أن تَنْظُرَ إلى الصّادر ، وتَحْكُمَ على الأشياء وقيمها بموازين خاصةٍ ومعايير أشخاص وأحزابٍ وأوساطٍ ، ورغم ذلك ، فإن الكاتب واثقٌ بأنَّ هذه الجهود ستُثمر في يومٍ من الأيام ، وتَلْقَى من التقدير والترحيب ما تستحق ، وليس للإنسان إلا ما سعى ، وأنَّ سعيه سوف يرى .

يوم الخميس ٢٣/ ٧/ ١٣٨٥هـ	**أبو الحسن علي الحسني الندوي**
الموافق ١٨/ ١١/ ١٩٦٥م	**ندوة العلماء ـ لكهنؤ (الهند)**

تاريخ الأدب العربي
(العصر الجاهلي)

تأليف

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

مخ زبالة

تاريخ – تشقشة

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو أحدُ أقطاب الصحافة الإسلامية اليوم ، وواحد من فرسانها بلا مجاملةٍ ، يشهد بذلك كلُّ من يتتبع مقالاته التي تُدبِّج يراعتُه في مجلة « البعث الإسلامي » وصحيفة « الرائد » ، في معالجة القضايا الإسلامية الراهنة ، وفي الفكر الإسلامي ، وفي موضوعاتٍ شتَّى . مارس الأدبَ ، فبرز كاتباً وأديباً مجلّياً ذا أسلوبٍ فريدٍ . هو ابن أخت العلامة الندوي ، والأخ الأصغر لخليفته الشيخ محمد الرابع ، رافق العلامةَ في كثيرٍ من أسفاره كصِنْوه الشيخ محمَّد الرابع ، واستفاد من العلامة في حلِّه وتَرحاله .

يتَّصف ـ حفظه الله ـ بمكارم الأخلاق ، والاطلاع الوسيع ، والعلم الغزير ، والزّهد في الدنيا ، والإعراض عن شهواتها ، والإخلاص والتواضع ، والبُعد عن الرياء والسُّمعة .

ويمتاز بالذكاء ، واللباقة ، والثقافة الجيدة ، والقدرة على الإبداع في الصحافة .

(هو ممن يُضرَب به المثلُ في الأدب الرفيع ، والسمت العالي ، والتجنُّب عن الفضول ، وحفظ الوقت ، وقلَّة الكلام ، وقلَّة الاختلاط مع الأنام ، والبُعْد عن حبِّ الفخفخة والظهور ، والإقبال على شأنه ، وتعليم الطلاب وتربيتهم ، وبذل الودّ والنصح لهم ، والانبساط لهم)[1] .

وهو الآن عميد كُلية اللغة العربية في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، ورئيس تحرير مجلة « الرائد » الصادرة عنها ، والأمين العام المساعد لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

مِن مؤلَّفاته الأدبية والفكرية :

١ ـ تاريخ الأدب العربي » (العصر الجاهلي) .

٢ ـ أدب الصحوة الإسلامية .

له مئات المقالات المنشورة في أعداد مجلَّة « البعث الإسلامي » وجريدة « الرائد » تُعالج القضايا الإسلامية والعربية ، وهي جديرةٌ بالجمع والإخراج في كتابٍ مستقلٍّ ، ليته يقوم بهذا العمل أحدٌ من تلاميذه !

---

(١) العبارة بين القوسين مقتبسة من « بغية المتابع لأسانيد العلامة الشريف محمد الرابع » : للدكتور محمد أكرم الندوي ، ص : (٤٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

تصديــر

بقلم : سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المرسلين ، وخاتم النبيِّين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

وبعد ! فما تحقَّق وظَهَر جليّاً في العصور الأخيرة : أنَّ تاريخ الأمم والحكومات ، والحضارات ، والثقافات ، والمجتمعاتِ ، والبيئاتِ ، حتى تاريخ العلوم والآداب ـ بما فيها تاريخُ الأدب والشعر ـ خاضعٌ في كثيرٍ من الأحوال لاتجاه المؤلِّف وذوْقِه ، وفي بعض الأحيان لأهدافه الدقيقة ، وأغراضه البعيدة ، فإنَّ الباحث يجد لكلِّ ما يريده مادةً غنيةً منثورةً مبعثرةً في كتب التاريخ ، والقصص والحكايات ، والمحاضرات والفُكاهات ، حتى في كتب الرَّحلات والمذكِّرات ، لو جُمِعَتْ في مكانٍ واحدٍ بلَبَاقةٍ كتابيةٍ وقدرةٍ تأليفيةٍ ؛ لكونت كومةً من الدلائل الواضحة والبراهين الساطعة ، على أنه كان يَسُوْدُ هنالك لونٌ خاصٌّ من الحياة على المجتمع كلِّه ، وعلى أنَّ الأدبَ والشِّعر ، والإبداع والابتكارَ ، والعبقرية البيانية أو الخيالية ، كانت تدور حول مِحْوَرٍ خاصٍّ ، وتتدفَّق من مَنْبَع خاصٍّ ، قد تكون النَّهامةُ بإشباع الغرائز ، والتمتُّع الزائد بالحياة ، والاندفاعُ المتهوِّرُ إلى التيارات أو الترفيه والتسلية ، والوصولُ إلى أغراضٍ ماديةٍ ، فمن اقتصر على قراءة كتاب « الأغاني » لأبي الفَرَج الأَصْبَهاني (م ٣٥٦هـ) ، وكتابِ « ألف ليلة وليلة » من

النثر العربي ، أو ديوان بَشَّار بن بُرْد (م ١٦٧هـ) ، وأبي نُواس (م ١٩٩هـ) ، من الشعر العربي ؛ اقتنع بأنَّ المجتمع الإسلامي العربي في العصر العباسي ، كان مجتمعاً متره‍ِّلاً بَطِراً وِفْقَ التعبير القرآني .

يُضاف إلى ذلك أنَّ المؤرِّخ أو المؤلِّفَ في موضوع وصف حضارةٍ وتحليلِ عناصرها وتركيبها النفسي والحضاري ، لو اقتصر على كتابٍ للجاحظ (م ٢٥٥هـ)، أو كتبٍ في حكايات المتطفِّلين والعيارين ؛ استطاع أن يُثْبِتَ : أن المجتمع في العصر العباسي مثلاً كان مُنْصَبِغاً ـ بجزء كبيرٍ وسمعةٍ بارزةٍ ـ بسَجِيَّة البُخْل ، الذي كان العربُ في جاهليتهم وإسلامهم من أبعد الأمم عنه ، فضلاً عمَّا جاء الإسلامُ به من حَثٍّ على الجُوْدِ ، وإيثار الغير على النفس ، ومكارم الأخلاق والشَّهامة ، واستنتج بذلك بعض المتأمِّلين في القرآن ، والمتدبِّرين له حكمةَ ورودِ ذَمِّ الإسراف والتبذير في القرآن أكثر من ذَمِّ البُخْل ، حتى وَرَد في ذَمِّ التبذير من الكلام القوي العنيف اللاَّذِع ما لم يرد في ذَمِّ البُخْلِ ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الإسراء : ٢٧] وذلك لأن البخل لم يكن من سجايا العرب ، ولا يتفق مع طبيعتهم الأصيلة ، ولم تكن حاجةٌ إلى التشنيع عليه ، واستهجانه لهذا القدر .

ومن قرأ كتابَ « الأذكياء » للإمام الحافظ ابن الجَوْزِي ، وبابَه الخاص بفِطَنِ المتطفِّلين ؛ استنتج : أنه كان للمتطفِّلين والعيارين دولةٌ وصولةٌ في هذه العصور الذهبية ، مع أنَّ ذلك كان من الحوادث النادرة التي لا يخلو منها عصرٌ من العصور ، قد ضَخَّمها ولَوَّنها القَصَّاصون ، والفُكَاهِيُّون للسَّمْر والتسلية وإزالة السآمة ، وإدخال السرور على المجلس ، وحرصاً على التنادُرِ .

وكذلك من اقتصرت دراسته على كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم ، أو « صفة الصفوة » لابن الجوزي ، أو « إحياء العلوم » للغزالي ، أو كتبٍ في الزهد ، وأخبار الزهاد لشيخ الإسلام عبد الله بن المبارك وغيره ؛ استطاع أن يصوِّر للقارىء ، الجانبَ المشرقَ الربَّانيَّ من المجتمع الإسلامي وحَدَّه ، ويعطي انطباعاً للقارىء أنَّ المجتمع الإسلامي في بغداد ، وفي العواصم الإسلامية كان مجتمعاً ـ مئة في المئة ـ متبتِّلاً زاهداً ، مُقْبِلاً على الآخرة بالكلية ، عزوفاً عن اللَّذَّات والشهوات ، مع أنه

كان يُوجَد كلُّ هذا بنسبٍ مختلفةٍ ، ولكن القضية قضية التناسُب ، وقضية المقارنة العادلة ، وتجريد الفكر ، والقلم عن الخضوع ـ وبالأصَحِّ إخضاع الحوادث والمادة التاريخية ـ لنزعةٍ خاصةٍ ، أو أغراضٍ غامضةٍ أحياناً ، واضحةٍ أخرى .

ثم إنَّ عملية الكتابة والتآليف في تراجم الرجال ، أو تاريخ عهدٍ ، أو حضارةٍ ، أو دينٍ ودعوةٍ ، أو حركةٍ وفلسفةٍ ، لا تنتهي في فترةٍ زمنيةٍ أو مدرسةٍ تأليفيةٍ ، فلا تزال هنالك حلقاتٌ مفقودةٌ طيلةَ قرونٍ ، يُعْثَرُ عليها فجأةً ، أو مطمورةٌ في رُكَامِ من التفاصيل والجزئيات ، يُنْفَضُ عنها الغبارُ الذي تراكَمَ عليها ، أو الأنقاضُ التي غَطَّتْها ، فلا بُدَّ من مواصلة البحث وهمَّةٍ عاليةٍ ، وثقةٍ بوجود الجديد المجهول ، والطريف المغمور في المكتبة العربية الإسلامية ، التي هي مِن أغنى المكتبات وأوسعها ، فيها كتبٌ ، أو مخطوطاتٌ لم تَرَ ضوءَ الشَّمْسِ ، ولم تصل إليها يَدُ متناولٍ ، وبذلك تقدَّمت الثقافاتُ ، واكْتُشِفت الحقائقُ الجديدةُ ، وتغيَّرت الآراءُ والنظرياتُ ، وأُصْلِحَتِ الأخطاءُ ، وأُنْصِفَ لدعواتٍ وحركاتٍ ، وأُسَرٍ وشخصياتٍ أو مجتمعاتٌ أو حضاراتٍ ، ولا تزال المكتباتُ في الشرق والغرب تَطْلُعُ بالجدير المجهول الذي كان يتسامَعُ به علماءُ ذلك الفَنِّ ، ولا يجدونه ، فلا بُدَّ من الإفادة من ذلك .

تَرْجِعُ الحكايةُ إلى الثلاثينات الأولى من القرن الميلادي الجاري ، حين أُسْنِدَ إلى الكاتب ـ مع ما أُسْنِدَ إليه من دروسٍ في التفسير والحديث واللغة والأدب ـ تدريسُ كتاب « تاريخ الأدب العربي » للأستاذ أحمد حسن الزيَّات ، فكان ذلك هو الكتابُ الحديثُ الأحدثُ في موضوعه ، وكان كتاباً له قيمةٌ أدبيةٌ موضوعيةٌ ، واشتغل الكاتبُ بتدريسه في صَفٍّ من صفوف دار العلوم التابعة لندوة العلماء عِدَّة سنين ، هذا مع اطلاعٍ سابقٍ على كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » لجُرْجِي زَيْدَان وغيرِه من كتبٍ أُلِّفَتْ في هذا الموضوع ، فكان مع تقديره لهذا الكتابِ الذي جَمَع بين بحثٍ رصينٍ ، واختيارٍ مُوَفَّقٍ للنماذج الشعرية والنثرية ، وكتابةٍ أدبيةٍ في أسلوبٍ عربيٍّ عصريٍّ جميلٍ ، يشعر بحاجةٍ إلى تأليفٍ جديدٍ في تاريخ الأدب العربي ، يحتوي على مادةٍ جديدةٍ ، وزياداتٍ تستخرج ممَّا كُتِبَ في تاريخ الأدب والأدباء

والشعر والشعراء من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث أصالةً ممّا لم يكتب في هذا الموضوع بالتحديد ، ولكنه يتصل به بنسبٍ قريبٍ أو بعيدٍ ، أو لا يتصل به أصلاً ، ولكنه يفاجىء القارىء والباحث بجوانب عديدةٍ ، أو يجعله يتأمَّلُ فيما آمن به ، واقتنع به من نظرياتٍ وآراءٍ في منازل الأدباء والشعراء ، والنزعات التي كانت تَسُوْدُ على عصرهم وبيئتهم ، وتعمل عملها في شعرهم وتفكيرهم .

وكنتُ أُحِبُّ أن أتفرَّغ لهذا العمل ، وأُغامِرَ بنفسي في هذه الرحلة الطويلة المُثيرة لكثيرٍ من الاستغراب والاستنكار ، وأُعْطي بعض الأقطار التي تكوَّنت فيها مدرسةٌ أدبيةٌ شعريةٌ نقديةٌ جديدةٌ ، ومَثَّلَتْ دوراً خاصاً في تاريخ الأدب والشعر ، والبحث والتحقيق ، والمعاجم ، والشروح ، وشرح المصطلحات العلمية وعلم البلاغة .

أَخصُّ منها (شبه القارة الهندية) التي انتهت إليها رئاسةُ بعض العلوم الدينية ، والأدبية بعد القرن الثامن الهجري بصفةٍ عامةٍ ، وهجوم التَّتار على الشرق البعيد الذي كان موطن العلوم ، ومركز الدراسات الإسلامية ، والشرق العربي بما فيه العراقُ ، ومصرُ ، والشامُ بصفةٍ خاصةٍ ، فقد أغفل ذلك أكثرُ المؤرِّخين للثقافة الإسلامية والأدب والشعر ، لا عن عصبيةٍ جنسيةٍ ، أو نزعةٍ سياسيةٍ ، ولكن لقلَّة وجود المصادر العربية في هذا الموضوع[1] . ولكن صرفت الكاتبَ عنه صوارفُ ، منها أعماله التأليفية في تعليم اللغة والأدب في بلاد كالهند ، منها سلسلة « قصص النبيين » للأطفال و « القراءة الراشدة » وكتاب « مختارات من أدب العرب » ومنها أنه كان يستعظم هذا العملَ ، ويعتبره عملاً مَجْمَعياً ، موسوعياً يقوم به مجمعٌ علميٌّ ، أو جماعةٌ من الأساتذة الذين مارسوا تدريسَ هذه المادة سنين طوالاً ، واتسع اطلاعُهم على مصادره ومَظَانِّه .

---

(١) وذلك الذي حمل العلاَّمةَ السيد عبد الحي الحسني (م ١٣٤١ هـ) (والدُ كاتب هذه السطور) على أن يؤلِّف كتابَه الكبير « الثقافة الإسلامية في الهند » الذي لا يزال المرجع الوحيد لإنتاج علماء الهند العلمي الديني والأدبي بعد دخول الإسلام في هذه البلاد إلى وفاة المؤلِّف ، وقد صدرت له طبعتان من مجمع اللغة العربية في دمشق .

ولكن رغم تهيُّبِه لهذا العمل العِمْلاق الكبير كانت فكرةُ استعراضِ المكتبة الأدبية العربية ـ النثرية والشعرية ـ من جديدٍ ، وإثارة الكنوز الدفينة فيها ، وإدالة الأدب المطبوع النابع من أعماق القلب أو العقيدة الراسخة ، والفكرة القاهرة ، والمعبِّر عن ضمير حُرٍّ سليمٍ ، من الأدب المصنوع المتكلِّف ـ إذا لم نَقُلْ المحترف الانتهازي ـ وإعطاءه حقَّه من العناية والتقليد ، والإجلال والتقدير ، كانت تنتابه وتتردَّد في خاطره ، فكتب مقالاً لمجلَّة اللغة العربية ، مجلَّة « المجمع العلمي العربي »(١) بدمشق حين اختير الكاتبُ عضواً مُراسِلاً فيه سنة ١٩٥٧م بعنوان : « نظرةٌ جديدةٌ إلى التراث الأدبي العربي » وقد استرعى هذا المقالُ انتباهَ المعنيِّين بالأدب العربي وعرضه من جديدٍ ، وإعداد البحوث العلمية فيه ، وأَوْلَوه من التقدير والاهتمام ما لم يكن يتوقَّعهما كاتبُ المقالِ(٢) .

ولم تزل فكرةُ وَضْعِ كتابٍ جديدٍ أو سلسلةِ كتبٍ في تاريخ الأدب العربي في مختلف الأدوار ، ومختلف الأقطار ، تُراوِد خاطرَ الكاتب ، وتتردَّد بين حينٍ وآخر ، ولعلَّ هذه العملية الفنية كانت تتأخَّر كثيراً ولا تتحقَّق أصلاً لعُلُوِّ سِنِّ الكاتب وانصرافه إلى مجالاتٍ أخرى من التأليف والدعوة ومسؤولياتٍ نِيْطَتْ به في بلاده وخارج بلاده ، ولكن أراد الله أن تناط هذه العملية التحقيقية البحثية التي هي في صميم تعليم اللغة العربية وآدابها بـ« ندوة العلماء » ، والتي كان لها شرفُ الدعوة إلى تعليم اللغة العربية ، على الطريقة القويمة الصحيحة ، ودراستها كلغةٍ حَيَّةٍ ، ناميةٍ دافقةٍ بالقُوَّة والحَيَوِيَّةِ تقضي حاجاتِ النفس كما هي تقضي حاجاتِ العصر ، وأن تكون مكتفيةً في تعليم تاريخ الأدب العربي ، كما كانت مكتفيةً في عديدٍ من أقسام العلوم والمجالات العلمية والتعليمية .

---

(١) مجمع اللغة العربية حالياً .

(٢) يمكن الاطلاعُ على هذا المقال في مجموع مقالات للعلامة الندوي « نظرات في الأدب » من مطبوعات رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، (طبع دار القلم بدمشق ص : ١٢ ـ ٢٥) ، أو كتاب « أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب » تأليف : سيد عبد الماجد الغوري ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

فكانت للكاتب مفاجأةٌ سارَّةٌ حين عَلِمَ : أن أستاذَيْن بارزين من أساتذة « جامعة ندوة العلماء » ، وهما : الأستاذ محمد الرَّابع النَّدْوِي ، والأستاذ واضح رشيد الندوي ، قد تكفَّلا بوَضْعِ منهجٍ دارسيٍّ ، وتأليفِ سلسلةٍ من كتبٍ في تاريخ الأدب العــربي ، واستقلَّ الأستاذُ واضح رشيد الندوي بقسم العصر الجاهلي من تاريخ الأدب العربي ، والأستاذ محمد الرابع الندوي بجزءِ صَدْرِ الإسلام من تاريخ الأدب العربي ، وقَرَّر الاستمرارَ في إتمام هذه السلسلة إلى أن تصل إلى الدور المعاصر ، وإلى إبراز قسطِ شبه القارة الهندية في إثراء المكتبة العربية الأدبية والعلمية ، ومعطياتها في بعض المجالات والميادين ، وبذلك تكمل هذه السلسلة الذهبية بإذن الله تاريخياً وجغرافياً ، وشمولاً واحتواءً ، وقد ساعدهما على ذلك إلمامُهما باللغة الفارسية والإنكليزية ، فضلاً عن الأردية - لغة الهند العلمية الدينية - واطلاعُهما على المصادر الحديثة في تاريخ العلوم والآداب ، والنظريات العصرية ، وزيادةً على ذلك النظرةُ الإسلامية الموسَّعة ، البعيدةُ عن تقديس الغرب ، والاعتماد عليه الاعتماد الزائد ، والتطفُّل على كتابات المستشرقين ، وإعطاؤهم ما لا يستحقُّونه من التفخيم والتقدير ، والنَّقْلِ والتقليد .

وأخيراً نسأل الله تعالى جاهدين مُخْلِصين التوفيقَ لإتمام هذا العمل الجليل ، وأنْ يَمُدَّ في عُمُرِهما ويأخذ بيدهما لينتهيا بهذا العمل إلى غايةٍ سديدةٍ رشيدةٍ ، سليمةٍ كريمةٍ ، وأن يكتب التوفيقَ لدورِ التعليم العربي والديني في شبه القارة للانتفاع بمجهود بعض زملائهم ، فالمدارس والجامعات الدينية كلُّها ، أسرةٌ واحدةٌ ، والعاملون فيها زملاءُ في الوصول إلى غايةٍ واحدةٍ ، والله وليُّ التوفيق .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دارة الشيخ علم الله الحسني رحمه الله

رائي بريلي

٢٥ من ربيع الأول ١٤١٠هـ

٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٨٩م

باقة الأزهار

تأليف

الأستاذ محمد ناظم الندوي

نبذة من ترجمة المؤلِّف

كان من أبرز علماء باكستان وأدبائها بلا منازع ، ولم يكن هناك من يُدانيه في الآداب العربية والبراعة اللغوية ، فكانت له جماعةٌ من الأدباء والعلماء ممَّن تتلمذوا عليه ، واستفادوا منه في العربية .

كان من زملاء العلاَّمة أبي الحسن الندوي في الدراسة في دار العلوم ، وكان آخرَ عضو من الرعيل الأول للأدباء ، ممَّن أنجبتهم دار العلومُ في عهدها المبكِّر .

تعينَ الأستاذ محمد ناظم في منصب رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في دار العلوم ، وظلَّ على هذا المنصب إلى مدةٍ لا بأس بها ، ثم قام بالتدريس في الجامعة العباسية ببهَاوَلْفُوْر (باكستان) ، وبناء على مؤهّلاته الأدبية وتجربته الطويلة في مجال تعليم اللغة العربية وآدابها انتدبته الجامعةُ الإسلامية بالمدينة المنوّرة كأستاذٍ للأدب العربي في أيامها الأولى ، فعمل في هذا المنصب إلى أنْ أُحيل إلى المعاش ، واستقرَّ في كراتشي ، ثم استوطنها . توفِّي عام ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م) عن عمر يُناهِز (٨٨) عاماً .

له كتبٌ ومقالاتٌ قيمةٌ بالعربية ، ومنها « المنهج الجديد لدراسة اللغة العربية » في أربعة أجزاء ، والذي نال قبولاً في أوساط الأساتذة والطلاب جميعاً في المدارس الإسلامية والجامعات العصرية ، كما أنه نقل كتابَ العلاَّمة السيِّد سليمان الندوي في موضوع السيرة ، الذي كان ألَّفه باسم « خطبات مَدْرَاسْ » باللغة الأردوية ، نقله إلى العربية الجميلة بعنوان « الرسالة المحمدية »[١] تُعتبر ترجمتُه نموذجاً رائعاً للأدب الجميل .

وكان شاعراً مجيداً بالعربية ، وله ديوانٌ مطبوعٌ بعنوان « باقة الأزهار »[٢] ، ظهرت قدرتُه على القوافي في قصيدته التائية في وصف روضة ، يقول في آخرها :

لعلَّ نُجومَ الفَلك لَمْ تَرضَ أنْ تَرى ... مثيلاً لها بالأرض في لمعاتِ
فأوحتْ إلى أختٍ لها في سَمائها ... لتُرسِلَ عليها الضَّوء باللفحات

---

(١) طُبع بعناية سيد عبد الماجد الغوري في دار ابن كثير بدمشق .

(٢) طُبع في كراتشي .

فكانتْ كما شاءتْ وزالَ بهاؤها   وَجفَّ بها ما كانَ مِنْ قطراتِ

وظهرت الواقعيةُ في وصف رجل القرن العشرين ما له وما عليه في قصيدةٍ طويلةٍ فيها خمسة وثلاثون بيتاً ، والاستعراض التاريخي في قصيدةٍ عن أخلاق اليهود فيها أربعون بيتاً ، وفي وصف الحضارة الغربية وإنكار الوجودية .

وكذلك ظهرت حميتُه الدينية في شعره في رثاءِ الملك فيصل بن عبد العزيز الشهيد رحمه الله ، وقد نبع كلُّ هذا الشعر عن عاطفةٍ إسلاميةٍ قويةٍ ، وحميةٍ دينيةٍ[1] .

---

(١) من « أبو الحسن علي الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب » للسيد عبد الماجد الغوري ، ص : (٨٨٨ ـ ٨٨٩) .

مقدمة

بقلم : أبي الحسن علي الحسني الندوي

إنَّ الكتابةَ عن صديقٍ حميمٍ وزميلٍ قديمٍ ـ قضى معه الكاتبُ شَطْراً من العُمُرِ من أهْنأ أوقات الحياة ، وأطيبها وأصفاها ـ أو إبداءَ انطباعاتٍ عن أدبه وشعرِه محنةٌ كبيرةٌ للكاتب ، فإنه تتمثَّل له الصُّوَرُ ، وتنثال عليه الذكرياتُ ، وتتجدَّد له الأحزانُ ، والأفراحُ ، يحار بينها الكاتبُ ، ويقف مشدوهاً مغلوباً على أمره ، كيف يتغلَّب عليها ، وكيف يَشُقُّ الطريقَ من بينها ، وكيف يُمْسِكُ عَنَانَ القلم ، فلا يرخيه ، ولا يُرْسِلُ النفسَ على سَجِيَّتها ، ويُنْشِدُ بيتَ الشاعر الحماسي :

وأَذْكُرُ أيَّامَ الحِمَى ثم أنْثَني   على كَبدي من خشيةٍ أن تَصَدَّعا

كُنَّا ثلاثةَ أصدقاءِ ، زملاء في الثلاثينات الأولى من هذا القرن الميلادي في « ندوة العلماء » بلكهنؤ ، معروفين بهُيامهم باللغة العربية وآدابها ، يُشار إليهم بالبنان ، وقد ينظر إليهم شَزْراً لمغالاتهم في حُبِّها ، وتفانيهم في الانتصار لها ، والدعوة إليها ، والتشاغُل بها دراسةً وكتابةً ، ونُطقاً وتدريساً ، وهم : الأستاذُ الكبير الشيخ (مسعود عالم الندوي)[1] ، رائدُ الصحافة العربية وزعيمُها في شبه القارة الهندية ، والكاتبُ الأديبُ المؤرِّخُ الصحفيُّ الإسلاميُّ ، وكان أكبرَ بـ (هَاوَلْبُور) الباكستان ، تخلَّلت ذلك فترةٌ قضاها أستاذاً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة ، إلى أن أُحيل إلى المعاش واستقر في (كَرَاتشي) بارك الله في حياته ، ومتَّعهُ بالصحة ، والعافية والتوفيق لما يُحِبّ ويرضى !

وقد كان الأستاذُ محمد ناظم الندوي يقول الشعر أحياناً ، ولم يكن في زمنٍ من

---

(١) وهو المشهور بالأستاذ مسعود الندوي رئيس تحرير مجلة « الضياء » العربية ، انظر ترجمته في كتاب « أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب » .

الأزمان من المُكثِرين ، إنما كان شاعر « الندوة » الأستاذ اللُّغوي الضليع المرحوم (أبو الزبرقان الشيخ عبد الرحمن الكَاشْغَري الندوي) ، صاحب ديوان « الزهرات » ، الذي قَدَّم له الأستاذُ عالم الندوي بمقدمةٍ بليغةٍ ، وكان له لكل مناسبةٍ وعند قدوم كل ضيفٍ محتفىً به قصيدةٌ رنَّانةٌ .

وقد اطَّلَعْتُ على سبيل المصادفة في قطعٍ شعريةٍ للأستاذ محمد ناظم ، وأخذت منه قصيدةً قالها في القلم ، وكان من خَبَرِها : أن أستاذنا العلامة (السيد سليمان الندوي) ، رحمه الله ، أهدى إليه قلماً ، ففاض قلبُه بالشكر ، والامتنان على هديةِ قلمٍ يهديها أكبرُ كاتبٍ إسلاميٍّ في شبه القارة الهندية ، ومن أكبر الكتابِ والمؤلِّفين في عصره ، فكانت خيرَ هديةٍ من خيرِ مُهْدٍ ، وجاشت قريحتُه بشعرٍ بليغٍ يصدر من أديبٍ يعرف قيمةَ القلم ، ويُحْسِن استخدامَه في النثر والنظم ، واقتبستُ هذه القصيدةَ لكتابي « القراءة الراشدة » الذي كنتُ أيامها مشغولاً في تأليفه ، ولعلَّ كثيراً من أصدقائه لم يعرفوا : أنه شاعرٌ إلا بهذه القصيدة ، وهي عندي من أحسن ما قيل في القلم خصوصاً الأبيات الأخيرة ، منها :

يَفري الأمورَ بحَدِّه ولمَجْدِه يَعْنو الزَّمَن
يرقى اللَّديغ بنفثه فيهبُّ يمشي من وسن
يسقي الجديب بنبعه فإذا به روضٌ أغن
سيفٌ صقيلٌ في الوغى موتٌ ذريعٌ بالرَّسَن

وحَصَلْتُ على مجموعةِ شعره قريباً ، فتجوَّلتُ في أصنافٍ من الشعر لم أكن قد اطلعتُ عليها قَبْلَ هذا ، ولاحظتُ : أنَّ ملكته الشعرية قد نضجَتْ وترقَّت مع الزمن ، قرأتُ له قصيدةً في وصف (تاج محل) ، تلك الدُّرَّة اليتيمةِ في الفنِّ المعماري ، وقد ظهرت فيه قدرتُه على الوصف ، وقرأتُ له قصيدةً في مَدْحِ المجاهدين الفلسطينيين ، فأُعْجِبْتُ بقدرته على وصف الحرب ، واختيارِ الكلمات المناسبة لها ، وقد تجلَّت فيها جزالةُ القديم ، وتضلُّعٌ من الأدب العربي ، وتأثرٌ بالشعر العربي والوصفي في العهد العباسي .

وقرأتُ قصيدةً في وصف الحَجِّ ، وأيام مِنَىٰ ، فأعجبتُ بقدرتِه على التعبير عن

المشاعر والأحاسيس الدينية والوِجْدَانية ومطاوعةِ اللفظ العربي لها ، يقول في هذه القصيدة :

إذا ما ظلامُ الليل يأتي بطَيْفها يُدَغْدِغُ قلبي ناعمَ اللمْسَاتِ
هي الحُزْنُ والسُّلْوانُ والداءُ والشفا وتوحي إليَّ الشعر كالزَّهَرَاتِ
هي الرُّوح والرَّيْحانُ والهَمُّ والأسى ومنها يفيض الشعرُ كالقَبسَاتِ

وقد ظهرت قدرتُه على القوافي في قصيدته التائية في وصف روضةٍ ، يقول في آخرها :

لعل نجومَ الفَلَكِ لم ترضَ أن ترى مَثيلاً لها بالأرض في لمعاتِ
أوحت إلى أختٍ لها في سَمَائها لترسل عليها الضَّوء باللفحات
فكانت كما شاءت وزال بهاؤها وجفَّ بها ما كان من قطراتِ

وظهرت الواقعيةُ في وصف رجلِ القرن العشرين ما له وما عليه في قصيدةٍ طويلةٍ فيها خمسة وثلاثون بيتاً ، والاستعراض التاريخي في قصيدةٍ عن أخلاق اليهود وفيها أربعون بيتاً ، وفي وصف الحضارة الغربية وإنكار الوجودية .

وظهرت حميَّتُه الدينيةُ في رثاءِ الملك فيصل بن عبد العزيز الشهيد رحمه الله ، رائد التضامن الإسلامي ، والملك العاقل البعيد النظر ، المحتضن للقضايا الإسلامية في العالم الإسلامي ، وفي التغنِّي بالجهاد الفلسطيني ، وبطولة المجاهدين المغامرين ، وقد نَبَع كلُّ هذا الشعر عن عاطفةٍ إسلاميةٍ قويةٍ وحميةٍ دينيةٍ .

أمَّا بعد ، فإنِّي لم أقُلْ شيئاً عن صديقي الحبيب ، وزميلي الأريبِ ، الأستاذ محمد ناظم الندوي ، فالوقت ضَيِّقٌ ، والفكر مشغولٌ ، والقلبُ جريحٌ ، والأحداث التي وقعت قريباً في الشرق العربي ، وفي شبه القارة الهندية تشْغُل القلبَ ، وتصرف القلم ، ومعذرةً إلى الأستاذ محمد ناظم الندوي ، وإلى شعره وأدبه ، وإلى القلب الذي أحَبَّه ، واعْتَرَف بفضله .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

منشورات

من أدب العرب

تأليف

محمد الرابع الحسني الندوي

نائب الرئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

والمدير العام لدار العلوم التابعة لندوة العلماء

لكهنؤ (الهند)

قدم له

الشيخ السيد أبو الحسن الندوي

دار ابن كثير

دمشق ـ بيروت

مقدمة الكتاب

لفضيلة الأستاذ الجليل السيد أبي الحسن علي الحسني النَّدوي
الأمين العام لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

يسُرُّني ويُسْعِدني أن أقدِّم إلى القراء وإلى تلاميذ المدارس العربية في الهند وباكستان كتاب « منثورات » للأستاذ محمد الرابع الحسني .

إنَّ هذا الكتاب حَلقةٌ في سلسلةِ كتب اللغة العربية والأدب العربي التي تكفَّلت « ندوة العلماء » بوضْعِها ونشرها وتقديمها إلى شقيقاتها دُور التعليم الإسلامي العربي ، وهي سعيدةٌ ومُغتبطةٌ بما قدَّمته من كتبٍ ومجاميع تَسُدُّ عَوزاً كبيراً في اللغة العربية ، وتعرضُ آدابها عَرْضاً جميلاً صحيحاً يجدر بمكانة هذه اللغة وسَعَتِها وجمالها ، ومُصمِّمةٌ على إتمام هذه السلسلة وإكمال هذه المُهمةِ بإذن الله .

لقد ظلَّتِ المدارسُ العربيةُ ـ كما طاب لها أن تُسَمِّي نفسها ـ مقتصرةً في تدريس اللغة والأدب العربي على بضعةِ كتبٍ في النَّثرِ والنَّظْمِ ، وأصبح الأدبُ العربيُّ ـ الذي هو من أوسع الآداب في العالم وأجملِها ـ محصوراً في هذه الكتب الأربعة أو الخمسة ، محصوراً في أسلوبٍ واحدٍ أو أسلوبين وُضِعَتْ فيهما هذه الكتبُ ، وهنالك ساءَ الظنُّ بهذه اللغة وآدابها ، وضاقَ البيانُ وفَسَدَتِ اللغة ، وضَعُفَ التصنيفُ ، وأصبحَ ما يكتبُه علماءُ الهند في العربية صورةً واحدةً لا جِدة فيها ، ولا طرافةً ، وهيكلاً عظمياً لا رُوْحَ فيه ولا دَم .

لقد كانت هذه المدارسُ غير مُضْطَرَّةٍ إلى هذا الزُّهْد أو القناعة ـ غير المحمودة ـ في تدريس الأدب العربي ، فقد كانت عندها وبمتناول يدها ثروةٌ زاخرةٌ من الأدب العربي الصحيح ، وقد كانت في تصرُّفها مكتبةٌ واسعةٌ في اللغة العربية والأدب

العربي ، ألا وهي كُتُب الحديث ، والسيرة النبوية ، والمغازي ، والتاريخ الإسلامي وكتب كبار المؤلِّفين ، والمفكِّرين في الإسلام ، ولكن لم يَخْطُرْ ببالها يوماً من الأيام أن تُفيد من هذه المكتبةِ العظيمةِ في ناحية الأدب واللغة ، وفي تعليم البيان العربي والبلاغة العربية ، وظَلَتْ مُتشبِّثةً بآثار الكُتَّاب والمؤلِّفين الذين نشؤوا في عصور الانحطاط الخُلُقِيِّ ، والجدبِ الأدبي ، مُستبدلةً الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ ، وقد كان شأنها في ذلك شأن شابٍ غمرٍ وَرِثَ من أبيه ثروةً طائلةً وكَنْزاً دفيناً في فناء بيته وهو يعيش في حياة فقرٍ ، وبُؤسٍ ، ويُعاني الجوعَ ، والعُرْي .

لم تكنْ لهذه المدارس ـ لو فهِمت معنى اللغة والأدب فَهْماً صحيحاً ـ إلا أن تَعصِرَ من هذه المكتبةِ الخَصْبَةِ قطراتٍ تستعين بها في تدريس اللغة والأدب وإنشاء مَلَكةِ البيان ، وقد كانت هذه المكتبةُ السَّخيةُ تستطيع ـ بقليل من الجهد وبقليلٍ من الذَّوْق ـ أن تُعطي هذه المدارس ومنهاج التعليم كُتباً أدبيَّة أفضل بكثيرٍ من الكُتب والمنتخبات التي وقع عليها الاختيارُ في القرن الماضي ، أفضلَ منها في الناحية الأدبية والفنية ، وفي الناحية الخُلُقية والدينية ، ولكنَّ هذه المكتبةَ بَقِيَتْ مطمورةً مختومةً لا يُفَضُّ خاتَمُها ولا تُقلَّبَ إلا للاستفادة في الدِّين والتاريخ والبحوث العلمية ، وهي جَديرةٌ بذلك ، إلا أنَّ فيها فَضْلاً يعود على الأدب واللغة ، ومادةً تكوِّن منها مختاراتٍ ومنثوراتٍ كثيرةً تكون أساساً صالحاً لتدريس الأدب العربي في مناحيه المختلفة ، وأساليبه المتنوِّعة .

لقد انتشرت الإفادةُ من هذه المكتبة لتدريس الأدب في الأقطار العربية ، وكثُرَتِ المجاميعُ الأدبيةُ والمنتخَباتُ في الأيام الأخيرة إلا أنَّ مؤلِّفيها اقتصروا ـ في غالب الأحيان ـ على اختيار النُّصوص الأدبية المجرَّدةِ من الرُّوْح الدينيِّ والفكرةِ الدينية ، والاختيارُ ـ كما يعرفه المؤلِّفون ـ دائماً خاضعٌ لفكرة المؤلِّف وعقيدته وتربيته ، والاختيارُ هو أحد التأليفين أو صورةٌ نفسية للمؤلِّف ، لذلك جاءَتْ هذه المنتخباتُ الأدبيةُ التي أُلِّفَتْ في الأقطار العربية لا تُرضي رجالَ التعليم الديني في الهند وباكستان الذين لا ينظرون إلى اللغة العربية إلا كوسيلةٍ للرُّسوخ في الدِّين والتشبُّعِ بالروح الدينية ، واضْطرَّ المؤلِّفون في الهند ، والمشتغلون بتعليم الأدب العربي إلى

استعراضِ المكتبة العربية بأنفسهم ، والاقتباس منها من جديدٍ ، حتى يخرجوا منها بكتابٍ يجمع بين البيان العربيِّ المُشرق ، والفكرة الإسلامية الصافية ، والروح الدينية القويَّة ، والمكتبةُ العربيةُ تُسْعِفُ حاجةَ ، كُلِّ طالبٍ وتَبْلُغُ همَّة كُلِّ قاصدٍ .

هذا منهجُ المؤلِّفِ في هذا الكتاب ، الذي أسْعَدُ بتقديمه وتلك خِطَّتُهُ فيه ، فإنه اقتبسَ من كتب السِّيرة والتاريخ والأدب والدِّين قِطعاً نابضةً ، مُشرقةَ الدِّيباجةِ ، واضحةَ الفكرةِ ، إسلاميةَ النزعةِ ، تغذي الملكةَ الأدبيةَ والعاطفةَ الدينيةَ في وقتٍ واحدٍ ، وتُمثِّل الأخلاقَ العربيةَ الفاضلةَ ، والحضارةَ الإسلاميةَ المُثْلَىٰ ، وقد جَمَعَ فيه المؤلِّفُ بين النثرِ البليغ ، والشعر الرقيق ، والأدب القديم ، والأدب الحديث ، فجاء كتابُه مجموعةً جامعةً تغرسُ في قلوب الناشئة حُبَّ هذه اللغة الكريمة التي يدرسونها ، وحبَّ الأخلاق والأغراضِ التي يحمِلُها أدبُها ، وحُبَّ المجتمع الذي عاشت فيه هذه اللغةُ وآدابُها ، ويدفعهم إلى تقليد هذه الأساليب الأدبيةِ السَّهْلَة الطبعيةِ ، ويَرَوْنَ : أنَّ كُلَّ ذلك ميسورٌ ، فنشأ فيهمُ الثقةُ بنفوسهم ، وبدينِهم ، ولُغتهم ، وقريحتِهم .

أكْتُبُ هذا وأنا أَعْرِفُ صعوبةَ الاختيار وجُهْدَ المؤلِّفِ لمثل هذه المجموعة على كثرة مصادرها ومراجعها[1] لذلك أُهَنِّئُ المؤلِّف على الجهد الذي بذله والنجاح الذي أَدْرَكه ، وأهنِّئُ « ندوة العلماء » ، على هذا العمل الصامت المُنْتِجِ ـ تأليفَ الكتب الدراسية ـ فإنه جزءٌ مُهِمٌّ في برنامجها الإصلاحي الضخم الذي قامت لأجله وأُسِّسَتْ دارُ العلوم ، وأرجو أن تتسع دائرةُ الإفادة من جهودها في المستقبل . ومع اليوم غدٌ .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

۲۸/ ۷/ ۱۳۷۷هـ — **دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ**

---

(۱) والعلامة الندوي نفسُه مؤلِّف مختاراتٍ أدبية ، واشتهرت بـ « مختارات من أدب العرب » ، استخرج فيها النصوص الأدبية من أمَّات كتب الأدب ببذل جهدٍ مضنٍ .

مقدماتُه

لكتب في التربية الإسلامية

١ ـ التربية والمجتمع : تأليف الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي .

٢ ـ منهج التربية النبوية للطفل ، مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح وأقوال العلماء العاملين : تأليف الأستاذ محمد نور بن عبد الحفيظ سويد .

التربية والمجتمع

تأليف

محمد الرابع الحسني الندوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

دار القلم

دمشق

تقـــديم

بقلم : سماحة الأستاذ الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الحمد لله وحده ، والصَّلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده .

أمَّا بعد ، فإنَّه منذ عِدةِ سنواتٍ أقيمتْ في « دار العلوم التابعة لندوة العلماء » دورةٌ تربويةٌ للمتخرِّجين ، ووُضعت لها مقرَّراتٌ دراسيةٌ ، وذلك لمدَّة سنةٍ واحدةٍ وتحت إشراف المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي ، بُغْيَة تخريجِ الدعاة والمعلِّمين الذين يتربُون تربيةً علميةً ودعويةً ؛ ليقوموا بعد تخرُّجهم بعمل الدعوة على بصيرةٍ ، ويتمرنوا أثناء دراستهم على طُرُق الخطابة ، وأساليب الكتابة ، وعرض الدعوة ، وتفهيم الدين بأسلوبٍ حكيمٍ يفي بمتطلَّبات هذا العصر .

وقد استُفيد في وَضْع هذه المقرَّرات وفي منهجها الدراسي من الكتب والمصادر التي تلقي الأضواء الكاشفة على أساليب الدعوة وأوضاع المسلمين في العالم الإسلامي وغيره ، والمجتمع المسلم والعقليات المختلفة لطبقات المسلمين ومشاكلهم وقضاياهم ، والصراع العقلي والفكري الذي يعيشونه ، والفوضى الخُلُقِيَّة والأخطار التي تُواجه مستقبلَ هذه الأمَّةِ الإسلامية ، ويقوم بتدريس هذه المواد العلمية والدعوية أساتذةٌ موجِّهون بخُطَبِهم ومحاضراتهم ، ويعرِّفون الطلاَّب بمصادر الموضوعات المتعلِّقة بالمنهج ، وفُضَلاءُ لهم تجارِب ميدانيةٌ في مجال الدعوة الإسلامية وشرح الفكرة الإسلامية ، ويطبِّقون بين الأصول والنظريات التي وُضعت في جَوٍّ خاصٍّ ، وبيئةٍ خاصَّةٍ ، أو في عصرٍ من العصور خاصٍّ ، وبين الأوضاع والظروف المعاصرة ، الأمرُ الذي يَعْرِف صعوبتَه ، ودِقَّتَه كلُّ من مارَسَ ذلك .

وأرى : أنَّ هذه تجربة جديدةٌ وخطوةٌ جريئةٌ في شبه القارة الهندية ، قامت بها دار العلومُ لتحقيق ذلك الحُلُمِ الذي رآه بُناة هذه الدَّار ، في ضوء أهداف حركة « ندوة العلماء » ودوافعها ، وفي ضوء تصوُّرات مؤسِّسي « ندوة العلماء » البعيدي النظر ، وخُطَّتهم ، وعزيمتهم الصادقة .

وقد التحق عددٌ من خِرِّيجي الدراسات العليا ـ من قسمَيْ : الشريعة ، واللغة العربية في دار العلوم لندوة العلماء ـ في هذه الدورة التربوية الخاصة بالمرحلة العليا في المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي . وأُلقيت محاضراتٌ في التعريف بالقومية ، والاشتراكية ، والصّهْيونية ، والاستعمار ، والفِرَق الضَّالَّة من المسلمين ، وأخطارها ، وطُرُق مقاومتها .

وقد دَلَّت التجربةُ على أن هذه الطريقة في التعليم وهذا المنهج الدراسي له فائدتُه وأهمِّيَّته وضرورتُه ، وشعرنا بأنه كان يلزم البَدْءُ بإقامة هذا المعهد قبل ذلك بكثيرٍ ، وأنه يحتاج إلى توسيعٍ ، وتنظيمٍ ، وتنسيقٍ أكثرُ .

ولا يخفى على من مارَسَ الدعوةَ وقام بأداء هذه الفريضة الدينية ـ لا سيَّما في الطبقة المثقَّفة التي تأثَّرت بالفلسفات المعاصرة ، والحركات الإلحادية والمادية مع الاطّلاع على خلفيَّاتها العلمية الثقافية ـ : أنَّ مُهِمَّة الدعوة ليست سهلةً يسيرةً قصيرة المدى ، كما يعتقد عامةُ الناس ، وأنَّ من إعجاز القرآن وبلاغته أنه أوجز في بيان تلك الضوابط والأصول الشاملة لواجبات الداعي وأساليب الدعوة لا تتغير في أيِّ عصرٍ ، ولا تحتاج لاختلاف العصر والمكان إلى أيِّ تعديلٍ ، أو حذفٍ ، أو زيادةٍ ؛ قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

١ ـ الحكمة .

٢ ـ الموعظة الحسنة .

٣ـ المجادلة بالتي هي أحسنُ .

هذه هي العناوينُ الثلاثة العريضة التي تندرج تحتها البحوث المتعلِّقة بعلم

الاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم الجَدَل ، التي تتجرَّد عن الإفراط والتفريط والمغالاة والمبالغة والتدقيقات اللفظية والتشقيقات الفنية ، وتبني على الفهم الصحيح للدين ، ومعرفة النفسية والعقلية البشرية ، والمجتمع والبيئة ، وتُوافِق العقول الراجحة السليمة .

ولذلك فإنَّه يجب على الداعي التعرُّفُ على نفسية الحياة الفردية والجماعية وخصائصها أكثَرَ من معرفتهِ بفَنِّ البلاغة وكثيرٍ من محتويات الكتب القديمة في فنِّ البلاغة والمعاني والبيان والفلسفة والمنطق وعلم الجدل ، التي صُرفت إليها الهمَّةُ ، وبُذلت فيها كثيرٌ من الطاقات العلمية والعقلية في العصور القديمة ، والتي فقدت قيمتُها وفائدتها العلمية في عصرنا هذا ، بل قد يكون ضَرَرُها أكبر من نفعها ، وتصبح حجاباً كثيفاً بين الطالب وفهم حقيقة الموضع ولبابه . والحاجة إلى فهم نفسية الحياة الاجتماعية وخصائصها اليوم وعمل الدعوة والتربية في ضوئها أكبرُ وأشَدُّ من الحاجة إلى غيرها .

وقد ظهرتْ في هذا الموضوع مكتبةٌ زاخرةٌ ، وألف عددٌ من الأساتذة العرب الإسلاميين الفضلاء في البلدان العربية ، وفي الجامعات العربية كتباً قيِّمةً في موضوعات طُرُقِ التعليم والتدريس ، ودراسة نفسية الفرد والجماعة ، وعلم النفس وعلم الاجتماع وأساليب الدعوة إلى الله ، كما صدرت في بلادنا أيضاً كتبٌ قيمةٌ مهمةٌ بأقلام الكُتَّاب الإسلاميين الفضلاء من المتخصِّصين في هذه المواضيع العلمية ، وحَمَلَةِ الفكر الإسلامي الصحيح .

وكانت الحاجةُ ماسةً إلى أن يقوم أستاذٌ فاضلٌ ـ لم يتخلَّف عن ركبِ العلم والفكر والتأليف والبحث السَّيَّار ـ بدراسة هذه الكتب واستعراضها ، ويقدِّم خلاصتها والأجزاء المهمة الضرورية منها التي تُوافِق حاجةَ خِرِّيجي مدارسنا وجامعاتنا الإسلامية ، والشباب الذين يعملون في مجال الدعوة وظروفهم ومستوياتهم في أسلوب شيِّقٍ واضح ، ويركِّز بصفةٍ خاصةٍ على ثلاثة جوانب تتَّسم بالقيمة العملية التطبيقية ، والتي لا يستطيع أيُّ داعيةٍ أن يعمل بدونها في الطبقة المثقَّفة الذكية المعاصرة ، ويقوم بدوره بطريقةٍ حسنةٍ ويكسب نجاحاً كبيراً ، وهذه الجوانب هي :

١ ـ طبيعةُ الحياة الاجتماعية ونفسيتها .

٢ ـ طُرُقُ التدريس ودراسة النظريات التعليمية .

٣ ـ دراسة طُرُقِ الدعوة وأساليب الدعاية والإعلام وتأثيراتها .

ويَسُرُّنا : أن العزيز الفاضل الأستاذ محمد الرابع الحسني النَدْوي (عميدُ كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء) ـ الذي أُسْنَدْتُ إليه هذه المُهِمَّةَ ـ قام بها خيرَ قيامٍ ، وعَرَض هذا الموضوعَ بإحسانٍ وإجادةٍ وإتقانٍ ، فقد ألقى في هذا الموضوع ٢٨ محاضرة ـ وهي بين أيدي القُرَّاء ـ استكمل بها أطرافَ الموضوعِ إلى حدٍّ كبيرٍ ، وقد استفاد المؤلِّفُ في إعداد هذه المحاضرات ، والدروس من المصادر العربية ، والإنكليزية ، والأردية الحديثة استفادةً تامةً ، وأوْجَزَ ، وأطنبَ حسب الحاجة الداعية إليه ، فجاء كلُّ ذلك في كتابٍ لا يُلبِّي الحاجةَ الطارئةَ المؤقَّتةَ بفترة الدوام الرسمي فحسب ، بل أصبح جديراً لأن يُستفاد به في تدريس هذه المادة ، وقد استعان المؤلِّفُ في إعداد هذا الكتاب بدراساته الأدبية الواسعة ، ورحلاته الطويلة في بلدان العالم الإسلامي ، وبلدان الغرب أيضاً ، ومساهمته الفعَّالة في الندوات ، واتّصالاته القريبة بالطبقة المثقَّفة المعاصرة ، وتعرّفه عن كثبٍ على مسائلها ، ومشاكلها ، وأوضاعها ، فضْلاً عن تذوُّقه للموضوع ، وجهده الجادِّ الصابر فيه .

ولا يجد القارىءُ في هذا الكتاب بحوثاً علميةً رتيبةً جافَّةً ، بل يجد فيه الحديثَ الشَّيِّق المُمتِعَ عن تأثير القرآن الأدبي المُعجِز ، وقُدْوةِ الرسول ﷺ وأسوته المباركة ، وتأثيراتِ الأدلة ، وشرح طبيعة الأدب السافل ونقده ، وتأثير الصحافة ووسائل الإعلام المختلفة النفسية والخُلُقية ، وطُرُق الاستفادة من الوسائل السمعية والبصرية ، وإسهام المكتبات في التربية العقلية والعملية ، وتأثير المجمَّعات السكنيَّة ، ودُور الإقامة للطلاب عليهم سلباً وإيجاباً . ويجد فيها القارىء بعض الجوانب الجديدة التي لا يجدها في المصادر العربية أو الأردية أو غيرها في هذا الموضوع ، مثل الرحلات وحركة الإمام محمَّد إلياس الدعويَّة ، وأسلوبها في تنظيم الرِّحلات الدعوية ، وأوضاع الأُسَرِ الغربية العائشة تحت ظلِّ المدنيّة الغربيّة ، وتأثير فَصْل الدين عن الأخلاق ، وأهمية المساجد . . . إلخ .

وهكذا لم يَعُدْ هذا الكتابُ كتابَ منهجٍ دراسيٍّ جافٍّ ، بل أصبح كتاب علمٍ ودعوةٍ وفنٍّ جديراً بأن يقرأه ويتمعّنه المعنيّون بشؤون الدعوة ، المهتمون بقضايا مستقبل النَّشْء الجديد ، والجيل المثقَّفِ المعاصِر ، وكلُّ من يشعر بأهمية إصلاح المجتمع المسلم ، والله أسأل أن ينفع به قارئَهُ ، ويتقبَّله من المؤلِّف تقبُّلاً حسناً .

وقد كان الكتابُ في أصله باللغة الأردية ، ثم نقله بعضُ مدرِّسي « ندوة العلماء »[1] إلى اللغة العربية ، واطّلع المؤلِّفُ على الصورة المعرَّبة ، وقام فيها ببعض التحسينات .

والحمد لله رب العالمين .

١٥/ ١٢/ ١٤٠٩هـ — **أبو الحسن علي الحسني الندوي**

١٧/ ٧/ ١٩٨٩م

دار العلوم ندوة العلماء

لكهنؤ ـ الهند

---

(١) وهم : الأستاذُ محمد إبراهيم الرَّدْولَوِي النَّدوي ، والباحثُ الحصيفُ الدكتور محمَّد أكرم النَّدوي ، وأما ما عَرَّبه الأولُ ؛ فقد نشر تباعاً في أعداد مجلَّة « البعث الإسلامي » الغراء ، وما عرَّبه الآخرُ ؛ فهذا هو الكتابُ .

منهج التربية النبوية للطفل
مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح
وأقوال العلماء العاملين

تأليف
محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

قدم له السادة الفُضلاء

الداعية : أبو الحسن الندوي
الدكتور : محمد فوزي فيض الله
الشيخ : عبد الرحمن حسن حبنكة
الشيخ : أحمد القلاش
الدكتور : محمود الطحان
الدكتور : أحمد الحجي الكردي

الجزء الأول

دار ابن كثير
دمشق ـ بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة تقديم

للداعية أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الحمد لله رب العالمين ، والصَّلاة والسلام على سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومَن تبِعَهُم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وبعد ، فقد طلب مني الأخُ الكريم محمَّد نُور سُوَيْد أن أكتب كلمةً عن كتابه : « منهج التربية النبوية للطفل » للطبعة الثالثة ، وقدَّم نسخةً من كتابه القيِّم ، وعندما تصفَّحتُ أوراقَه وجدتُ أنَّ نخبةً من أهل القلم والفكر الإسلامي والتربية قد أعربوا عن تقديرهم لهذا المجهود العلمي الكبير ؛ الذي ملأ فراغاً كبيراً في تربية الطفل ، ولم يكن المؤلِّفُ في حاجةٍ إلى كلمةٍ جديدةٍ للتعريف بالكتاب ، فقد عرَّفه الكُتَّابُ المعروفون ، وكان عنوانُ الكتاب نفسه يعرِّف الكتابَ خيرَ تعريفٍ ، وقد نال الكتابُ القبول كما يظهر من صدور طبعتين في سنةٍ واحدةٍ ، الأمرُ الذي يَدُلُّ على ما يحمل الكتابُ من نفعٍ ، واستحقاقٍ للقراءة ، والاستفادة منه .

لقد بَذَل المؤلِّفُ جهداً كبيراً في جمع المواد في هذا الموضوع الطريف ؛ الذي لم يتَّجِهْ إليه انتباهُ الكُتَّابِ في التربية ، وعلى عكس ذلك كان عمادُهم منهجَ التربيةِ الغربيةِ ؛ لأن العصر الذي نعيش فيه هو عصرُ ا لغَزْوِ الفكريِّ ، وقد غُزِي المسلمون في كلِّ مجالٍ من مجالات العلم والثقافة ، وكانت التربية الميدان الفسيح الذي تَغَلْغَلَ فيه النفوذُ الأوروبيُّ الماديُّ ، فإنَّ جميعَ تعريفات التربية تلتقي على إعداد الطفل ؛ ليكون الطفلُ قادراً على تحقيق رغباته الدُّنيوية ، وتُطَبق عليه التجارِبُ التي أُجْرِيَتْ على الحيوانات والبهائم ، ولمتابعة هذا المنهج المادي لا يخرّج مجتمعنا إنساناً يحمل الصفاتِ الإنسانيةَ النبيلةَ .

وقد أشار المؤلِّفُ على أساس دراسته للسيرة النبوية والسُّنَّة : أنَّ مرحلة تربية الطفل تبدأ من الزواج ، وأنَّ العلاقات بين الوالدين ، وصلاح الوالدين ، والتوافُق بينهما على الخير ، لهما تأثيرٌ على تكوين نفسية الطفل وميوله ، وذكر أهميةَ نشأةِ الطفل في حِضْنِ أمّه ، وأهله ، وبيئته ، وصلتِه بالوالدين وأقاربه ، ورعاية المُثُل الإسلامية في مراحل النشأة ، وتربيته الفكرية ، وأكَّد على ضرورة اتخاذ وسائل تُلائم طبيعته ، والاستفادة في ذلك من المنهج النبوي الشريف ، وما ورد في الحديث النبوي الشريف ، وأقوال رجال التربية الإسلامية ، وقَدَّم مُلَخَّصَ قَصَصٍ وحكاياتٍ إسلاميةٍ نافعةٍ في تربية ذِهْنِ الطفل من الكتب الإسلامية ؛ ليتكيَّف ذِهْنُ الطفل المسلم بالجَوِّ الإسلاميِّ ، وينشأ فيه الذَّوْقُ الإسلاميُّ ، وتتكوَّن الطبيعةُ الإسلاميةُ ؛ التي تميِّز بين الخير والشرِّ ، والنافع والضارُ ، وتُوجَد فيه مناعةٌ ذاتيةٌ ، وتهيِّىءُ السيرةُ النبويةُ موادَّ دسمةً توجيهية في تربية السُّلوك على جميع المستويات .

لقد وَصَفَتْ أمُّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ خُلُقَ النبيِّ ﷺ : « كان خلقه القرآن » ، وقدَّم القرآنُ الكريمُ حياةَ الرَّسولِ ﷺ للمسلمين : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] ولا يمكن اتباعُ هذه الأسْوة إلا إذا عُرِضَتْ السيرةُ النبويةُ ، والمنهجُ النبويُّ على جميع المستويات ، وهذا هو المجهودُ الأوَّلُ لعرض السيرة والمنهج النبوي في تربية الطفل ، وفي الحياة المنزلية .

جزى الله الأخ الكريم محمَّد نُور سُوَيْد على هذا الإبداع ، والتقدُّم في هذا الموضوع الطريف ، وأدعو الله أن ينفعَ به المسلمين ، ويستحق الكتابُ أن يكون في كلِّ بيتٍ ، وأن تُعدّ برامجُ التربية في ضوء ما عَرَضه المؤلِّفُ في كتابه من الفكر الإسلامي للتربية .

١٧/ ١١/ ١٤١٣هـ	**أبو الحسن علي الحسني الندوي**
١١/ ٥/ ١٩٩٣م	دار العلوم / ندوة العلماء

مقدماتُه

لكتب في الأديان

١ ـ إظهار الحق : للإمام الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكَيْرَانَوي .

٢ ـ ما هي النصرانية : للقاضي محمد تقي العثماني .

إظهار الحق

للإمام الشيخ
رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكَيْرَانَوي

نبذة من ترجمة المؤلِّف

ولد الشيخ رحمة الله الكيرانوي في أسرة العلماء والمشايخ في الثلث الأول في القرن الثالث عشر للهجرة (جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ) في زمنٍ عصيبٍ بلغ النهاية القصوى من الأزمات والفتن ، وكانت الدولةُ المغوليةُ تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وكانت غارةُ الهجوميين قد أقامت سوقها من النهب والفساد الذين كانوا يرقبون آخر ثمرة يجنيها حظهم في تلك الظروف الراهنة ، وفقد الأمن والسلام ، والهدوء والاستقرار ، وعمَّت الفوضى والفساد ، وكانت أم الشيخ الكيرانوي قد رأت في المنام ما عبر بأن الله سيملأ حجرها بقمرٍ يشرق العالم بضوئه الهادىء ، فظهرت تباشير مؤهّلاته المميزة منذ نعومة أظفاره ، يشاهدها الناظر ، فيقول بلسان الشاعر الفارسي الكبير وهو السعدي :

لمعت على وجهه نجوم الرفعة والسمو ، وذلك « بالفطانة والفقه » .

سافر إلى دهلي وهو ابن اثنتي عشرة سنة ليتتلمذ على أساتذتها الكبار ـ بعد أن قرأ القرآن الكريم والكتب الدرسية الفارسية والعلوم الدينية على مشايخ أسرته ـ حيث التحق بمدرسة الشيخ محد حياة ، وحقق غايته بالإقامة فيها ، وساقه طلب العلم إلى الشيخ المفتي صمد الله المرادآبادي (وهو تلميذ الشيخ العلامة المحدِّث عبد العزيز الدهلوي) في لكهنؤ ، وتلقّى الطب من طبيب حاذق في عصره ، وهو « فيض محمد » بحكم تقاليد زمانه وعادة الأسرة المتبعة ، وهو يقدر طلبه للعلم وتذوقه الذي كان يتمتع به ، والدافع القوي إلى الاستفادة من مختلف أصناف العلم بحيث أنه لم يأل جهداً في تلقي العلوم الرياضية من « لوكارتم » وهو يومئذ من أبرع علماء الرياضية وأعظمهم صيتاً ـ .

مأثرته الفذة :

كان الشيخُ الكيرانوي يتمتَّع بالنفوذ العلمي ، والعاطفة الصادقة للجهاد في سبيل الله ، وقول الحقِّ ، والجرأة ، والحمية الدينية ، وما إلى ذلك من خصائص شخصيته مما لا تستوعبه هذه السطور .

ولكن ما لا يُدْرَك كلُّه لا يترك جلُّه ، فمن كتمان الحقِّ بل من تأسيه ألَّا نذكر وصفاً من أوصافه ، بل مأثرة من مآثره الجليلة ، ولو بإيجازٍ ، مما لا يصوّر شخصية واحدةً فحسب ، بل

يصوِّر الأهداف والغايات التي أراد تحقيقها من خلال جهوده وجهاده ، وإنها مأثرة يدين لها العالم الإسلامي ، فضلاً عن شبه القارة الهندية ، وهي مجادلاته مع القسيس « فندار » والمبشرين المسيحيين ، ورافق الكيرانوي في مهمته هذه الدكتور وزير خان وأعانه في ذلك ، في وقتٍ وضع الإنكليز مخططات تبشيرية لا لاستعمار الهند سياسياً فحسب ، بل ودينياً ، وخلقياً كذلك ، وهو عملية التنصير ، وكان الإنكليز يستغلّون كل الذرائع الممكنة لتحقيق أهدافهم بالإضافة إلى وسائلهم المتوفرة ، وكانوا يستخدمون كل الأساليب من الوعد والوعيد ، وكانوا لا يتردّدون حتى عن القتل ، والشنق للقضاء على كل إمكانيات المكافحة ضد المسلمين ، وسد كل المنافذ لإحقاق الحق وإبطال الباطل ، فالجهود التي بذلها الشيخ الكيرانوي في مجادلة القسيس فندار في أحرج الآوِنَة ، لم تزلزل أقدام القسيس فحسب ، بل وقطعت دابر المسيحية التي كادت تثمر في شبه القارة الهندية .

لم تقتصر نشاطات الشيخ الكيرانوي على الجهاد بالقلم واللسان ، بل وبرز إلى ساحة الوغى كذلك ، فقط أبلى بلاءً حسناً في وقعة « شاملي » الشهيرة في أول المكافحات لاستقلال الهند من الاستعمار البريطاني سنة ١٨٥٧م ، حتى أفزع الجيش الإنكليزي وقائد قواده وهزمهم ، وكان جامع « كيرانة » يومئذ قد تحول إلى ثكنة للمجاهدين ؛ حيث كان يتم تربيتهم وتنظيمهم الحربيان ، ويقدر دور الشيخ بأن الناس كانوا يجمعون على ضرب من الطبل منادياً : الملك لله ، والحكم للمولوي رحمه الله (لعلهم كانوا يفعلون ذلك جواباً على ما كانت الشركة الهندية الشرقية تنادي به : البلاد للملك ، والحكم للشركة) .

ولكن الإنكليز لما غلبوا على المسلمين المجاهدين ؛ أصدرت الشركة الأمر بالقبض عليهم أجمعين ، فأما الذين تم القبض عليهم ، فقد قضوا نحبهم ، ووجدوا ما وعد الله ورسوله حقاً ، والذين لم تتمكن الشركة بالبطش لهم ، فقد نجحوا في محاولاتهم للخروج من الهند والهجرة إلى مكة المكرمة ، وكان منهم الشيخ الكيرانوي ، فقد وصل إلى ميناء « سورت » راجلاً ، وقد أعياه السفر ، وما لقي من المشاق والآلام ، وقطع ا لمفازة والطرق الخطيرة والغابات المخوفة ، فوفق للوصول إلى « جدة » فصادرت الشركة جميع أمواله وممتلكاته تنكيلاً بما فعل الشيخ ، ثم انتقلت إلى حلفاء الإنكليز ومواليهم بثمن بخس دراهم معدودة ، وقد حفظه لنا التاريخ بجميع تفاصيله .

إنَّ أرض الحرم ـ وإن لم تكن تخلو من العلماء الكبار وأصحاب الفتيا ، والتخصصين في الفنون في زمن الشيخ الكيرانوي ، وكانت حلقات التدريس تترامى هنا وهناك ـ إلا أن العجب أن مدارس الحرم لم تكن قررت مستوىً دراسياً خاصاً ، ولا نظماً إدارياً يجمع الشمل ، ويهيىء مرافقات الإقامة والطعام للطلبة ، فكانت نتيجته صعوبة إقامة الطلبة الوافدين من الخارج لارتواء ظمأهم العلمي ووجود العراقيل في سبيلهم ، أما إذا أحرز أحدٌ بعض نجاحٍ في حلِّ هذه المشكلة ،

فلم يكن يقدر النجاح في تكوين المؤهلات والكفاءات العلمية والأدبية المنشودة بحكم الأساليب التقليدية للتدريس وإن أقام طويلاً وتحمل المشاق ، خاصة أولاد المهاجرين الذين هاجروا من الهند إلى مكة ، كان ينقصهم جوانب مهمة من التعليم ، بل كان يرادف تعليمهم العدم والفاقة في غالب الأحيان ، فكيف لا يشعر بهذا النقص عالم ذو حساسية زائدة واهتمام بالغ لمثل هذه الأمور ، مثل الشيخ رحمة الله الكيرانوي .

إنَّ الإجراءات التي اتخذها الشيخ في مكة نظراً إلى نظام التعليم والتربية ، يذكرها الشيخ محمد سليم حفيد الشيخ وأمين المدرسة الصولتية سابقاً كان الشيخ الكيرانوي أول من شعر بحاجة أهل الحرم وطلبة العلوم الإسلامية في مثل تلك الأوضاع ، وفكر فيها ، فظهرت في ذهنه فكرة حكيمة ، وهي أن ترفع قواعد مدرسة سيدنا عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ البادية في أرض الحرم ، ويؤسَّس معهدٌ للصناعة حتى يعرف الطلبة الصناعة والأعمال اليدوية ، بالإضافة إلى اهتمام بالغ لقضايا تعليم أولاد المهاجرين والعرب وتربيتهم الدينية ، وحتى لا يكون أولاد المهاجرين وأهل الحجاز كلاً على الناس بعدما يقعون فريسة للفقر والإفلاس بعد إكمال المرحلة الدراسية الابتدائية ، فأسَّس مدرسة في عام ١٢٩٠ هـ ، اشتهرت فيما بعد بـ « مدرسة الصولتية » .

توفي رحمه الله تعالى بالمدينة المنورة .

من مؤلفاته :

١ ـ إظهار الحق .

٢ ـ إزالة الأوهام .

٣ ـ إزالة الشكوك .

٤ ـ الإعجاز المسيحي .

٥ ـ أحسن الأحاديث في إبطال التثليث .

٦ ـ البروق اللاَّمعة .

٧ ـ البحث الشريف في إثبات النسخ والتحريف .

٨ ـ معدل اعوجاج الميزان .

٩ ـ تقليب المطاعن .

١٠ ـ معيار التحقيق[1] .

---

(١) مختصر من مقالي الشيخ برهان الدين السَّنبهلي ، المنشورين في مجلة « البعث الإسلامي » (العدد : ٦ ـ ٧ ، المجلد : ٣٣) .

مقدمة الكتاب

بقلم : أبي الحسن علي الحسني الندوي

يُسْعِدُ كاتبَ هذه السطور أن يكتب في موضوعٍ يتصل بعَلَمٍ من أعلام هذه الأمَّة ، قَيضه الله للذَّبِّ عن حَوْزة الإسلام ، وإظهار الحَقِّ ، وإزالة الشُّكوك ، وإزالة الأوهام[1] ، حين كان الخَوْضُ في هذا الموضوع مجازفةً بالحياة ودعوةً للموت الزُّؤام ، وأتى في ذلك بِحُجَجٍ وبراهينَ لم يسبق إليها ، ولقي خصومُه على يده من الهزيمة والانتكاس ما لم يلقوه من قبل ، وانتهت إليه الرئاسةُ في هذا الفَنِّ في القرن الرابع عشر الهجري (القرن التاسع عشر الميلادي) ، وطبقت شهرتُه الآفاق ، وسَلَّم له معاصروه ، وأقرانُه ، وعلماءُ العالم الإسلامي بالإمامة والزعامة في هذا الموضوع ، ألا وهو مولانا (رحمة الله الكيرانوي) ، مؤلِّفُ هذا الكتاب « إظهار الحق » ، ومؤسِّس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة ، ودفين المعلاة (١٢٣٣ ـ ١٣٠٨هـ) .

مأثرةٌ عظيمةٌ تكفي للبلوغ به إلى درجة العلماء الخالدين والأبطال المجاهدين : أنه وَقَف في الدِّفاعِ عن الإسلام وتمحيصِ الحقِّ والباطِلِ ، ودَحْضِ الشُّبُهات ، وإعادة الثقة إلى نفوس المسلمين ، ورَفْعِ مَعْنَوِيَّاتهم ، واعتزازهم بفضل دينهم على الأديان كلِّها ، وإعجاز كتابهم ، وخُلود رسالة نبيِّهم ﷺ في أحوالٍ رهيبةٍ وساعاتٍ عَصيبةٍ ، ووقف في وجه خصومٍ[2] كانوا ينتمون إلى الفاتحين ؛ الذين يتمتَّعون بأكبر سلطةٍ وقُوَّةٍ في ذلك العصر ، وحكوماتٍ قويةٍ ، ومملكةٍ لا تغرب عنها الشمسُ ،

---

(١) تلميح بأسماء مؤلفات العلاَّمة الشيخ محمَّد رحمة الله الكَيْرانَوِي المَكِّي الثلاثة الشهيرة وهي : « إظهار الحق » ، و « إزالة الأوهام » ، و « إزالة الشكوك » ، وله كتابٌ رابعٌ في نفس الموضوع وهو « أَصَحُّ الأحاديث في إبطال التثليث » .

(٢) القساوسة الأوروبيون .

ومدنيةٍ زاهرةٍ دافقةٍ بالحياة والنشاط ، وكان هو بالعكس ينتمي إلى شعبٍ[1] جريحِ القلب والجسم ، متحطِّم الأعصاب ، ضعيف الثقة بتراثه وأمجاده ، يعيش في عُزْلَةٍ عن العالم ، ينظر إليه الإنكليز كالمُنافس الطبيعي الوحيد ، والخطر الحقيقي على زحفهم وتقدُّمِهم في آسيا وأفريقيا بصفةٍ خاصةٍ ، وقد انتشر القَسَاوِسَةُ ـ النصارى الأوروبيون والمتنصِّرون الهنود ـ ، في مُدْنِ الهند وقراها ، بحماسٍ زائدٍ ونشاطٍ كبيرٍ ، يدعون أنصافَ المتعلِّمين والأمِّيِّين إلى دين الفاتحين الأقوياء الأغنياء الذين حالفهم الجِدُّ ، وواكبهم النصرُ في كلِّ ميدانٍ ، وكفى بذلك دليلاً على صِدْق الدين الذي يدينون به في عيون الجهلاء الضعفاء .

وقد ضعفت معرفةُ علماء المسلمين ـ فضلاً عن عوامهم ودَهمائهم ـ بالنصرانية ومصادرها ـ بما فيها العهد القديم ، والجديد ، وشروحهما ، وتفاسيرهما ، وتاريخهما ـ وتطوُّرها وارتقائها ، وما طَرَأ عليها من تغييراتٍ وتحويلاتٍ ، وما مَرَّ بها من أحداثٍ وما عبث بها من حكوماتٍ ومجامع ، كانوا في شُغْلٍ شاغلٍ بما كانوا يدرسونه من علومٍ دينيةٍ شرعيةٍ ، أو فنونٍ عقليةٍ يونانيةٍ[2] وبحوثٍ كلاميةٍ وفقهيةٍ ، وتحقيقاتٍ تفسيريةٍ وحديثيةٍ ، فكان هذا الزَّحْفُ العلميُّ والعقائديُّ مفاجأةً لعلماء المسلمين ، شبيهةً بتبييتٍ أو غارةٍ في ظلام الليل ، وكان الوقوفُ في وجهها ومقاومتها يحتاج إلى شجاعةٍ معنويةٍ ، وحميةٍ دينيةٍ متأجِّجةٍ ، وصَبْرٍ طويلٍ ، وهِمَّةٍ عاليةٍ ، تَحُثُّ على دراسة المسيحية من ينابيعها الأصلية ، واستعراضٍ واسعٍ لِمَا كُتِبَ عنها ، إثباتاً ونَفْياً ، وتوثيقاً ومعارضةً ، ونَقْداً وبحثاً ، وكان الذي يبدأ بهذه الرحلة الطويلة المُضْنِية يشعر بأنه سائرٌ في نَفَقٍ طويلٍ مُظْلِمٍ .

---

(١) أي الشعب المسلم الهندي .

(٢) يُستثنى من ذلك أفذاذٌ من أصحاب الاختصاص في دراسة الديانات الأجنبية والاطلاع على العهد القديم والجديد ، من علماء أسرة حكيم الإسلام ولي الله الدِّهْلَوِي ، الذين كانوا يدرسون التوراة والإنجيل مع ما يدرسونه من الكتب والصُّحف ، والشواذ من علماء الهند المتبحِّرين أمثال العلاَّمة السيد آل حسن المَوْهَاني (١٢٨٧هـ) صاحب كتابي (الاستفسار والاستبشار) ، والشيخ عنايت رسول الجُرْيَاكُوتي (١٣٢٠هـ) صاحبُ كتاب (البشرى) الذي درس اللغةَ العبرانيةَ ، وأتقنها .

وكانت وسائلُ هذه الدراسة وموادها مفقودةً أو نادرةً نُدُوراً كبيراً ، وقد وُضِعَ أكثرُها في اللغات الأجنبية ، وكان من أقربها إلى علماء هذه البلاد ـ شبه القارة الهندية ـ اللغة الإنكليزية ، وكانوا حديثي العهد بها ، وقد زَهَّدهم فيها وكرَّهَها إليهم أنها لغةُ الفاتحين المهينين لهم ، ولا يُتَوقعُ وجودُ هذه المصادر في هذه البلاد ؛ لأنَّ ذلك ينافي مصلحةَ الدعوة إلى النصرانية ، ويُضْعِف موقف الدعاة إليها ، ويُثير عليهم مشاكلَ جديدةً ، فكانوا على إقصائها من هذه البلاد أَحْرَصَ منهم على جَلْبِها ، أو تزويد المكتبات بها .

كلُّ ذلك كان يُعَقِّد مُهمةَ الشيخ رحمة الله وزملائه ، الذين وهبوا حياتَهم للدفاع عن الإسلام ، ودَحْضِ الشُّبُهات حوله ، والوقوفِ للقَسَاوِسَة و (المبشِّرين) ـ كما كانوا يُسَمُّون أنفسهم ـ في موقف الدفاع بدلَ موقفِ الهجوم ، وتلك هي الحكمة الحربية (والاستراتيجية) الجدلية التي ما زالت ولا تزال سياسةُ القادة المحنكين ، والحُذَّاق العسكريين ، ولكن ذلك لم يفت في عَضُدِ الشيخ الذي هيَّأه الله ليخوض هذه المعركةَ الحاسمةَ التي لا بُدَّ أن يخوضها الشعبُ المسلمُ الهنديُّ الذي واجه الدعوةَ المسيحيةَ وجهاً لوجهٍ ، قبل أن يُواجِهها شعبٌ آخر في قطرٍ إسلاميٍّ أو عربيٍّ ، فكان يتوقَّف عليه مصيرُ الشعوب الإسلامية والشعوب العربية كلِّها ، التي كانت هذه الدعوةُ في طريقها إليها ، فإذا قَدر الله أن يخرج هذا الشعب الأعزل المُثْخَن بالجِرَاح من هذه المعركة الجدلية الكلامية والعلمية الاستدلالية ، فاتحاً مُظَفَّراً ، مرفوعَ الرأس شامخاً بأنفه ، تراجع هذا السَّيْلُ على أعقابه ، أو ضَعُفَ مَدُّه وطغيانُه .

قام الشيخُ ـ رحمة الله ـ وشَمَّر عن ساق الجِدِّ والاجتهاد ، ونَذَر لله أن لا يهدأ حتى يدرس مصادرَ النصرانية ومراجعها دراسةً عميقةً دقيقةً ، ويغوص فيها وينقِّب . وقد شَحَذ عَزْمَه على ذلك قدومُ القِسِّ الطائر الصِّيْتِ فَنْدَرْ (Funder) من إنكلترا ، وقد قام بنشاطٍ كبيرٍ وحماسٍ زائدٍ في مناظرة علماء الهند ، وقد تَحَدَّاهم تحدِّياً سافراً ، وقام بجولةٍ في مديريات الهند ، يخطب في المجامع ، ويدعو إلى النصرانية ، وكانت المشكلةُ مشكلةَ اللغة ، وكان الشيخُ لا يعرف اللغةَ الإنكليزيةَ ، ولتعلُّم

اللغات الأجنبية سِنٌّ طبيعيةٌ قد تخطَّاها الشيخُ الذي ظَلَّ زمناً طويلاً مشغولاً بالعلوم الدينية والعقلية ، وكان (فَنْدَر) لا يعرف إلَّا اللغة الإنكليزية ، فأين القَنْطَرَةُ التي تصل بينهما ، وأين الرجلُ الذي يُساعِد الشيخَ رحمة الله في الاطلاع على المصادر الأجنبية والوثائق المسيحية التاريخية ؟ .

هناك قَيَّض اللهُ له مسلماً غيوراً ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وهو الدكتور (محمد وزير خان الأكبر آبادي) ، الذي سافرَ إلى (لَنْدَن) سنة (١٨٣٢م) يدرس الطِّبَّ الجديدَ ، وقد نال فيها شهادةً عاليةً ، وأتقنَ اللغة الإنكليزية ، ودرس اللغةَ اليونانيةَ ، وعُني بدراسة المسيحية من مصادرها الأصلية واقتناء كُتبها ، واستصحب هذه المكتبةَ الثمينةَ[١] إلى الهند ، وكان عَضُد الشيخ الأيمن في هذا الجهاد العلمي الكبير الذي كان جهادَ الساعةِ ، وواجبَ الوقتِ .

ولمَّا أكمل الشيخُ (رحمة الله) مُهِمَّتَه في الدراسة ، وأخذ عِدَّتَه وعَتَادَه لخوض المعركة وقد استفحل أمرُ (فَنْدَرْ) ورأى : أن الجَوَّ قد خلا له فازداد جُرْأَةً وتحدِّياً ، ورأى الشيخُ (رحمة الله) أنه لا سبيل إلى الحَدِّ من نشاط هؤلاء القساوِسَة ـ وفي مقدِّمتهم وعلى رأسهم القِسُّ (فَنْدَرْ) وإعادة الثقة إلى نفوس المسلمين ومقاومة (مُرَكَّب النَّقْصِ) فيهم إلا مناظرةُ (فَنْدَر) في جمعٍ حافلٍ يحضره المسلمون والمواطنون ، والحكام الأوروبيون ، والنصارى ، والمتنصِّرون ، وكان (فندر) كثيرَ الإدلال بكتابه « ميزان الحقِّ »[٢] فخوراً متبجِّحاً به ، ويرى : أنه ليس من السهل معارضته ، ونقضه من علماء المسلمين .

حَرِصَ الشيخُ رحمة الله على مناظرة القِسِّ (فندر) كل الحرصِ ، فراسله في هذا الموضوع ، وأَلَحَّ عليه بالظهور أمام الجمهور وعلماء المسلمين ، واستعانَ في ذلك بكلِّ من يرى فيه غناءً ، أو تأثيراً ، ولمَّا رأى القِسُّ : أنه لا مَنَاص له من هذه

---

(١) ساهم الدكتور في ثورة ١٨٥٧م وهاجر على إثرها إلى مكَّة المكرمة حيث لحق بالشيخ رحمة الله ، ومات ، ودُفِنَ بالبقيع .

(٢) صدرت له الطبعة الثامنة باللغة الفارسية سنة ١٨٤٩ م من آكره ، والطبعة الثالثة باللغة الأردية سنة ١٨٥٠ م .

المناظرة ، قَبِلَها راضياً ، أو مُكْرَهاً ، وهو لا يقدِّرُ نتائجها تقديراً صحيحاً ، وتقرَّر عقدُ مجلسِ المناظرة في ١١ من رجب سنة ١٢٧٠هـ (١٠ من أبريل ١٨٥٤م)[١] في أكبر آباد ـ آكْرَه ، (إحدى مديريَّات الولاية الشمالية الرئيسية ، وأحد مجالات النشاط التبشيري في الهند) ، وفي حَيٍّ من أحيائها المعروفة بحارة (عبد المسيح)[٢] .

بدأ الحفلُ في اليومِ المعيَّنِ والساعةِ المحدَّدةِ ، وقد حضرها ولاةُ المديرية من حكَّامٍ وقضاةٍ ، وبعض كبار موظَّفي الثُّكْنَة الإنكليزية من الإنكليز ، وحضر القِسُّ الشهير فندر (Funder) والقِسُّ وِلْيَمْ كِلِيْن (William Clean) ، وعددٌ كبير من أعيان البلد ووجهائه ، ومن أبناء البلد المسلمين والمسيحيين والهنادك والسِّيْخ ، وكان الدكتور محمَّد وزير خان بجوار الشيخ رحمة الله يُساعِده ، ويتعاون معه ، وكانت خمس قضايا موضوع البحث ، والمناظرة ، وهي :

١ ـ التحريفُ في الكتاب المقدَّس « العهد القديم والجديد » .

٢ ـ وقوعُ النَّسْخِ .

٣ ـ التثليثُ .

٤ ـ نبوَّةُ محمد ﷺ .

٥ ـ صِدْقُ القرآن ، وصحته .

وقد تقرر : أنه إذا انتصر الشيخُ رحمة الله في هذه المناظرة يدخل (فَنْدَرْ) في الإسلام ، وإن كان بالعكس يتنصَّر الشيخُ .

أسفرت هذه المناظرةُ ـ التي لفتت أنظارَ المَعْنِيِّين بالقضية في داخل البلد وخارجه ، وكانت حديثَ النوادي ، والشُّغْلَ الشاغلَ ، والمُقِيمَ المُقْعِدَ في البلد ـ عن اعتراف القِسِّ (فندر) بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل ، وقد أفزع

---

(١) قبل الثورة بثلاث سنواتٍ .

(٢) منسوبةٌ إلى أحد المتنصرين من أبناء البلد ، ويظهر من ذلك نفوذُ ذلك حركة التنصير في داخل البلد .

ذلك الولاةَ وأنصار (فندر) وشيعته ، ولكنه سَهْمٌ أُطلق من القوس ؛ فلا راد له .

وتزايد عددُ الحاضرين في الغَدِ ، وازداد عددُ الحُكَّامِ الإنكليز ، والمسيحيين ، والهنادك ، والسِّيْخ ، وحضرها جَمٌّ غفيرٌ من المسلمين ، وأَصَرَّ (فندر) على أنَّ الأخطاء التي وقعت في الإنجيل كانت من سَهْوِ الكاتب ، أمَّا العبارات التي تتضمَّن عقيدةَ التثليث وألوهية المسيح والفداء والشفاعة فهي من التحريف ، وقد رَدَّ عليه الشيخُ بقوله : « إنك ما دُمْتَ قد اعترفتَ بوقوع التحريف في الإنجيل فقد أصبح هذا الكتابُ مشكوكاً فيه برُمَّتِه » ، وانتهى البحثُ عند ذلك ، ولم يرجع القِسُّ إلى البحث والمناظرة في اليوم الثالث[1] ، وكان من الواضح : أنه انسحب من ميدان المناظرة ، وكان انتصاراً رائعاً للجانب الإسلامي ، قَوِيَتْ به معنويةُ المسلمين ، وتشجَّعوا على مواجهة القساوسة ، ورَدِّ دعاويهم ، وفقدت الدعوةُ التبشيرية الكثيرَ من اعتبارها وقيمتها .

وبعد عامين قامت ثورة ١٨٥٧م التي كانت المحاولةُ الأخيرة اليائسةَ للتخلُّص من (الأخطبوط) الإنكليزي وطرح نَيْرِه ، وعلى أثر إخفاقها تَعَرَّضَ المسلمون لرد فعلٍ عنيفٍ من جهة الإنكليز الفاتحين المَوْتُورِين الذين كانوا يعتبرون المسلمين أصحابَ الفكرةِ والقيادةِ في هذا النِّضال ، والمواطنين تابعين لهم ، فكان حِنْقُهم شديداً على علماء المسلمين وأهل الخطر منهم ، ومن له شأنٌ في المجتمع الهندي ، يعلِّقونهم على المشانق ، ويقتلونهم بتعذيبٍ ، وإهانةٍ ، ويبحثون عن كلِّ من كانت له كلمةٌ مسموعةٌ ، أو نفوذٌ في المجتمع ، وكان من ضِمْنهم وفي مقدِّمتهم : الشيخ رحمة الله الكَيْرَانَوِي ، الذي انتصر عليهم في المعركة الدينية ، وأَسهم في الكفاح ضِدَّهم ، وقد اختفى مُدَّةً في قريةٍ صغيرةٍ ، ولمَّا دخلت الجيوش الإنكليزية في هذه القرية أخذ المِنْجَل ، ودخل في مزرعةٍ ، وتشاغل بحصاد الحقل كفلاَّحٍ صغيرٍ مغمورٍ .

واستطاع بذلك أن ينجو بنفسه ، ويصل إلى (سُوْرَتْ) ميناء الهند ، ويهاجر

---

(١) راجع للتفصيل « البحث الشريف في مسألتي النسخ والتحريف » في حكاية هذه المناظرة وخبرها للشيخ رفاعي الخولي على هامش « إظهار الحق » طبع المطبعة العلمية باستنبول عام ١٣١٥هـ .

منها إلى البلاد المقدَّسة ، وكان ذلك في سنة (١٨٦٢م) ، يعني بعد الثورة بخمس سنواتٍ ، وصُودرت أملاكُه التي كانت كبيرةً وواسعةً ، وبيعت بالمزاد العلني ، وكان ذلك في أيام خلافة السلطان عبد العزيز العثماني ، وإمارة الشريف عبد الله بن عَوْن ، ولما عُرِفَت منزلتُه العلميةُ في مكَّة ، وبلاؤه في الدِّفاع عن الإسلام سُمِحَ له بالتدريس في الحرم المكِّي ، وتوثَّقت بينه وبين عالم مكة الجليل الشيخ أحمد بن زَيْنِي دَحْلَان الصَّدَاقَةُ ، وهو الذي كان له الفضلُ في التعريف به عند الشريف ، وعلماء مكة وأعيانها .

وصادف : أنَّ القِس (فَنْدَرْ) بعدما قضى فترةً في الأقطار الأوروبية كألمانيا وسُويْسرا ، وإنكلترا ، أرسلته الإرساليةُ الكنسيةُ في لندن إلى القسطنطينية ليقوم بالدعوة والتبشير في مَقَرِّ الخلافة الإسلامية ، وقلب العالم الإسلامي ، وقد قابل السلطانَ عبد العزيز ، وحكى له قصةَ المناظرةِ في الهند ، وذكر : أنه كان للمسيحية بها انتصارٌ على الإسلام ، وأَهَمَّ ذلك السلطانَ عبد العزيز خليفة المسلمين ، وكَتَبَ إلى شريفِ مكَّةَ يأمره بالاتصال بأهل الخبرة من حُجَّاجِ الهند ، والحصول على المعلومات الصحيحة عن هذه المناظرة وثورة (١٨٥٧م) ، وإحاطة الباب العالي بحقيقة الأمر ، وكان الشريفُ قد اطَّلع على حقيقة الأمر عن طريق شيخ العلماء السيد أحمد دَحْلان ، فكتب بذلك إلى الآسْتانة ، وذكر : أنَّ العالم المسلم الذي كان بطلَ هذه القضيةِ موجودٌ في مكَّة ، فأنفذ السلطانُ بطلبه إلى الآستانة ، وتوجَّه الشيخُ إليها في سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٤م) ، ولما علم القِسُّ (فندر) بتوجُّهه إلى القسطنطينية غادر العاصمةَ لساعته ، وعقد السلطان مجلساً للعلماء ، والوزراء ، وحكى فيه الشيخُ قصةَ المناظرةِ ، وكيف انتصر فيها الإسلامُ على المسيحية ، وقَصَّ قصةَ ثورةِ (١٨٥٧م) وحينئذ فرض السلطانُ قيوداً على نشاط المبشِّرين ، والإرساليين في الدولة العثمانية ، وسَن في ذلك قوانينَ صارمةً ، وكثيراً ما كان السلطانُ يجتمع بالشيخ بعد صلاة العشاء ، ويُصغي إلى حديثه ويحضر هذا المجلسَ خيرُ الدين باشا التونسي الصَّدْر الأعظم ، وكذلك شيخُ الإسلام وغيره من كبار العلماء .

واقترح السلطانُ عبد العزيز والصَّدَرُ الأعظمُ خير الدين باشا على الشيخ ـ بعدما

سمعا قِصَّةَ المناظرةِ ، وعرفا طولَ باعِهِ ، وواسعَ اطلاعِه في هذا الموضوع ، وقُوَّةَ عارضتِه ، واقتدارِه على نقد المسيحية ومصادرها ـ أن يؤلِّف كتاباً بالعربية يتناول فيه القضايا الخمس التي دار عليها البحثُ في مناظرة (أَكْرَهْ) بالتحقيق ، والتفصيل ، وقبل الشيخُ هذا الاقتراحَ ، وبدأ في تأليف كتاب « إظهار الحق » وهو مقيمٌ في الآسْتانة في شهر رجب ١٢٨٠هـ ، وأكمله في ذي الحُجَّة في نفس السَّنة يعني في ظرف ستة أشهر ، وقدَّمه إلى السلطان ، ولكنه ذَكَر في المقدِّمة : أنَّ هذا التأليف كان تحقيقاً لرغبة شيخ العلماء « السيد أحمد بن زَيْني دَحْلان » ، فكلَّمه في ذلك خير الدين باشا ، وقال إنه كان امتثالاً لأمر أمير المؤمنين ، فكان اللائق أن ينوِّه بذلك إكراماً لمركز الخلافة ، وإنصافاً للواقع ، فاعتذر الشيخُ وقال : « إن هذا العملَ كان واجباً أن يكون خالصاً لوجه الله لا يشوبه غرضٌ دنيويٌّ ، أو تزلُّفٌ إلى أميرٍ ، أو سلطانٍ ، وقد سبق : أنَّ شيخ العلماء رَغِب إليَّ في ذلك ، وترجاني أن أقيِّد خبر هذه المناظرة ، وكنتُ قد بدأتُ بجمع بعض المواد في مكَّة ، وله فضلٌ في تقديمي إلى شريف مكَّة ، وهو الذي كان السبَب في وصولي إلى سُدَّة الخلافة ، لذلك آثرتُه بالذكر ، والاعتراف بالفضل » .

وهكذا ظهر هذا الكتابُ إلى حَيِّزِ الوجود ويمتاز بعِدَّة ميزاتٍ :

١ ـ الأولى : أن المؤلِّفَ آثَرَ خُطَّةَ الهجومِ على خُطَّةِ الدفاع التي لا تزال أقوى وأكثر تأثيراً في النفس ، فإنها تلجىء الخَصْمَ إلى أن يتخذ موقف الدفاع ، وأن يقف في قفص الاتهام ويدافع عن نفسه ، وينفي التُّهْمَة ، وكان مما تورط فيه علماءُ المسلمين قديماً : أنهم وضعوا التوراةَ والإنجيلَ والقرآنَ على مستوىً واحدٍ ، وبذلك نالت هذه الصُّحُفُ القديمةُ ما لم تكن تستحقه من الثقة والتقدير ، مع أنَّ أصحابها أنفسهم لا يدَّعون أنها كلَّها كلامُ الله والوحي المنزَّل من السماء بنَصِّه وفَصِّه ، كما هو الشأنُ مع القرآن الكريم والمؤمنين به »[1] .

---

(١) راجعْ محاضرات العلامة الندوي بعنوان : « النبوّة والأنبياء في ضوء القرآن » ، فصل « الصحف السماوية السابقة والقرآن في ميزان العلم والتاريخ » في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » طبع دار ابن كثير .

وقد كان شيخُ الإسلام (تقي الدين أحمد بن تَيْمِيَة) مُوَفَّقاً كلَّ التوفيق في إيثار خُطَّةِ الهجومِ في كتابه « الجواب الصحيح لمن بَدَّل دينَ المسيح »[١] ، مع أنَّ قيمةَ الصُّحُفِ الأَربعة للإنجيل لا تَعْدو عند المحقِّقين قيمةَ كتبِ السِّيرة والحديث من الطبقة الثانية والثالثة ، ليس لها سندٌ متصلٌ صحيحٌ ، وقد أُلِّفت بعد رفع المسيح في فتراتٍ مختلفةٍ ، وفيها أشياءٌ من كلام المسيح ، وأشياء من أفعاله ، ومعجزاته[٢] .

وقد تَفَطَّن الشيخُ (رحمة الله) بدِقَّةِ دراسته وأصالتها وأصاب المَحَزَّ ، فغَيَّر ذلك وجهَ البحثِ والجَوَّ الذي تقوم فيه المناظرةُ ، وأفقد الخصومَ الموقف المشرف الذي تمتَّعوا به ، واستغلوه زمناً طويلاً .

٢ ـ الميزة الثانية : أن المؤلِّفَ تَجَنَّب البحوثَ الدقيقةَ التي يتَّسع فيها الجِدَالُ ، ويَكْثُرُ فيها القيلُ والقالُ ، بل اعتمد في الكتاب على التناقضات الواضحة والبَدِيْهِيَّات الجَلِيَّةِ التي لا تقبل التأويلَ ، واستخرج منها نتائجَ كنتائجَ رياضيةٍ لا يختلف فيها اثنان ، فقد أثبت أنَّ التوراة والإنجيل مليئةٌ بالاختلافات والتناقضات ، وقد وقعت فيها أخطاءٌ فاحشةٌ عَدَّ منها مئةً وثمانية (١٠٨) أخطاءٍ ، وبَرْهَنَ بذلك على أنها كلَّها ليست إلهاماً من الله ، وأنَّ التحريف قد وقع في « الكتاب المقدَّس » لا محالةَ من زيادةِ ألفاظٍ وحذفِ كلماتٍ ، وعباراتٍ إلحاقيةٍ ، وبذلك أصبح هذا الكتابُ شديدَ الوطأةِ على من يؤمن بكونه صُحُفاً سماوية منزَّلةً وصلتْ إلى البشر عن طريق الوحي والإلهام .

٣ ـ تَعَرَّض المؤلِّفُ فيه لمُغالطاتِ النصارى وتمويههم ، وَرَدَّ عليها في أسلوبٍ سائغٍ مُقْنِعٍ ، وتعرَّض لإثبات النَّسْخِ ووقوعه في الديانتين السابقتين ، وصحفهما .

٤ ـ وَضَع المؤلِّفُ العلاَّمةُ حقيقةَ التثليثِ في النصرانية على مَحَكِّ العقل ونَقَدها نقداً علمياً ، يستسيغه كلُّ من رُزِقَ العقلُ السليمُ ، والذَّوْقُ الصحيحُ .

٥ ـ لم يَكْتَفِ المؤلِّفُ بنقد المسيحية وعقائدها وصُحُفِها ، بل أضاف إلى ذلك

---

(١) الكتاب في أربعة أجزاء ، وتقع في (١٢٩٥) صفحةٌ ، طبع في مصر عام ١٣٢٢ هـ .

(٢) راجع للتفصيل الجزء الثاني من « الجواب الصحيح » : ص : ١٠ .

الحديثَ عن القرآن الكريم وإثباتَ : أنَّه كلامُ الله لا شَكَّ في ذلك ، وأجاب في هذا الصدد على كلِّ ما عارضه به النصارى ، وما اعترضوا به على القرآن ، وذكر في ذلك نُبْذَةً من سيرة الرسول ﷺ ومعجزاته ، والبشارات التي وَرَدَتْ في شأنه ، وقد ذكر ثمانيَ عشرة (١٨) بشارةً ، وحَقَّق صحة الأحاديث .

لذلك كان الإقبالُ على هذا الكتاب كبيراً ، والعنايةُ به عظيمةً ، وقد ظهرت له الطبعة الأولى في عام (١٢٨١هـ) في اسْتَنْبُول ، ونقله عالمٌ تركيٌّ إلى اللغة التركية وسَمَّاه بـ « إبراز الحق » ، وقامت الحكومةُ العثمانيةُ بترجمة الكتاب إلى عِدَّةِ لُغاتٍ .

ونقله أحدُ الكُتَّابِ بالإنكليزية في الهند إلى اللغة الإنكليزية ، ولا زالت هذه الترجمةُ موجودةً في مكتبات الهند ، والباكستان[١] .

وترجمه الشيخُ (غلام محمد الرَّانْدِيْرِي) إلى الكُجْرَاتِيَّة (إحدى لُغات الهند الإقليمية) ، وتُرْجِمَ أخيراً إلى اللغة الأردية (بائبل سَي قرآن تَكْ » ، ومعناها « من العهدين القديم والجديد إلى القرآن » ، وهذه الترجمةُ في ثلاث مجلَّداتٍ ، قام بها الشيخُ « أكبر علي السَّهَارَنْفُوْرِي » أستاذ الحديث في دار العلوم ـ كراتْشِي ـ وقَدَّم له فضيلةُ الشيخ محمد تقي العُثْمَاني[٢] بمقالٍ مُسْهِبٍ في تاريخ المسيحية وشرح عقائدها ومبادئها ، ونَقَدَها نقداً علمياً ، وتستحق هذه المقدِّمةُ العلميةُ القيمةُ أن تُنْشَرَ مفردةً وتُنْقَلَ إلى العربية ، والإنكليزية[٣] .

واشترى القَسَاوِسَةُ كمياتٍ كبيرةً من طبعات الكتاب وأتلفوها إحراقاً وإبادةً ليتغيَّب الكتابُ من السوق ، وقد أُعِيْدَ طبعُه في مصر مراراً ، وأخيراً قامت وزارةُ

---

(١) مع الأسف لم ينزل هذا الكتاب إلى السوق ولا إلى المكتبات في الهند أو إنكلترا لأسباب سياسية وغيرها .

(٢) قد سبقت ترجمته في الجزء الأول ، في أول مقدِّمة « الفتح الملهم . . . » .

(٣) اقترح ذلك كاتب هذه السطور على صديقه الفاضل كاتب هذه المقدمة وناشرها ، وقد تحققت هذه الرغبة ، فطبع الكتاب باسم « ما هي النصرانية ؟ » وفي هذه المجموعة تقديم لهذا الكتاب بقلم صاحب هذه المجموعة .

الأوقاف والأمور الدينية في المغرب ، وأصدرت له طبعةً ممتازةً في ١٣٨٤هـ وأثنى على الكتاب وعُلُوِّ مكانته كبار العلماء في الشرق العربي ، منهم الشيخ (عبد الرحمن بك باجه جي زاده) في كتابه « الفارق بين المخلوق والخالق » ، ومنهم الشيخ (عبد الرحمن الجزيري) عضو هيئة كبار العلماء في مصر في كتابه « أدلَّةُ اليقين » ، والعلامة السيد (رشيد رضا) منشىء مجلَّة « المنار » في تقديمه لإنجيل بَرْنَابَا ترجمة الدكتور (خليل سعادة المسيحي) ، والأستاذ عُمر الدسوقي في مقدِّمة كتاب « إظهار الحق » .

أمَّا الأوساط النصرانية الأوروبية فناهيك بما كتبته كبرى صُحُفِ إنكلترا تعليقاً على هذا الكتاب : « لو دام الناسُ يقرؤون هذا الكتابَ ؛ لوقف تقدُّمُ المسيحيةِ في العالم » .

كتبه

أبو الحسن علي الحسني الندوي

ما هي النصرانية ؟

للقاضي محمد تقي العثماني

إدارة علوم القرآن

كراتشي (باكستان)

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو العالمُ الضَّليع ، الفقيه المحدِّث ، الداعية الرحَّالة : الشيخ محمد تقي ابن العلامة المفتي محمد شفيع العثماني ، وُلِد ي خامس شوال سنة ١٣٦٢ من الهجرة ، ودرس في دار العلوم كَرَاتْشي على أساتذتها ، واستفاد من والده العظيم وبرع في الفقه والحديث ، ثم التحق بجامعة كراتشي ، ثم بجامعة بَنْجاب ، وحصل على الماجستير بوجهٍ ممتازٍ ، ثم اشتغل بالتدريس بدار العلوم وفاق أقرانَه بدقة في الشعور ، والاتزان في الفكر ، والجمع بين القديم الصالح ، والجديد النافع ، وهو الآن نائبُ رئيس دار العلوم كراتشي ، وقاضي التمييز الشرعي بالمحكمة العليا بباكستان ، له مصنَّفاتٌ وبحوثٌ مفيدةٌ بالعربية ، والأردية ، والإنكليزية ، جمع فيها بين جدّية الفقيه القاضي المتبصِّر ، وحكمة الداعية المخلص الخبير بمواطن الدعوة وأساليبها ، والتحليل الموضوعي للصحفي الخبير الناقد ، الناصح لدينه ، وأمته ، وبلاده ، والعالم الإسلامي ، وجمال الذوق الأدبي الرفيع الذي يأخذ بمجامع القلوب ، ويعطر العقول ، والأرواح ، بدأ التأليفَ منذ ميعة شبابه ؛ وهو طالب في المدرسة ، وقد رزقه الله تعالى نفساً طويلاً في هذا المجال ، وزاده الله في ذلك على مَرِّ الأيام .

ومن أشهر مؤلَّفاته بالعربية :

١ ـ تكملة « فتح الملهم في شرح صحيح مسلم » .

٢ ما هي النصرانية .

٣ ـ نظرة عابرة حول التعليم الإسلامي .

٤ ـ أحكام الأوراق النقدية .

٥ ـ بحوث في قضايا فقهية معاصرة .

٦ ـ أحكام الذبائح .

مقدمة الكتاب

بقلم : أبي الحسن علي الحسني الندوي

مِن الألغاز التاريخية التي لم يكن من السَّهْلِ والميسور حَلُّها ، وفَكُّها ، ومن الظواهر التي لا يسهل تفسيرُها ، والاهتداءُ إلى سِرِّها أن الديانة المسيحية رغم كونها هي المنافسة الكبرى للدين الإسلامي من يومه الأَوَّلِ ، في المجال الدعوي والميدان السياسي ، والوِصَاية على المجتمع البشري ، وفي قيادة الرَّكْبِ الإنسانيِّ ، لم تُوْضَع - في مجال الدراسات المقارنة للأديان والعقائد وفي كتب التوحيد ، وعلم الكلام وتاريخ المِلَل والنِّحَل - على مَحَكِّ البحث العلمي ، والنقد التحليلي ، ولم تخضع لمبادىء النقد الأمين المُحايِد إذا لم نقل - التزاماً لأدب الأسلوب العلمي - للتشريح الطِّبِّي ، والجِرَاحِي .

وكان من مناهج المؤلِّفين في استعراض الديانة والعقائد المسيحية ، والبحث فيها والحُكم عليها ، والتي درجت عليها الأجيالُ ومضت عليها القرونُ ، وضع الديانة المسيحية على صعيد الديانات السَّماوية - وبالأصح على مستوى الديانة السَّماوية الوحيدة التي هي الإسلامُ - إذ ليست هنالك ديانةٌ سماويةٌ محفوظةٌ على وجه الأرض غيره - ووضع الأناجيل الأربعة على مستوى الكتاب العزيز الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] ، ثم المحاكمةُ بينهما كما هو الشأنُ في كائناتٍ وشخصيات - بالمعنى العام - من جنسٍ واحدٍ ، مع اختلاف قد يكون صغيراً وقد يكون كبيراً .

مع أن الأناجيل الأربعة لم تؤلَّف إلَّا بعد سيِّدنا المسيح ، ولم يُدْرِك أحدُ مؤلِّفيها نبيَّ الله عيسى ابن مريم ، ويكتنف تدوينَها ومؤلِّفيها الشيءُ الكثيرُ من الغُموض ، والالتباس ، والاضطراب ، وكانت بكتب السِّيرة والأخبار والآثار أشْبَهَ منها بالكتب

المنزَّلة مِن الله المَبْنِيَّة على الوحي والإلهام[1] . والمواد المُنيرة لحياة سيِّدنا المسيح وتعاليمه لا تتجاوز خمسين يوماً من حياة المسيح[2] ، وكان أحسن حالها أن تُوْضَع على مستوى كُتب السِّيَرِ من الدرجة الثانية ، أو الثالثة ، إذا لم نقل قَصَص المولِد الكثيرةِ المنتشرةِ بين المسلمين ، فَضْلاً عن الصِّحَاح وكتب الحديث الموثوق بها .

وبذلك الموقف الذي لم يصدر إلَّا عن سلامة قلوب المسلمين واحترامهم للممثِّلين والقادة للديانات السَّماوية ، نالت هذه الديانةُ ـ التي كانت مِن أضعفِ الديانات العالمية علمياً وعقلياً ، وأكثرِها تعرُّضاً للتزييف في مخبر التاريخ ومحكمته ـ ونالت الأناجيلُ التي كانت مليئةً بالاختلافات والتناقضات ما لم تكن تستحقه من الثقة والتقدير وعُلُوِّ المكان ونباهةِ الشأن ، وتَخَلَّصَتْ بذلك من كثيرٍ من التساؤلات ، والجَرْحِ ، والنقد .

وكان أشدَّ مِن ذلك : أنَّ كثيراً من المؤلِّفين في المِلَل والنِّحَلِ آثروا خِطَّةَ الدفاع عن الإسلام على خِطَّةِ الهُجوم على هذه الديانة التي كان من أقوى براهينها التي كانت تعتمد عليها في إثبات صدقها ، وكونها دين الله المختار وتعاليم نبيٍّ مؤيَّدٍ من الله ، الحكومات الواسعة التي قد لا تغرب عنها الشمسُ ، والقُوَّةُ الماديةُ التي لا تُضارِعها قُوَّةٌ ، وضخامة عدد أتباعها ، وكثرة الأعمال الخيرية ، والمستشفيات والمؤسَّسات العلمية ، والتقدُّم « التكنولوجي » والقدرة على تنظيم الحياة ، مع أنَّ شيئاً من ذلك لا شأنَ له بثبوت ديانةٍ أو عقيدةٍ ولا صلةَ له بحقيَّةٍ وبُطْلانٍ .

ولا شك : أنه يكون من التجنِّي ومن القَسْوة في الحكم إطلاقُ هذا الحكم على جميع المؤلِّفين الإسلاميين ، والمتكلِّمين الأوَّلين والمتوسِّطين ، فما (من عامٍّ إلَّا وقد خُصَّ منه البعضُ) كما يقول التعبيرُ الأصوليُّ ، ويمكن الاكتفاءُ باسم شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تَيْمِيَّة (المتوفَّى سنة ٧٢٨هـ) ، صاحبُ كتاب

---

(١) راجع للتفصيل والأمثلة والشواهد فصل « الصحف السماوية السابقة والقرآن في ميزان العلم والتاريخ » في كتاب صاحب التقديم « النبي الخاتم » أو « النبوة والأنبياء في ضوء القرآن » : ص : ٩٨ إلى ٢٠٤ .

(٢) راجع « دائرة المعارف البريطانية » ، مقال شارلس أندرسن سكات (١٣/ ١٧١) .

« الجواب الصحيح لمن بَدَّل دينَ المسيح »[1] فقد آثر خِطَّةَ الهُجوم على الدفاع ، وتناولَ العقائدَ المسيحيةَ ، والأناجيلَ الأربعةَ ، بالنقد الجريء والحكم البريء ، وأصاب المحز ، وفي لفظ صاحب هذا التقديم : « غَيَّر ذلك وجهَ البحثِ والجَوِّ الذي تقوم فيه المناظرةُ ، وأفقدَ الخصومَ الموقف المشرف الذي تمتَّعوا به ، واستغلُّوه زمناً طويلاً »[2] .

والذي يَسْتَحِقُّ أن يُذْكَرَ بعد شيخِ الإسلام ابن تيمية ، ويُعْتَرَفَ بفضله وسبقه ، هو الإمامُ العلامة الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكَيْرَانَوِي (١٣٠٨هـ = ١٨٨١م) صاحب الكتب العظيمة المقبولة ، في العالم الإسلامي ، المُجَلْجلَة في العالم المسيحي ، أَهَمُّها كتاب « إظهار الحق » ، و « إزالة الأوهام » و « إزالة الشُّكوك » ، فقد تجنَّب في نقده للمسيحية ، وكتب العهد القديم والجديد البحوثَ الدقيقة التي يتَّسع فيها مجالُ الجِدال ، ويَكثُرُ فيها القيلُ والقالُ ، بل اتَّخذ ـ بتأييد من الله ، وبعبقريته الكلامية ـ طريقةً رياضيةً واقعيةً لا تقبل نِقَاشاً ، ولا تسمح بتشكيكٍ ، أو تأويلٍ ، فاعتمد على التناقُضات الواضحة والبديهيات الجليَّة ، وأثبت : أنَّ التوراةَ والإنجيل مليئةٌ بالاختلافات ، والتناقُضات ، وقد وقع فيها أخطاءٌ لا تَقْبَلُ تأويلاً ، وتعر ض فيه لمغالطات النصارى ، وتمويههم في أسلوبٍ سائغٍ مُقْنِعٍ[3] .

ولمَّا ظهرت ترجمةُ هذا الكتابِ العظيم في الأردية باسم « بائيل سَي قرآن تَك » ، « من العهد القديم إلى القرآن » ، في كَرَاتْشِي ، قام الأستاذُ الفاضلُ صديقنا الأستاذ محمد تقي العُثْماني (نائب مدير دار العلوم في كراتشي » والمستشار الديني والقاضي الشرعي في محكمة باكستان العليا) وقد تلقَّى العلومَ الدينيةَ في عُمْقٍ ، وإتقانٍ ، وتخرَّج على والده العظيم العلاَّمة الكبير مفتي الديار الباكستانية الأكبر ،

---

(١) ليرجع للتفصيل إلى كتاب العلامة الندوي الجزء الثاني من كتاب « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » الحافظ ابن تيمية ، فصل « الردّ على المسيحية » . طبع دار ابن كثير بدمشق .
(٢) تقديم كتاب « إظهار الحق » : ص : (١٤) .
(٣) سبق التفصيلُ لموقفه البطولي الحاسم من القِسِّ « فَنْدر » الذي تحدَّى الإسلام والمسلمين في عصره في تقديم الكتاب بقلم العلامة الندوي ، انظر مقدَّمته لـ « إظهار الحق » .

سماحة الشيخ المفتي محمد شفيع العثماني الدِّيُوْبَنْدِي[١] رحمه الله ، مؤسِّسُ دار العلوم في كراتشي ، ثم دَرَسَ اللغةَ الإنكليزيةَ ، وتخرج فيها ، وفي الحقوق ، وكان بذلك قادراً على الاستفادة من المصادر الإسلامية والمصادر المسيحية وتاريخها بطريقٍ مباشرٍ ، فحلّى جِيْدَ هذا الكتاب بمقدِّمةٍ في نقد المسيحية ، وتاريخها ، وتطوُّرِ عقيدتها ومبادئها ، وتحوُّلِها مع الزمن في وقتٍ مُبَكِّرٍ من ديانةٍ سماويةٍ سَمْحَةٍ مؤسَّسةٍ على عقيدة التوحيد الخالص ، إلى ديانةٍ محرَّفةٍ مطعَّمةٍ بالوثنية اليونانية ، والجاهلية الرومانية ، وتعمُّقاتٍ فلسفيةٍ حُلوليةٍ اتحاديةٍ .

وقد ذَكَر في تفصيل العوامل التاريخية والعقائدية التي لعبتْ دوراً خطيراً في تاريخ الدِّيانة المظلومة ، التي قلَّما يوْجَد لها نظيرٌ في وقوعها فريسةً سهلةً ، ولقمةً سائغةً لأهل الأهواء ، والأغراض ، وأزاح السِّتارَ ـ في قدرةٍ فائقةٍ ، وخبرةٍ واسعةٍ ، وأمانةٍ علمية ـ عن المؤتمرات المَحْبُوكة الأطراف ، والمِحَنِ القاسيةِ التي تعر ضت لها هذه الديانةُ التي كان انتصارُها في ميدان السياسة والسيطرة العالمية ، مُقَابِلَ إخفاقِها وانهزامِها في مجال الديانات والعقائد ، فكان كلٌّ من ذلك بلغ القِمَّةَ ، وذكر الفِرَقَ التي رَفضت أن تُؤمِن بألوهية ا لمسيح ، والرجال الذين رفضوا عقيدةَ الحُلول والتجسُّدِ ، وما آلوا إليه من خَيْبَةٍ وإخفاقٍ ، واستعرض الفِرَقَ المختلفةَ واختلافاتِها ، وتناول عقيدةَ (الصليب المقدَّسِ) والعشاءِ الربانيِّ ، وولادةَ سيِّدنا المسيح ، وتطوُّرَ العقيدة المسيحية وأسبابه ، وذكر ما كان لقسطنطين الكبير من دورٍ في تحويل المسيحية عن طبيعتها الأولى ، وواصل السَّيْرَ إلى (غريغوريوس) ، وذكر تاريخَ المسيحية في مختلف العهود والمَناطِق ، ثم أشار إلى محاولاتٍ ضائعةٍ في سبيل الإصلاح وحركات التجديد والإحياء ، وتناول إنجيلَ برنابا بالتحقيق ، وحدَّد مكانتَه في الأناجيل في ضوء التاريخ والبحث العلمي .

وقد توصَّل بعد هذا البحثِ الدقيقِ العميقِ في تاريخ المسيحية وتطوَّرات عقائدها إلى أنَّ الدِّين الذي جاء به المسيحُ ـ عليه وعلى نبيّنا الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ قد اندرس بعده بمُدَّةٍ قليلةٍ ، وحَلَّتْ مَحَلَّه ديانةٌ كانت تعاليمُها على عكس أقوال سيِّدنا

(١) قد سبقت ترجمتُه في الجزء الأول .

عيسى عليه السلام ، وتعاليمه ، وأن المسيحية المعاصرة ليس مؤسسها هو سيدنا عيسى عليه السلام وإنما هو (بولس) الذي تُوجَد له (١٤) رسالةً في « الكتاب المقدَّس » ويستشهد بقول عالمٍ مسيحيٍّ (W. Wrede) : « إنَّ (بولس) قد غير المسيحيةَ بدرجةٍ : أنه أمسى مؤسِّسَها الثاني ، إنه في الواقع مؤسِّسُ المسيحيةِ الكنسيةِ التي تختلف عن المسيحية التي جاء بها يَسُوْعُ المسيحُ تمام الاختلاف ، ولا يمكن الجَمْعُ بينهما في العمل في وقتٍ واحدٍ » .

ومن شواهد تَوارُدِ الخواطر ، ووحدةِ النتائج العلمية ، والتقائها إذا كانت طُرُقُها ووسائلُها صحيحةً : أنَّ كاتِبَ هذه السطورِ قد قال في إحدى كتاباته ، وهو يتكلَّم عن تسميةِ القرآن النصارى بـ (الضالِّين) ما معناه :

(لا يفهم سِرَّ هذه الكلمةِ وحكمةَ هذه التسمية ـ المختلفة عن اليهود الذين سَمَّاهم القرآن بـ ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ ـ إلَّا من كان له اطلاعٌ دقيقٌ على تاريخ نُشُوءِ المسيحيةِ ، وتطوُّرها في أوَّلِ عهدها ، فقد انحرفت عن الجادة التي تركها عليها المسيحُ في أوَّلِ رحلتها، وسارت على درْبٍ مختلفٍ عن الدرب الأوَّل كلَّ الاختلافِ وتكفي لذلك شهادةٌ واحدةٌ ، وهي شهادةُ العالِمِ المسيحيِّ (Ernest de Bunseh) فيقول : « إنَّ العقيدة والنظام الديني الذي جاء في الإنجيل ليس الذي دعا إليه السيِّدُ المسيحُ بقوله وعمله ، وإنَّ مَرَدَّ النزاعِ القائمِ بين المسيحيين اليوم وبين اليهود والمسلمين ، ليس إلى المسيح ، بل إلى دَهَاءِ بولس (Paul) ذلك المارقُ اليهوديُّ والمسيحيُّ وشرحه للصُّحُفِ المقدَّسةِ على طريقة التجسيم (Essene) والتمثيل »)[١] .

ولمَّا اطَّلع كاتبُ هذه السطورِ على هذه المقدِّمةِ العلميةِ المستفيضة التي تقوم مقامَ كتابٍ ؛ كتب إلى صاحبها الأستاذ (محمد تقي العثماني) ، يُبدي إعجابَه بها ، ويقترح عليه الإسراعَ في نقلها إلى اللغتين الإنكليزية والعربية ، لقيمتها العلمية والدعوية ؛ ولأنها مُنِيْرَةٌ للعقول والأذهان ، كاشفةٌ لحقيقة الديانة المسيحية ، قد

---

(١) Islam or The Christianitg P. 128.

تكون وسيلةً ـ إذا حالف التوفيقُ الإلهيُ وزال غطاءُ العصبيةِ ـ للتفكير الجادِّ العميقِ ، والاهتداءِ إلى الدين القويم والصراط المستقيم .

وقد شَرَح اللهُ صَدْرَ كاتبها أخيراً لتحقيق هذا الغرض وهَيأ له أسبابَه ، فطَلَب من أخينا العزيز الأستاذ نُور عالم الأمِيْني النَّدوي ، أن يَنْقُلَها إلى العربية ، وهو مُتَرْجِمٌ قديرٌ ، وعالمٌ ضليعٌ في اللغتين ، فقام بهذه المُهمَّة في دِقَّةٍ وأمانةٍ ، وقدرةٍ ولَبَاقةٍ . ويُسْعِدُ كاتبُ هذه السطورِ ـ ولعلَّه صاحبُ الفكرة الأولى في نشرها ونقلِها إلى اللغتين العربية والإنكليزية ـ أن يقدِّم لهذه المقدِّمةِ التي تنشر ككتابٍ مستقلٍّ ، وتُقَدِّمُ إلى قُرَّاء العربية ، كتحفةٍ علميةٍ ، وثمرةٍ يانعةٍ شَهيَّةٍ لشجرة البحث العلمي الخالص ، والدراسات الدينية المقارنة . والحمد لله أولاً وآخراً .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مقدماتُه

لكتب في الموضوعات المتنوعة

١ ـ الدين والقوى العقلية : للأستاذ عبد الباري الندوي .

٢ ـ دار العلوم ديوبند : للشيخ محمد عُبيد الله الأسعدي القاسمي .

الدين والقوى العقلية

تأليف

الأستاذ عبد الباري الندوي

أستاذ الفلسفة

في الجامعة العثمانية بحيدر آباد سابقاً

تعريب

الأستاذ واضح رشيد الندوي

قدم له

العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي

دار وحي القلم

دمشق

بين يدي الكتاب[١]

بقلم : سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

الشيخ عبد الباري . . . النَّدْوي (توفِّي ١٩٧٦م) كان من متخرِّجي « نَدوة العلماء » وتلاميذ العلاَّمة شبلي النُّعْمَاني ، دَرَس الفارسية والإنكليزية والفلسفة بعد تخرُّجه من « ندوة العلماء » ، وعُيِّنَ أستاذاً في كلية (دَكَنْ) في بُوْنا ، ونال الشهرةَ في الكلية بأسلوبه ودراسته العميقة لموضوعه ، ثم انتقل إلى كلية كُجْرات بأحْمَد آباد ، وكانت الفلسفةُ موضوعاً مُحبَّباً لديه .

وقد دَرَسَ كُتُبَ الفلسفة القديمة على كبار أساتذة عصره : كالشيخ شَيْر علي الحَيْدَرْآبادي ، الذي كان من الأساتذة البارزين في « ندوة العلماء » ، وعَكَف على دراسة هذا الموضوع ، وتوسَّع فيه بعد تخرُّجه من « دار العلوم ندوة العلماء » ، ثم عُنيَ بدراسة الفلسفة الحديثة معتمداً في ذلك على المراجع الأصيلة العميقة بالإنكليزية دراسةً جدِّيةً عميقةً . وزادت من شَغَفه بهذا الموضوع واشتغاله بعلم الكلام صلتُه بالعلاَّمة شبلي النعماني ، واستطاع بذكائه ، وصلاحيته للتمييز أن يُدْرِكَ الحُدودَ الفاصلة للفلسفة والعقل ، والفارقَ بين الفلسفة والعلم الذي كان خافياً وحتى على كبار المثقَّفين والعلماء في ذلك العصر ، فكانوا يَخْلِطون بينهما .

ويَدُلُّ كتابُه (الدِّين والعقل) على صفاء ذِهْنِه ، وقُوَّة تمييزه ، وقد صرَّح الشيخُ أشرف علي التَّهَانَوي بعد قراءة هذا الكتاب : « أنَّ هذا الكتابَ قلْعَةٌ حديديةٌ للدِّين » .

وقد نال هذا الكتابُ قبولاً عاماً في الأوساط العلمية ، وعُدَّ دليلاً لِنبُوغه العلمي .

---

(١) سبقت ترجمة مؤلف الكتاب في أول مقدمة كتابه « بين التصوف والحياة » .

وقد أثار بعضُ الناس قضيةً في (الجامعة العثمانية) بحَيْدَر آباد ضدَّ الشيخ عبد الباري الندوي في عهد رياسته بقسم الفلسفة ، وقالوا : إنَّه لا يحمل مؤهِّلاتٍ تعليميةً ليشغل هذا القسم ؛ لأنه قد تخرَّج من جامعةٍ أجنبيةٍ ، وليس لديه شهادةٌ في هذا الموضوع ، فقدَّم معالي الأمير حبيب الرحمن الشِّيْرَواني (وزير الأمور الدينية في الإمارة) كتابَ « الدين والعلوم العقلية » إلى نظام حَيْدَر آباد ، وقال له : « إنَّ شهادتَه هذا الكتاب ، وقد أسلمت الفلسفة على يديه » ، وطلب معالي الأمير حبيب الرحمن (رئيس الجامعة في ذلك العهد) من نظام حيدر آباد بأن يقرأ بعضَ سطور الكتاب ، ومنذ ذلك اليوم عُيِّنَ الأستاذ عبد الباري رئيساً دائماً للقسم .

وأُعِيْدُ هنا ما كتبتُهُ في مقالتي حول الكتب التي كان لها الفضْلُ في تكوين ذهْني وعقليتي :

« صادفتُ أن وجدتُ كتابَ (الدين والعقل) للأستاذ عبد الباري الندوي خلال دراستي ، فقَبِله فكري وذِهْني وذَوْقي واستساغه كُلِّياً ، فإنَّ هذا الكتاب يعيِّن حدودَ الفلسفة والعقل والنقل والتجربة ، وعلم الإنسان ، ويثبت : أنَّ جميع هذه العلوم طارئةٌ ومؤقَّتةٌ ومحدودةٌ ، واستفدتُ من دراسة هذا الكتاب قطعيةَ علوم الأنبياء ، وقرأتُ كلَّ ما أُلِّف قديماً وحديثاً في هذا الموضوع ، ولكن التصوُّرَ الأساسي الذي اقتبستُه من كتاب (الدين والعلوم العقلية) كان دائماً يُرْشِدني ولم يُزَعْزِعْ عقيدتي وفكري ما قرأتُ للكُتَّاب والعلماء والفلاسفة ، فكان انطباعي الدائم خلال هذه المطالعة : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٠] ، و ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس : ٣٩] .

نَقَل الأستاذ عبد الباري الندوي عِدَّةَ كُتُبٍ في الفلسفة إلى اللغة الأردية ، وقد نقل كتابَ هيُوم (مبادىء علم الإنسان) ومكالمات بَرَكْلي ، وألَّف كتاب (الدين والعلم) وقدَّم له العالم الرياضي الكبير الدكتور رضيّ الدين ، وأثنى على مجهوده العلمي ، وطُبع هذا الكتابُ في المجمع العلمي الإسلامي بندوة العلماء ، ونال شهرةً في الأوساط العلمية .

كان الأستاذ عبد الباري ـ بالإضافة إلى اهتمامه بموضوع الفلسفة ودفاعه عن

الدين ، دفاعاً علمياً ، تحليلياً ـ شَغُوفاً بمطالعة القرآن الكريم ، والدعوة الإسلامية ، وكان شديدَ الحرص على تربية النَّشْءِ تربيةً إسلاميةً ، فكان يُلقي دروساً في تفسير القرآن الكريم ، ويهتم بنشاط الدعوة ، والتربية ، ويتقصَّى أحوالَها ، وكانت له صلاتٌ بمشايخ عصره ومربِّيه كالشيخ حسين أحمد المَدَني[1] ، والشيخ أشرف علي التَّهْانَوي[2] ، وتوثَّقت هذه الصلةُ في آخر حياته ، فعكف على تربية النفس ، وألَّف كتباً في التربية الإسلامية ، ومِن أشهر مؤلَّفاته (الدين والحياة)[3] وقد نقل الكتاب الأستاذ محمد الرابع الندوي ، وطُبع في دمشق ، ثم نُقِل إلى اللغة التركية .

كان كتابُ (الدين والعلوم العقلية) محاضرةً باللغة الأردية للأستاذ عبد الباري ، ألقاها أمام علماء مثقَّفين وجامعيِّين ، ثم نقله العزيزُ واضح رشيد الندوي إلى اللغة العربية ، ونُشِر في مجلَّة « البعث الإسلامي » الصادرة من ندوة العلماء ، ثم طُبع الكتابُ في مصر ، ونال القبول العام . وتظهر الآن الطبعةُ الجديدة بعد مراجعةٍ وتحقيقٍ ، أسأل الله أن ينفع به المسلمين ، ويهدي به الحيارى والتائهين ، والله يهدي السبيل .

ويَسُرُّني أن ينال الكتابُ مكانتَه اللاَّئقة ـ ليس في المكتبات ودُور الكتاب فحسب ـ بل في الأوساط العلمية والثقافية وفي أذهان الناشئة الإسلامية والجيل المثقف والباحثين في موضوع الفلسفة والدين ، فإنه من البحوث المُثيرة المغذِّية للعقول بالغذاء الصالح الدسم الصحيح ، ويقضي على كثيرٍ من المغالطات والارتجالات الفكرية والمزالق الذّهنية ، وعلى الله قصد السَّبيل ، وما التوفيقُ إلا بالله .

لَكْهُنؤ ـ الهند	**أبو الحسن علي الحسني الندوي**
٢٩ من رجب سنة ١٤٠٨هـ	**دار العلوم ـ ندوة العلماء**

---

(١) سبقت ترجمته في الجزء الأول .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) هو نفس « بين الصورة والحياة » والذي قدَّم له العلاَّمة الندوي .

دار العلوم ديوبند

مَدْرَسَةٌ فِكْرِيَّةٌ توجِيْهِيَّةٌ ، حَرَكَةٌ إصلاحيةٌ دَعَوِيَّةٌ
مؤسسةٌ تعليميَّة تَرْبَوِيَّة

تأليف

محمد عبيد الله الأسعدي القاسمي

أكاديمية شيخ الهند

دار العلوم ـ ديوبند (الهند)

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو العالم الفقيه ، الأصولي البارع : الشيخ محمد عبيد الله الأسعدي . من مواليد عام ١٣٧١هـ ، تلقى دراسته الابتدائية من والده ، ثم التحق بالكتاب التابع لدار العلوم ـ ندوة العلماء ، ثم بكلية الشريعة التابعة لها . وقام بالتدريس في الجامعة الإسلامية ببانده ، وقام برحلاتٍ علمية في الهند وخارجها .

ومن مؤلَّفاته :

١ ـ بين الضعيف والموضوع من الحديث .

٢ ـ الموجز في أصول الفقه .

٣ ـ دار العلوم ديوبند : مدرسة فكرية توجيهية .

تقـــديم[1]

بقلم : سماحة الداعية المجاهد الإمام أبي الحسن علي الحسني النَّدوي

أمين ندوة العلماء العام ،

وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ،

وعضو المجلس الاستشاري لدار العلوم دِيُوْبَنْد

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّد المُرْسَلين ، وخاتم النبيِّين محمَّد وآله وصَحْبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد : فقد تكفَّل حركة نشر العقيدةِ الصحيحةِ في التوحيد واتباع السُّنَّة والتجنُّب عن الأعمال الشركية ، والغُلُو والمبالغةِ في التعظيم ، مدرسةٌ عقائديةٌ ، تعليميةٌ ، تربويةٌ ، قياديةٌ ، تُعْرَفُ ـ بشكلٍ عامٍ وإطارٍ واسعٍ ـ بـ « مدرسة ديوبند » ، قد قاد هذه الحركة الإيجابية ، الإصلاحية ، والبنَّائية ، والتربويَّة ، والنشرية ، على مستوى شعبيٍّ ، توجيهيٍّ ، واستدلاليٍّ ، علميٍّ قويٍّ ، وواسعٍ « معهد ديوبند » مؤسِّسوه ، ومُنشِئوه ، والمتخرِّجون منه ، والمنتمون إليه ، وقد أمدَّتهم ـ في الانتصار والانتماء إليهم والاعتزاز بهم ـ قيادةُ المنتمين إلى دِيُوبَنْد وقادةِ حركتها وإدارتها ، لحركة تحرير البلاد ، ومحاربة السُّلطة الإنكليزية والاستعمار ، ثم استقامتهم في الدِّين ، وتجرُّدهم عن المطامع والشهوات بصفةٍ غالبةٍ ، وصلاحُهم واستقامتُهم على السنَّة ، ونفورهم عن البِدَع والمُحْدَثَاتِ ، وإنكارُهم الصريحُ القويُّ

---

(١) سبقت ترجمة المؤلف في الجزء الأول قبل مقدمة كتابه : « الموجز في أصول الفقه » .

على ما شاعَ في شبه القارة الهندية من تقليد غير المسلمين في إطار المهرجانات ، والأعياد والمواسم ، وزيارةِ المشاهد وتقديسها ، ولُقِّبُوا بـ « الوهابية » ، وقُوطِع كثيرٌ منهم ، وحُورِب حرباً شَعْواء ، ولكن لم يُضعف كلُّ ذلك من صمودهم ، واستقامتهم وصراحتهم ، واعتزازهم بعقيدتهم ، والثَّبات على موقفهم .

وقد كان هذا الواقعُ التاريخيُ وكانت هذه البهةُ العقائديةُ الداعيةُ ، التربوية ، النِّضاليَّةُ ، الإيجابيةُ في حاجةٍ إلى استعراضٍ تاريخيٍّ ، واقعيٍّ ، مقارنٍ ، وعرضٍ أمينٍ احتسابي ، مؤسَّسٍ على دراسةٍ أمينةٍ دقيقةٍ واسعةٍ ، حتى يتَّضح الحقّ ، ويتأتَّى الإنصافُ مع العاملين المحتسبين ، وخَدَمة الدين ، والمجاهدين المخلصين ، وقد كانت هذه الموادُ التاريخيةُ والبيانيةُ منثورةً مبعثرةً في كتبٍ تاريخيةٍ وتعريفيةٍ ، وسيرٍ شخصيةٍ زمنيةٍ ومحليةٍ ، وفق الله الأستاذ محمد عبيد الله الأسعدي عُضو هيئة التدريس بالجامعة العربية هَتَوْرَهْ ، وابنُ أسرةٍ عريقةٍ في العقيدة الصحيحة ونشرها ، والجهاد في سبيلها ، تنتمي إلى المجاهد الكبير ، الداعية المُصلِح السيِّد جعفر علي البَسْتَوي(١) ، صاحبُ كتاب « منظورة السعداء في أحوال الغزاة والشهداء » مُرافِق المجاهد الكبيرِ ، والمصلح الشهير ، الداعي الأشهر الأقوى إلى تصحيح العقيدة ومحاربةُ الشِّرْك والبِدَع ، وإعلاء كلمةِ الله ، والجهاد في سبيل الله : الإمام السيد أحمد بن عرفان ـ الشهيد في بالاكوت عام ١٢٤٦هـ رحمه الله ـ(٢) وقد ورثَتْ هذه الأسرة الشريفة هذه العقيدة ، ومنهج الدعوة ، والحماس الديني كابراً عن كابرٍ ، حتى وصل إلى هذا الجيل « والشي من معدنه لا يستغرب » .

والمُتوقَّع المرجو والمطلوبُ أن يُطالع هذا الكتابُ الذي أصبح موسوعةً في هذا

---

(١) انظر ترجمته في الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٧/ ١٣٥) .

(٢) انظر للتعرف على حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وجهوده وجهود خلفائه العظام في تصحيح العقائد ، وإصلاح المجتمع والدعوة والإرشاد « سيرت سيد أحمد شهيد » [بالأردية] و « الإمام الذي لم يوف حقه من الإنصاف والاعتراف به » و « إذا هبت ريح الإيمان » ثلاثتها للشيخ النَّدوي ، و« الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » (٧/ ٣٢ ـ ٣٧) لوالد سماحته ، والإمام أحمد بن عرفان الشهيد للأستاذ علي الطنطاوي .

الباب بتوسُّعٍ فكريٍّ ، واتِّزانٍ هدفي ، وإنْ كان هناك بعضُ نُقَاطٍ ، أو تعبيراتٍ لا تجب الموافقةُ عليها مئةً في المئة ؛ فإن العلم المحيط البريء من كل زُلَلٍ ، أو خطلٍ لله وحده ، والعِصَمةُ للرسول ﷺ والأجر على قدر النيَّة ، والجهد البريء النزيه .

٤ من ربيع الأول ١٤١٩هـ
٣٠/٦/١٩٩٨م

أبو الحسن علي الحسني الندوي
دار العلوم ـ ندوة العلماء
لكهنؤ

فهرس

مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي

(الجزء الثاني)

الموضوع — الصفحة

مقدماته لكتب في العقيدة والتوحيد ٥

مقدمته لـ : « رسالة التوحيد » لإسماعيل الدهلوي ٧

نبذة من ترجمة المؤلف ٩

مقدمته لـ : « العقيدة السنية شرح العقيدة الحسنة » لشاه ولي الله الدهلوي ١٩

نبذة من ترجمة المؤلف والشارح ٢١

مقدماته لكتب في الزهد والتصوف والأخلاق ٣١

مقدمته لـ : « كتاب الزهد الكبير » للبيهقي ٣٣

مقدمته لـ : « بين التصوف والحياة » لعبد الباري الندوي ٤٣

نبذة من ترجمة المؤلف ٤٥

مقدمته لـ : « سمير المؤمنين . . . » لمحمد الحجار ٥٧

نبذة من ترجمة المؤلف ٥٩

مقدماته لكتب في أخبار السلف ٦٣

مقدمته لـ : « حياة الصحابة » للكاندهلوي ٦٥

مقدمته لـ : « شرح حياة الصحابة » للباره بنكوي ٧٣

مقدمته لـ : « صفحات من صبر العلماء . . . » لأبي غدة ٧٩

نبذة من ترجمة المؤلف ٨١

مقدماته لكتب في السير والتراجم ٨٧

مقدمته لـ : « الإمام البخاري إمام الحفاظ والمحدثين » لتقي الدين الندوي ٨٩

الموضوع | الصفحة

مقدمته لـ : « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » لعبد الحي الحسني ... ٩٣
مقدمته لـ : « بستان المحدثين » لعبد العزيز الدهلوي ١٠٩
نبذة من ترجمة المؤلف ١١١
مقدمته لـ : « أعلام المحدثين في الهند . . . » لسيد عبد الماجد الغوري ... ١١٩
نبذة من ترجمة المؤلف ١٢١
مقدمته لـ : « الأمير سيد صديق حسن خان : حياته وآثاره » لمحمد اجتباء الندوي ١٢٩
نبذة من ترجمة المؤلف ١٣١
مقدمته لـ : « العلامة المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوي » لمحمد الثاني الحسني ١٤١
نبذة من ترجمة المؤلف ١٤٣
مقدمته لـ : « الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي . . . » لمحمد الثاني الحسني ١٥٧
مقدمته لـ : « بصيرة الدعوة وفهمها وإدراكها » لمحمد شاهد السهارنفوري . ١٧٧
مقدمته لـ : « الشيخ حسن حبنكة » لعبد الرحمن حسن حبنكة ١٨٣
نبذة من ترجمة المؤلف ١٨٥
مقدمته لـ : « المنهج الصوفي في فكر ودعوة الشيخ أحمد كفتارو » لمحمد شريف الصواف ١٩٥
نبذة من ترجمة المؤلف ١٩٧
مقدماته لكتب في التاريخ الإسلامي ٢٠١
مقدمته لـ : « مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ » لمحمد لقمان الأعظمي ٢٠٣
نبذة من ترجمة المؤلف ٢٠٥
مقدمته لـ : « الهند في العهد الإسلامي » لعبد الحي الحسني ٢١٣
نبذة من ترجمة المؤلف ٢١٥
مقدمته لـ : « موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند

الموضوع الصفحة

والبنجاب في عهد العرب » لعبد الله مبشر الطرازي ٢٣٣
مقدماته للكتب الدعوية والفكرية والإصلاحية ٢٣٩
مقدمته لـ : « فضائل الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة » للكاندهلوي ٢٤١
نبذة من ترجمة المؤلف ٢٤٣
مقدمته لـ : « أسباب سعادة المسلمين وشقائهم . . . » للكاندهلوي ٢٥١
مقدمته لـ : « مذكرات الدعوة والداعية » لحسن البنا ٢٥٧
نبذة من ترجمة المؤلف ٢٥٩
مقدمته لـ : « الإسلام الممتحن » لمحمد الحسني ٢٧١
نبذة من ترجمة المؤلف ٢٧٣
مقدمته لـ : « تناقض تحار فيه العيون و . . . » لمحمد الحسني ٢٨٥
مقدمته لـ : « المنهج الإسلامي السليم » لمحمد الحسني ٢٩١
مقدمته لـ : « قيمة الأمة الإسلامية منجزاتها وواقعها المعاصر » لمحمد الرابع الحسني الندوي ٢٩٩
نبذة من ترجمة المؤلف ٣٠١
مقدمته لـ : « الصحوة القريبة بإذن الله » لمحمد الحجَّار ٣٠٥
مقدماته لكتب في الأدب الإسلامي ٣٠٩
مقدمته لـ : « الأدب الإسلامي وصلته بالحياة » لمحمد الرابع الحسني الندوي ٣١١
مقدمته لـ : « نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد » لعبد الرحمن رأفت الباشا ٣١٩
نبذة من ترجمة المؤلف ٣٢١
مقدمته لـ : « الروائع والبدائع في البيان النبوي » لمحمد نعمان الدين الندوي ٣٢٧
نبذة من ترجمة المؤلف ٣٢٩
مقدمته لـ : « شعراء الرسول ﷺ في ضوء الواقع والقريض » لسعيد الأعظمي الندوي ٣٣٥
نبذة من ترجمة المؤلف ٣٣٧

الموضوع | الصفحة

مقدماته لكتب الأدب العربي ٣٤٣

مقدمته لـ : « تاريخ الأدب العربي بين عرض ونقد » لمحمد الرابع الحسني الندوي ٣٤٥

مقدمته لـ : « تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) لمحمد واضح رشيد الحسني الندوي ٣٥١

نبذة من ترجمة المؤلف ٣٥٣

مقدمته لـ : « باقة الأزهار » لمحمد ناظم الندوي ٣٦١

نبذة من ترجمة المؤلف ٣٦٣

مقدمته لـ : « منثورات من أدب العرب » لمحمد الرابع الحسني الندوي ٣٦٩

مقدماته لكتب في التربية الإسلامية ٣٧٥

مقدمته لـ : « التربية والمجتمع » لمحمد الرابع الحسني الندوي ٣٧٧

مقدمته لـ : « منهج التربية النبوية للطفل . . . » لمحمد نور بن عبد الحفيظ سويد ٣٨٥

مقدماته لكتب في الأديان ٣٨٩

مقدمته لـ : « إظهار الحق » للكيرانوي ٣٩١

نبذة من ترجمة المؤلف ٣٩٣

مقدمته لـ : « ما هي النصرانية ؟ » لمحمد تقي العثماني ٤٠٩

نبذة من ترجمة المؤلف ٤١١

مقدماته لكتب في الموضوعات المتنوعة ٤١٩

مقدمته لـ : « الدين والقوى العقلية » لعبد الباري الندوي ٤٢١

مقدمته لـ : « دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية . . . » لمحمد عبيد الله الأسعدي ٤٢٧

نبذة من ترجمة المؤلف ٤٢٩

الفهرس ٤٣٥

●●●